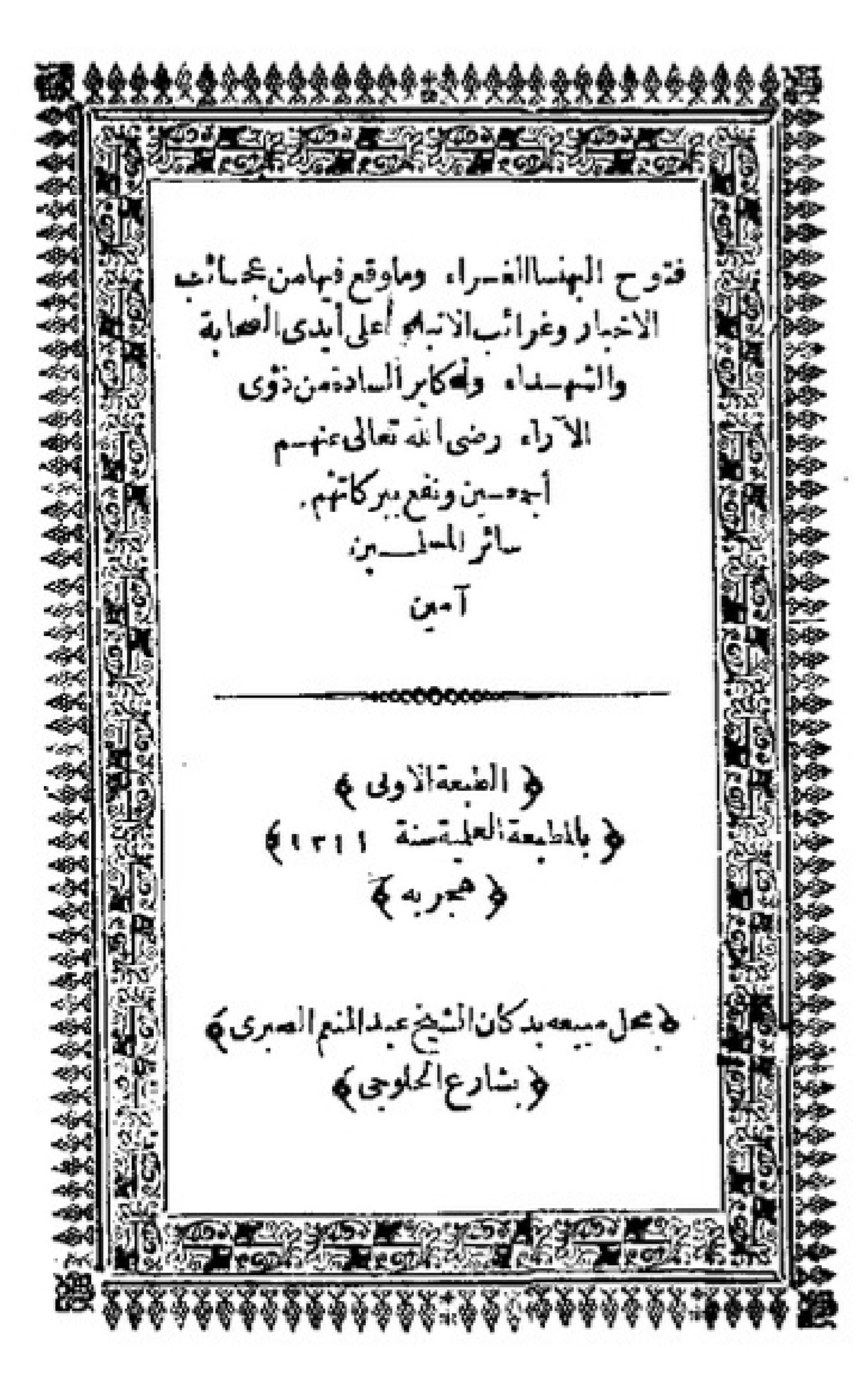


فتوح البهنسا الغراء وما وقع فيها من عجائب الاخبار وغرائب الآثار على أيدى الصحابة والشهداء والأكابر السادة من ذوى الآراء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفع ببركاتهم سائر المسلمين

آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ بالمطبعة العلمية سنة ١٣١١ ﴾

﴿ هجريه ﴾

﴿ بمحل مبيعه بدكان الشيخ عبد المنعم الصبرى ﴾

﴿ بشارع الحلوجى ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي من بالفتح والنصر المبين ومن ببلاده على من ارتضاه من عباده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين والعاقبة للمتقين (قال) الشيخ العلامة والعمدة الفهامة محمد بن محمد المعز رحمه الله تعالى

﴿ذكر فضائل البهنسا وأرضها وتربتها﴾

(اعلم) أن أرض البهنسا في تربتها من الاشراف والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين نحو أربعمائة من الامراء الاعيان فمنهم على بن عقيل وجعفر بن عقيل بن أبي طالب والحسين بن صالح بن الحسين بن على بن أبي طالب وزياد بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن العباس بن أبي لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنذكر من شهد الوقعة بها من الاعيان الامراء (وقد) ذكر جماعة من السادة والامراء الاعيان ان من زار جبانة البهنسا تخاض في الرحمة حتى يعود ومن زارها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ومن زارها وكان مهموما فرج الله همه وغمه وان كان صاحب حاجة قضى الله عز وجل حاجته * وفيها أماكن يستجاب فيها الدعاء منها مجرى الحصى وعند مجرى السيل فان فيهما كثيرا من الشهداء وعند قبر زياد بن أبي سفيان وعند مشهد الحسين بن صالح بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم وعند قبر عبد الرزاق من داخل الباب والجبل وعند معبد السيد عيسى ابن مريم عند قبور الشهداء بسفح الجبل وقبليها مكان يعرف بالمراغة قبلي الجبانة عند قبور الشهداء هناك (وقد) زارها جماعة من الصالحين من أرض العراق وأبو على النووى وسنذكر أنه كان اذا وصل اليها ينزع ثيابه ويتمرغ في تربتها ويقول يالك من بقعة طالما طار غبارك في سبيل الله (وزارها) من كبار الصالحين من أرض المغرب من أقصى الاندلس مشاة على الاقدام وشاهدوا من الفضائل العميمة والبركات العظيمة والامور والبراهين التي شاهدوها عيانا * منهم الامير عبد الله الشكرورى (وقد ذكر أصحاب التواريخ) أنه لم يكن بعد أرض مصر وارض البحيرة

شهداء أكثر من أرض البهنسا وذكروا أنه في مجرى الماء عند منبع السيل من الجهة الغربية قتل هناك جماعة كثيرة واستشهد فيها أربعمائة سيد من الامراء الاعيان نذكرهم عند الفتوح ان شاء الله تعالى

﴿وأما فضائل البحر اليوسفي﴾ الذي عليه مدار هذه المدينة ففيه عجائب (منها) انه غزير البركة مع قرب شطه حتى يروى ما حوله من القرى والبلدان مع قليل من زيادة النيل شيئا يسيرا (ومنها) اذا انقطع عنه مدد زيادة النيل يتفجر من أصله عيون فتصير نهرا جاريا وهذا لا يوجد في غيره من الانهار (ومنها) أنه دفن فيه يوسف الصديق عليه السلام وأقام فيه الى زمن السيد موسى عليه السلام فازداد بذلك بركة ومنها انه شقه جبريل عليه السلام بخافقة من جناحه بامر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام وذلك ان السيد يوسف قد وقع بينه وبين صاحب مصر شئ بعد فراغ السبع سنين المجدبة واجتماع بني اسرائيل فحسدتهم العمالقة على ذلك فقال له رده الى ملكى واجمع رأيهم على القرعة والقسمة فقسمت أرض مصر فوقع الجانب الغربي ليوسف عليه السلام وهو أرض البهنسا وكان قفارا ورمالا وتلالا واراد أن يجرى بها أنهارا من النيل فجمع عشرة آلاف عبد وقيل مائة ألف عبد ودفع لهم مساحي وأعلاقا وأمرهم أن يحفروا فيه من الجهة القبلية الى الجهة البحرية فحفروا ثلاث سنين وقد أجرى لكل جائزة من خزائنه فلما جاء النيل سد جميع ما حفره ففعل ذلك من الجهة البحرية كذلك الى تمام سبع سنين حتى أعياه ذلك فقال السيد يوسف عليه السلام فلقا عظيما واتفق لهم في أيام الحفر انهم دفنوا المساحي في الطور قريبا من خمه من الجهة القبلية فاصبحوا فلم يجدوها فقالوا اسرقنا فاجتمعت البلاد التي عنده فيه سرقنا فاوحى الله اليه يا يوسف استعنت برجالك وأموالك ولم تستعن بي فوعزتي وجلالي لو استعنت بي لاجريته لك في أقل من طرفة عين فخر يوسف ساجدا لله عز وجل وهو يقول سبحانك ما أعظم شأنك وأعز سلطانك ثم انه لما أفاق من سجوده نزع أثوابه واغتسل ولبس المسوح وخرج الى البرية وخر ساجدا متضرعا الى الله عز وجل فاوحى الله اليه يا يوسف ارفع رأسك فقد قضيت حاجتك ثم امر الله سبحانه وتعالى جبريل فشقه بخافقة من جناحه وقيل بطرف ريشة من

جناحه من فمه من الجهة القبلية الى الفيوم فى اقل من طرفة عين بقدرة الله تعالى
فعمر يوسف عليه السلام القناطر وبنى مدينة الفيوم (وقال) بعضهم حفر فيه السيد
يوسف الصديق عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام الف يوم وما سمى الفيوم
الا لاجل ذلك وصار ذلك البحر جاريا من حيث شق سيدنا جبريل عليه السلام الى
آخر الفيوم * واما ما حفرته العبيد من الجهة القبلية والجهة البحرية فانه اذا انقطع
عنه مدد النيل يصير ارضا خالية لا ماء فيها فيزرعون فيه البقول وما اشبهها بخلاف
ما حفره سيدنا جبريل عليه السلام فانه اذا انقطع عنه مدد النيل كان به عيون تنفجر
من اصله فتصير نهرا جاريا وهذا لا يوجد فى غيره من الانهار (ومن) بركاته انه
يقسم باراضى الفيوم ماء يسير فيروى جنائن وزروعات كثيرة صيفا وشتاء وهذا
لا يوجد فى غيره من الانهار ايضا (ومن) غرائب بركته انه اذا زاد النيل يسيرا يكون
اثر الزيادة فيه كثيرا (ومنها) انه على قرب شاطئه مع قليل من زيادة النيل يروى
ما حوله من القرى والبلدان من اعمال ملوى ومنية ابن خصيب واعمال البهنسا
والفيوم حتى ينصب باقيه بالمحل المشهور بالغرق حتى يخشى على اراضى الفيوم من
كثرته وهذا لا يوجد فى غيره من الانهار (قال الراوى) وقسم سيدنا يوسف عليه
الصلاة والسلام الارض بينه وبين اخوته فكانت ارض البهنسا لافرائيم ابن سيدنا
يوسف عليهما السلام فشرع فى عمارتها وقطع الاحجار وعمر الاسوار والمنارات
والقناطر وجعلها تضاهى مدينة ابيه التى هى بالفيوم وكان النهر يجرى من وسطها
من الجهة القبلية ثم يخرج من الجهة البحرية الى زمن الاسلام وسنذكر ذلك فى الفتح
ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وكان بها من الابراج والمنارات والرساتيق
ما لا يوصف وسكنها جماعة من بنى اسرائيل واتخذوا بها دورا وبساتين وذلك غربى
مصر وارض الفيوم وارض البهنسا الى آخر الصعيد من الجهة الغربية كلها كانت
مختصة ببنى اسرائيل وكذا ارض مصر وارض الفيوم وارض البهنسا الى ارض
الصعيد (٢) لا يشاركهم فيها غيرهم وجعل يوسف عليه السلام ثلث العبيد خولة
وفلاحين بارض الفيوم وشرع فى عمارتها وغرس بها الاشجار على جانب البحر

---

٢ (قوله الى ارض الصعيد) اى من غير الجهة الغربية فلا تكرار تامل اه مصححه

اليوسفي من الجهة الشرقية والجهة الغربية وغردت الاطيار على الاشجار تسبح الله الواحد القهار فكان لا يرى شاطئ البحر اليوسفي لكثرة الجنائن والزروعات من سائر الاشجار والاثمار (قال الراوي) كانت المراة تخرج بقطفها على رأسها ومغزلها في يدها وتمضي الى حاجتها فلا ترجع الا وقد امتلأ المقطف من جميع الاثمار من غير ان تمس شيئا بيدها فلما عصت بنو اسرائيل وجحدوا نعمة الله عز وجل وارتكبوا المعاصي نزع الله النعمة من بين ايديهم وسلط عليهم العمالقة والقبط والروم فتعالوا عليهم ونزعوا تلك النعمة من بين ايديهم واحتووا على الملك دونهم بجحودهم نعمة الله وقتلهم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى اتخذوهم عبيدا وجواري وتجارين واستخدموا نساءهم وابناءهم بعد ان كانوا سادات فلم يزل بنو اسرائيل في اضيق عيش واعظم بلاء واشد كربة من التكاليف بما لا يطيقون حتى انقذهم الله تعالى ببعث سيدنا موسى عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وليس الكتاب يختص بذلك وقد احتوى على المدائن والمزارع والبساتين (قال الراوي) وكان أول من ملك مدينة البهنسا شهلون الملك وكان كاهنا يدري علم الهندسة وهو الذي بنى بيتا من الرخام على صفة النيل وجعل فيه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعلى حافات البركة عقابان من نحاس ذكر وانثى فاذا كان اول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتحه واحضر فيه الكهان ويصفر احد العقابين فاذا اصفر الذكر كان الماء زائدا وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا ثم يعرفون الماء بزيادة البركة ويتكلم كل احد منهم في زيادة النيل فاذا عرفوا ذلك تجهزوا واصلحوا الجسور التي على البحر اليوسفي وعمل قنطرة وعمل بمدينة البهنسا عجائب كثيرة مما لا يصف حده الواصفون واحكم فيها زينتها من النقوش شيئا عجيبا وجعل بركة في وسط البلد وعمل فيها صنما عجيبا معلقا على اساطين يرتفع منه الماء وبنى مدينة اخرى في الجانب الشرقي في المكان المعروف الآن بالقيس وجعلها لولده سوريد واحتفر سردابا وعقده بالحجارة من تحت البحر اليوسفي من قصره الى قصر ولده سوريد محكما بالهندسة يسير فيه راكبا بالشمع وغيره من زمن النيل حتى يطلع من هناك (فلما) هلك شهلون تولى ولده سوريد على سرير ملكه مائة وتسعين سنة

وأخذ أمرأ بيه بالعدل والاصلاح وعمل بالمعروف فى الارض والانصاف بين الناس وبنى المنارات والاعلام وعمل فى وسط المدينة امرأة جالسة وفى حجرها صبى كأنها ترضعه وكل امرأة أصابتها علة من العلل فى جسدها مسحت ذلك الموضع من تلك الصورة فيزول عنها جميع ما تجده من العلل والالم وكذلك ان قل لبن المرأة من ثديها مسحت بيدها ثدى المرأة المصنوعة فيكثر لبنها وكذلك ان أحبت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجه الصورة بزيت طيب ومسحت به وجهها وقالت افعلى كذا وكذا يعطف عليك زوجك عطف عليها زوجها وأحبها حبا شديدا فان أصاب ولدها شئ وفعلت مثل ذلك برئ الولد باذن الله تعالى وان عسر عليها النفاس مسحت رأس الصبى فتسهل ولادتها وكذلك اذا أردت افتضاض البكر مسحت على وجهها بزيت طيب ومسحت فرج البكر يسهل افتضاضها وكذلك اذا وضعت المرأة الزانية يدها على المرأة المصنوعة ارتعدت فان كانت بريئة لا ترتعد لها يد وان سرقت المرأة شيأ كذلك ترتعد يدها حتى تكف وترجع عن فجورها وكذلك اذا أتهم زوجته بشئ من زنا أو غيره تضع يدها عليها فان كانت بريئة لا يصيبها شئ وان كانت غير ذلك ارتعدت حتى قل الزنا فى زمانه والفساد والسرقة وعمل فى وقته أعمالا كثيرة وعجائب (منها) صنم يقال له بكر يبرئ من الاخلاط والعلل ويعرفون من يعيش يبرئه من علته ومن يموت من علته ولم يبرأ (وقيل) ان سوريد ملك الى حد الواحات والى أقصى الصعيد والبحيرة وكان أكثر اقامته بمدينة البهنسا وبنى حائطا على حد الواحات من الغرب وعلى حد الاقليم من المشرق وكان سوريد بن شهلون قد تغلب على مصر وجمع الكهنة وصنع على رأس الاقليم بطريقا الى حد الواحات وعمل عندها على الرمل طلسما صفة فارس من النحاس الاحمر راكبا جوادا من نحاس مطلسما بدور دورانا عظيما الى جهة الريح فاى مكان هب الريح حبس الرمل عن الاقليم بامر الله عز وجل وصنع أيضا صنما من حجر اسود ونصبه على باب المدينة فان دخل أحد من أهل الخير ضحك ذلك الصنم وان دخل أحد من أهل الشر بكى ذلك الصنم * وصنع أيضا قاضيا من حجر جالسا على الماء فان تحاكم اليه الخصمان فالذى معه الحق يمشى على الماء

والذى معه الباطل يغرق فى الماء * وصنع أيضا عجائب كثيرة (وقيل) ان
سوريد كان أعلم بتدبير الصنعة وكثرة الكنوز هو وأبوه وأمر بقطع الاساطين العظام
ونشر البلاطات الهائلة واستخراج الرصاص من أرض المغرب واختار الصخر من
ناحية السودان وان كانت سودا وفعل كما فعل صاحب الاهرام وقيل انه هو
صاحب الاهرام وأيضا بنى كنزا عظيما بمدينة البهنسا ينزل فيه بدرج من الرخام
الاسود زهاء مائة درجة الى باب من البولاد المطاسم مقفولا بقفل من البولاد ووكل
به حراسا من الجان يدخل منه الى أزج معقود بالرصاص والحجارة الى قريب الجبل
جهة الجنوب يتوصل منه الى سبع قاعات مبنية بالرخام الملون منقوشة السقوف
بالحكمة والعجائب وملأ ستة منها بانواع الذهب والفضة والمعادن والفصوص
الجواهر ووضع عليه فراشا من الحرير المنسوج بقضبان الذهب واستعمل أيضا
الادوية التى اذا وضعت على خراطيم الميت بعد موته صار طريا على حاله * وأمر
شهلون ولده سوريد اذا مات يضعه فى تلك القاعة هو وحريه واستخدم طلاسم
واستدعى بعمال الملك بيض وكتب لهم طلاسم وأمران تدفع لهم سيوف وان تضرب
أعناقهم فتلبسهم روحانية الاسماء فيكونوا حراسا وكذلك عبيد سود بايديهم آلات
من الحديد على الابواب وكان يخرج من الكنز الى آخره وكتب ما يكون من ابطال
ذلك ودفعه لولده فلما مات وضع على سرير من ذهب وطيف به مدينة البهنسا
أربعين يوما ثم أدخل فى ذلك الكنز هو وحريمه بلباسه وزينته وتاجه ووضع عليه
شبكة من الجوهر مشبكة بقضبان الذهب والفضة هو وحريمه وجعل على يمين السرير
خادم أبيض بيده سيف يشير به وعن يساره زنجى يفعل ذلك وطلسم الكنز حتى مات
شهرمان يعنى أبا شهلون وأيضا انقضت دولة العمالقة وتولت دولة الروم فكان
أول من ملك البهنسا من الاروام ملك يسمى رومان وقيل روم من ولد عيص بن
اسحق عليه السلام فلم يزل الامر كذلك حتى صار الى قسطنطين الاول * وأيضا ملك
سوريد المذكور الشام ومصر واحتوى على المدائن فكان أول من ملك مدينة
البهنسا من دولة قسطنطين من الروم قنطاريوس وكان ملكا عظيما فقسم اقليم
البهنسا ثمانين أقليما على الثمانين بطريقا كل بطريق على مدينة باقليمها وملك

الواحات وجبيت له الاموال وكان فى زمن قسطنطين وفى زمن المسيح عليه السلام
وهو أيضا من كان قد قال بالنصرانية وجمع الاساقفة على العبودية ثم تفرق بعد
قسطنطين الملك الاول والنصارى على فرق وهم طبقات البطريق الاول والاسقف
والقسيس والشماس والدمشوش والشماس صاحب العرف وهم يفطرون اذا
صاموا يوم الاحد والسبت من الظهر ولا يتزوج الرجل منهم غير واحدة لا يزيد
عليها ولا يشرب من الخمر ما يسكره والسكر عندهم حرام ولا يدرون الغسل من
الجنابة الا الذكر وان كانت عبادتهم بالسبت يأخذون القربان ويقولون هذا
لحمك ودمك يعنون المسيح عليه السلام فاذا تفرقوا بعد ذلك أخذوا القربان وقبل
بعضهم بعضا ويورثون فى شريعتهم لعنهم الله النساء جزئين والرجل جزأ واحدا
وليس لهم طلاق ✽ ومن سنة الروم والافرنج أن لا يلبس أحد منهم خفين أحمرين
فان الملك يلبس فردا أحمر وفردا أسود ولذلك كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم
أجمعين يعرفونهم فى الغزوات ولا يأكل ملكهم الا على القينات والالحان والغناء
وأكثر أكلهم السكر بجات والمرققات والاسفيداجات ولحم الخنازير وفيهم الطب
والصناعات والحذق بالرسم حتى ان الرجل منهم يصور الصورة يظهر عليها السرور
ويسمون ملكهم الرحيم وملوكهم يتزوجون وفيهم العدل فى الرعية

﴿ذكر نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بمدينة
البهنسا وخروجه من مصر واقامته﴾

(قال) الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر
أصحاب التواريخ وهم المسعودى وأبو جعفر الطبرى والواقدى وابن اسحق
وأصحاب السير وأهل التفسير مثل سعيد بن جبير وسعيد المسيب وابن عباس وعلى
ابن أبى طالب والثعلبى والزمخشرى ان المراد بالربوة والله أعلم مدينة البهنسا وقال
غيرهم المراد بها مصر وقد جمع من كتب كثيرة وتواريخ عظيمة وتفاسير نفيسة
وفتوحات عجيبة (قال الراوى) كان مولد عيسى بن مريم عليه السلام لمضى ثنتين
وأربعين سنة من ملك أفرسطوس ولاحدى وخمسين سنة من ملك اسكانين بن
أفرسطوس فكانت المملكة فى نواحيها القيصر ملك الروم وكان الملك عظيما من

قبل قيصر هيدروس وكان بالبهنسا اقنطاريوس فلما سمع هيدروس خبر المسيح
عيسى بن مريم قصد قتله وذلك انهم نظروا الى نجمه وقد طلع فعرفوا ذلك بالحساب
عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراده هيدروس
فقال يا مريم أخرجي من مصر فانه ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هيدروس فارجعى
الى بلادك (قال الراوى) فاحتمل يوسف النجار مريم وابنها على حماره حتى دخل
بهما أرض البهنسا وهناك بئر المعبد وكانوا يستشفون منها من الامراض وهى
التى كانت مريم وابنها يتوضآن منها للصلاة وكانت تارة تفيض الماء وتارة لم يجدوا
فيها الماء (قيل) ان مريم لما دخلت بولدها الى أرض البهنسا أتوا الى مكان البئر
المعروفة ورجع يوسف النجار وخلى مريم عند البئر وليس عليها رشاء فطلب عيسى
عليه السلام الماء ليشرب فبكى من العطش فحزنت عليه أمه فارتفعت البئر حتى
شرب منها وهى فى أوان ذلك اليوم تزيد و يعرف بها ماء النيل ويجعل النصارى
لها عيدا الى يومنا هذا وهناك ديور وزروعات ثم ان مريم وعيسى دخلا المدينة
المذكورة روى عن محمد بن الباقر أنه قال تم لعيسى اثنتا عشرة سنة اقامة بالمدينة
وأمه تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى أثر الحصادين وكان قدوم مريم الى أرض
البهنسا وعمره شهران على يدها كأنه ابن سنتين فلما كمل عمره تسعة أشهر أخذته
أمه وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل أبجد فرفع
عيسى عليه السلام رأسه وقال أتدرى ما أبجد فاراد المؤدب أن يضربه فقال يا مؤدب
لا تضربنى ان كنت لا تدرى فسلنى حتى أفسر لك قال المؤدب قل لى فقال له عيسى
عليه السلام انزل عن مرتبتك فنزل وجلس عيسى مكانه وقال الالف آلاء الله
والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله والهاء هوان جهنم وهى الهاوية
والواو ويل لاهل جهنم والحاء الحاطة الخطايا عن المستغفرين والكاف كلام الله
لا مبدل لكلماته والصاد صاع بصاع والتاء تقرشهم حيات جهنم فقال لها المؤدب
خذى ولدك واحتفظى عليه فقد علمه الله فلا حاجة له بالمؤدب قال وهب حدثنا
الحسين بن صالح بن الحسين حدثنا محمد بن حمدون حدثنا حمدون بن خالد حدثنا
أحمد بن هشام الانطاكى حدثنا الحكم بن نافع عن اسمعيل بن يحيى عن أبى مليكة

عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم لما أرسلته أمه الى الكتاب ليتعلم فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم قال عيسى عليه السلام أتعرف تفسيرها فقال المؤدب لا أدري ذلك فقال عيسى عليه السلام الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملائكة الله الى آخرها (قال) وهب كان أول آية أراها عيسى للناس في صباه ان عيسى عليه السلام كانت أمه نازلة في دار ابا البهنسا من أرض مصر عند دهقان من دهاقنة الملك أنزلها يوسف النجار حين أتى بها من مصر فكانت داره تأتي اليها المساكين فسرق له مال جزيل من خزائنه وكان الدهقان خصيصا بالملك صاحب مدينة البهنسا فلم يتهم المساكين فحزنت مريم عليها السلام لمصيبة الدهقان فلما رأى عيسى عليه السلام حزن أمه على مصيبة الدهقان صاحب ضيافتهما قال يا أماه أتحبين أن أدلك على مال الدهقان قالت نعم قال لها قولي له يجمع المساكين الذين كانوا في داره فأعلمت مريم الدهقان بذلك من ولدها عيسى فلما اجتمع المساكين عمد عيسى عليه السلام الى رجلين أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال للاعمى قم فقال الاعمى أنا ضعيف عن ذلك فقال له عيسى عليه السلام كيف قويت على هذا السرقة البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام به الى كوة الخزانة فقال عيسى هكذا احتالا لذلك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق فردا على الدهقان ماله فوضعه الدهقان في خزائنه وقال يا مريم خذي نصف ذلك المال قالت اني لم أخلق لذلك قال الدهقان أعطيه لابنك قالت ان ابني أعظم مني شانا لا يعطى من مخلوق (ثم) لم يلبث الدهقان ان أولم لعيسى عليه السلام فجمع أهل المدينة كلهم فأضافهم شهرين فلما انقضى ذلك زار عيسى عليه السلام ملوك البلاد وأكابرها وليس عنده طعام ولا شراب فأمر عيسى عليه السلام بان يؤتى بجرار الخمر عنائة فلما حضرت جرار الخمر أمر يده عليها فصارت شرابا باذن الله تعالى هذا وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة فازداد فيه أهل البهنسا اعتقادا وكذا من حولها من المدائن والقرى والسواد من أرض مصر الى أرض البهنسا ملوكا وغيرهم من أهل تلك البلاد (قال) السدي وكان عيسى عليه السلام

يخبر الصبيان في المكاتب بما يصنع آباؤهم وأجدادهم فيقول للغلام انطلق
فقد اكل اهلك كذا وكذا فينطلق الى اهله ويبكي لهم حتى يعطوه ما طلب ويقولون
له من اخبرك بذلك فيقول عيسى فتنكروا منه واوصوا صبيانهم ان لا يجتمعوا
عليه فاتى عيسى وكلم الصبيان في شان ما قاله آباؤهم فقالوا نحن لا نتبع الا انت بما
جئت به من عند الله ونحن عصبتك عليهم (قال الراوى) فشاع ذلك في المدينة
فاجتمعت كبار البطارقة والرهبان والقسس وجمعوا اولادهم وعيالهم يحذرونهم
وينذرونهم من عيسى انه ساحر مكار لا يتبعوه وقد حبسوهم في بيت وركبوا عليهم
خدما ونوابا لما يحتاجون اليه في كل يوم خوفا من عيسى فجاء عيسى عليه السلام
للبيت الذي هم فيه فالقيه مغلوقا وعليه الحجاب والنواب فكلمهم عيسى ان يفتحوا
لهم فقالوا له يا عيسى ما هم غلمان ولا عيال غير انهم خنازير فقال عيسى عليه السلام
يكونون كذلك ان شاء الله تعالى ففتحوا لهم الباب فاذا هم خنازير كما قال ففشا
ذلك في الناس وهابوه (قال) السدى لما نزل عيسى وامه عليهما السلام بارض
البهنسا نزلا في قرية من قراها على رجل فاضافهما وكان ذلك الرجل خبازا للملك
فجاء يوما وهو مغتم حزين فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت مريم ما شان
زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تسأليني قالت لها اخبريني لعل الله ان يفرج
عنك قالت لها ان الملك تعني ملك البهنسا جعل على كل واحد من هذه القرية يوما
طعاما يقدمه له ويسقيه الخمر فان لم يفعل ذلك عاقبه الملك واليوم علينا وليس عندنا
سعة قالت لها مريم قولي له لا تهتم فاني آمر ولدي ان يدعو الله فيكفي ذلك فذكرت
مريم ذلك لعيسى ولدها عليه السلام فقال لها ان فعلت ذلك وقع شيء قالت لا تبالي
فان هذا الرجل احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب الملك فاملأ
قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك واذا بالملك قد اقبل فارتجت الارض من
الطبول والزمور والصنوج والمعازف واقبل عيسى عليه السلام فدعا الله عز
وجل فتحول ما في القدور لحما وطعاما ملونا واما الخوابي فتحولت خمرا لم ير الناس
مثله قط فلما راى الملك ذلك اكل وشرب فحصل له سرور كثير ثم انه سال ذلك
الرجل عن ذلك الخمر فقال له هو من ارض الفيوم فلم يصدقه وقال انه ياتيني منها

الخمر والعنب فلم يساو هذا الخمر فقال له من أرض أخرى فانكره عليه الملك ذلك فلما خلط الرجل فى الكلام قال له الملك ان لم تصدقنى والا فعلت بك مالا يليق فقال الرجل وقد علم أن الملك اغتاظ منه أن عندى غلاما ما سال الله شيأ الا أعطاه وانه دعا الله حتى جعل الماء خمرا فتعجب الملك من ذلك وكان للملك ولد يريد أن يستخلفه فى الملك فمات قبل ذلك بايام وكان أحب اليه من كل أحد فقال الملك ائت ذلك الغلام الذى دعا الله حتى جعل الماء خمرا وقل له أن يدعو الله ليحيي ولدى قال فاتى الرجل الى عيسى عليه السلام وأعلمه بامر الملك فقال عيسى لا أفعل فقال له الرجل لاى شئ قال عيسى ان عاش ذلك الولد وقع شئ عظيم فذهب الرجل وأخبر الملك بما قال عيسى عليه السلام فقال الملك لا أبالى بعد ان أرى ولدى وطلب عيسى فلما حضر عنده سأله فى شأن ولده فقال له اذا فعلت ذلك تتركنى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فأحيا الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف ولده علينا فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتلوه فذهب عيسى وأمه والآيات كثيرة وقصة الصباغ مشهورة والله أعلم (ولنرجع) الى القول الاول مع ملك البهنسا اقنطاريوس وكان من أمر الله ما كان ثم هلك واستخلف ولده اسكندراس بعده فاقام على رتبة أبيه فى الملك مدة ثمانين سنة وولد له ولدان فسمى أحدهما توما والآخر بطرس فاقتسما المدينة نصفين بينهما وحصناها ببابين فكان الجانب القبلى لتوما فجعل فيه بابا فسمى باب توما والجانب البحرى لبطرس فاقاما على ذلك أربعين سنة فولد لتوما ولد فسماه روماس وولد لبطرس بنت فسماها بهاء النساء وكانت بديعة فى الحسن والجمال فسميت المدينة بها الى يومنا هذا فتعلمت العلوم والشجاعة وغيرهما فخطبها توما لولده من أخيه بطرس فزوجه اياها ولم يمنعها منه بعد ان شرط لها نصف المملكة فاجابه الى ذلك وكانوا يقولون بدين النصرانية فلما دخل بها جاءت منه بولد وهلك الابوان المذكوران وهما توما وبطرس واحتوى على الملك روماس وكان ظالما فاجرا فاسقا يحرم رعيته بفجر بهن وكان اذا جلس على سرير الملك ليحكم بين الرعية حكم بالفجور وكانت بنت عمه بهاء النساء طيبة فى حق الرعية محسنة اليهم دونه فبنى روماس

رواقا على رأس أربعة عمد من الرخام الملون ارتفاعه عشرون ذراعا عليه قبة من الرخام الاخضر وعليها سبع من الذهب الاحمر عظيم فاتح فاه في عينيه جوهرتان قوائمه من الفضة البيضاء مكلل بالفصوص اذا جاء الليل يكاد نور تلك الجواهر ياخذ بالبصر وداخل القبة التي للرواق منقوش بالذهب والفضة مصور فيها جميع التماثيل وفي ذلك الرواق سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر في جوانبه الاربع أربع صور (الاولى) صورة أسد فاتح فاه في عينيه ياقوتتان من الياقوت الاحمر يخيل للداخل ان يفترسه (الثانية) صورة نسر من الزبرجد الاخضر مرصع باللؤلؤ والمرجان عيناه من العقيق قائم على عود من الذهب الاحمر ناقض أجنحته يخيل للناظر انه يطير ويرتفع وهو حامل باجنحته سحيق المسك الاذفر ثم يدور على العود وينفض ذلك المسك على الملك روماس (الثالثة) صورة غزال من العقيق مرصعة باللؤلؤ والجواهر النفيسة جامعة بعضها وقد وضع لها عود من الفضة عليه لوح من الذهب الاحمر وهي قائمة على ذلك اللوح وانية كانها تريد الهرب من الاسد اذا دار اليها تدور بدوران الحكمة والهندسة (الرابعة) صورة طاوس فيه من جميع العقود واللآلئ وعيناه من عيون الهر الخالصة وكلما ادار النسر وجهه اليه دار عنه كانه يريد الهرب على فراش ملون من أصناف الحرير المنسوج بالذهب وقباب من الذهب الاحمر طوله اثنا عشر ذراعا عليه ستر من الحرير الاخضر مقضب بقضبان الذهب والفضة فسبحان من لا يزول ملكه وبقاؤه (قال الراوي) وكان الملك روماس اذا حكم بأمر يعرضونه على بهاء النساء فان وقع الحكم وقعه أمضته والا أمرت بغيره فلما خالفت أمرها وأساء في حق الرعية شكوا جوره وقومها اليها فأخذتها الغيرة فعند ذلك أتت الى ابن عمها فرأت في مجلسه جواري يضربن على جميع الآلات والغناء وكان في مجلس شرابه أربعمائة جارية والغلمان على رؤسهن بالسيوف المجذبة والدروق المكوكبة والدبابيس المذهبة يحفظون ذلك المجلس حتى يغلب عليهم السكر واذا غلب عليهم السكر تفرقوا فلما لعب الخمر في رؤسهم أتت اليهم بهاء النساء ومعها قطعة بنج فوضعتها في قدح وكانت الآنية كلها من ذهب وفضة وزبرجد وبلور مزملك بالذهب والفضة وباطية الخمر من المرمر

المنقوش بالحكمة طولها ستة أذرع مملوءة خمرا والسقاة يملؤن منها تلك الاوانى فجعلت فى ذلك القدح سما وسقته اياه فوقع على الارض مطروحا وتفرق من كان فى المجلس فتقدمت بهاء النساء وأخذت خنجرا وحزت رأسه ثم استدعت بالغلمان واحتفر وا ظاهر القصر حفيرة والقوه فيها وجعلت رأسه على عود كبير فى القصر فاصبح أرباب الدولة وأصحاب الصولة من الحجاب والنواب والوزراء والبطارقة يريدون الدخول لخدمته على جرى العادة فوجدوا رأسه معلقة فتغيرت ألوانهم فخاطبتهم بهاء النساء وقالت لا باس عليكم فانى ما فعلت ذلك الا لاجلكم من جوره عليكم فشكروها على ذلك وملكوها عليهم واستقام الملك لها وأحسنت فى حق الرعية وأطاعها أهل جميع الاقاليم الى أطراف مصر وهابتها الملوك الى حد الصعيد وحد برقة ورتبت الحكماء والكهنة وأصحاب العلوم فلما تم حملها ولدت ولدا ذكرا ففرحت به فرحا شديدا فسمته توشدون فلما كبر وشب دفعته الى معلم السحر والكهانة والنجوم فتعلم جميع تلك العلوم وكانت هى ماهرة فى جميع العلوم حتى قيل انها صنعت امرأة من المعادن لا ينظر اليها أحد من أهل المملكة يريد غدرها الا وقد كف بصره عنها الوقته وكانت اذا جلست للحكومة وجلس أرباب الدولة تخرج اليهم تلك المرأة فينظرون فيها وهى على صورتها فيتيقنون انها الملكة بهاء النساء فمن نظر الى تلك الصورة عمى بصره لوقته فتامر بقتله أو بحبسه ومن لم ينظر اليها كفى من ذلك بغير ضرورة فهابتها الناس وأهل المملكة وأطاعوها فى حكمها وأقامت على ذلك الحكم مدة (قال الراوى) فسمع بذلك توشال ملك الاشمونين وكان كاهنا ساحرا فاراد أن يحاربها ويقاتلها ليأخذ منها ملكها ويحتوى عليه وذلك بعد أن شب ولدها وأتى اليها بخبر توشال فاستدعت باكابر الدولة وأصحاب الصولة واستشارتهم فى أمر ولدها ووضعت التاج على رأسه وأجلسته على سرير الملك وأقامت تسوس أمره فى الملك هذا • وقد جمع توشال جنودا عظيمة من أقصى الصعيد الى آخر مملكته لحاربتها فلما سمعت بذلك أرسلت الرسل وجمعت العساكر من حد الواحات الى مصر يعنى اقليم الجيزة وأتاها صاحب طحا ذات الاعمدة فى عساكر عظيمة وجهزوا الجيوش وساروا بجيوشهم حتى وصلوا الاشمونين فخرج

اليهم توشال بجنود كثيرة والتقيا بمكان يعرف بالمرج قريبا من الاشمونين وكان مع
توسدون ابن الساحرة بهاء النساء عساكر عظيمة وقد صنعت السحرة وامه له تماثيل
كثيرة هائلة ونيران محرقة واقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم توشال وهرب بمن معه فى
الجبال والاودية فجد توسدون فى طلبه حتى أدركه وظفر به فقبض عليه واجتمع
الناس ينظرون الى فراسة توسدون وقد قتل جماعة كثيرة من أصحاب توشال
واسر جماعة منهم أيضا وأراد أن يبيعهم فمنعته أمه من ذلك وقالت له هذا الى ملكك
فهو أهيب لك فملك الاشمونين ورجع الى مدينة البهنسا منصورا وجلس على
سرير ملكه واستدعى بتوشال وشد رأسه باسطوانة قائمة وشدت رجلاه بأخرى
وكان طوله فيما تقول القبط فى كتبهم عشرين ذراعا ووكل به حراسا الى يوم عيدهم
وكان لاهل البهنسا عيد يجتمعون فيه وما حولها من المدن والسواد وأهل القرى
فيقيمون بمكان يعرف بالميدان قبلى المدينة ثم ان توسدون أودع توشال فى السجن
وكان العيد قريبا فصاح فى نصف الليل صيحة عظيمة مات منها نصف الحراس
وهرب الباقون فلما بلغ أم الملك توسدون ذلك أمرت باحضار توشال وأمرت أن توقد
لنار فاوقدت وجعلت تأمر بقطع أعضائه عضوا عضوا وتلقيه فى النار حتى فنى
جسده وقد كبر ولدها توسدون فكان كاهنا منجما حاسبا يدرى العلوم والهندسة
بامر الشياطين أن يبنوا له قبة فى وسط المدينة من الرخام دائرة على دوران الفلك
صور فيها صورة الكواكب جميعا وكانوا يعرفون منها أسرار الكواكب
الطبائع وما يحدث فى زمانه من الامور فى الاقاليم وبعد مضى مدة فى دولته ماتت
به الساحرة وأمرته أن يجعل جسدها فى تمثال من الرخام الازرق المطلسم المرصد
مدأن أمرت أن لا يجعل عليها شيئا من اللبن وأمرته أن يطلى جسدها بدواء حتى يمنع
نهايبوسة الاعضاء وان تدفن تحت البحر اليوسفى فكان كما وصفت وكانت
تخبرهم بالعجائب وهى ميتة وتجيبهم عن كل ما يسالون عنه فاطاعوا ولدها وهابوه
كانت تتصور لهم فى صورة ما سمعت ولا رؤيت قط وملكهم ابنها مائة سنة (قال
اوى) وصنع فى زمانه بارض البهنسا سقاء على ظهره قربة ماء ووضعه فى بيت فى
مدينة فكان أهل المدينة يصعدون فيجدون جميع البيوت مملوءة ماء للشرب

والغسل وغير ذلك ولم يزل كذلك بالمدينة حتى جاد الله بالاسلام فولى عليها فى خلافة بنى أمية عبد العزيز بن مروان فامر بفتح البيت الذى فيه السقاء فنعوه من ذلك فلم يمتنع وفتحه فلم يجد فيه الا السقاء وعلى كتفه قربة ماء فارغة فلما رأوه باتوا وأصبحوا فبطلت تلك العادة عن أهل البهنسا (قال الراوى) وصنع أيضا بيتا آخر وجعل فيه أسماء العرب وملوكهم وخلفائهم والصحابة وصورة عمر بن الخطاب وأخبرهم عن قصة خالد بن الوليد وانه يأتى الى البهنسا ويحاصرها هو وأناس من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وانه يزول ملكهم على يد خالد بن الوليد اذا فتح ذلك الباب ووضع عليه أقفالا من البولاد وأمر من يتولاه من بعده أن لا يفتحه فان زوال ملكهم فى فتح الباب حتى صور العرب وأكابر الصحابة فى ذلك البيت راكبين ورماحهم على عواتقهم فلم يزل الباب مغلوقا حتى فتحه البطلوس عند مجىء الصحابة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم أجمعين وسنذكر ذلك فى الفتح ان شاء الله تعالى وقد ملكهم مائة سنة (قال الراوى) ولما حضرته الوفاة أمر أن يصنع له صنم من الروم يكون شقتين ويطلى جسده بالادوية الممسكة ويدخل فى تلك الصورة ويلحم عليه بين الشقتين ويعملون له فى كل سنة عيدا وان يدفن فى الكنز الكبير كنز المدينة ففعلوا له ذلك ثم تولى من بعده ولده تومانوس فسار فى الناس كسيرة أبيه وجدته الساحرة المذكورة بهاء النساء وهابته الناس واجتمعوا عليه وكان يقول بدين النصرانية أيضا (قال الراوى) وكان قد سمع به جماعة من البربر وملكهم يسمى سرياقى ملك صقلية بالمغرب فجمع جموعا وأرادوا أن يغزوا مدينة البهنسا فلما وصلوا الى الواحات سمع بهم الملك تومانوس فارسل اليهم بطريقا من بطارقته فى جمع كثير وأرسل معهم الكهنة بانواع العجائب وأرسل الملك اليهم أيضا قوادا فى جمع عظيم لقتاله فاقتتلوا فهزمهم أهل البهنسا وأسروا منهم خلقا كثيرا وأتوا بهم من حد اسكندرية الى دمسيس حتى دخلوا أرض البهنسا فامر الملك ان يضرموا النيران وامرهم ان يسوقوا الاسارى فيها فساقوهم اليها واحدا بعد واحد وادخلوهم تلك النار وكان المقدم عليهم اخرس ودخل النار فلما دخلها اخذته فولى هاربا فاتوا به الى الملك فسأله عن امره فاقر فاخذه معه الى الحصن فصلبوه على

اسطوانة عظيمة وقيل المصلوب كان هو الملك بعينه وكتبوا على الاسطوانة هذا
فلان بن فلان المتغلب على الشرق والغرب وأمر باطلاق الباقين وقيل لهم قد
وجب عليكم القتل لأنكم من أراد الفساد في الارض ولكن الملك بفضله قد عفا
عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده فخرجوا من حيث بشروا بالسلامة فكانوا لا يمرون
باحد الا حدثوه بما رأوه من العجائب وكان أهل البهنسا لا يعملون شيا من امورهم
الا استاذنوه فيه وانقطعت المطامع من الوصول الى أرض البهنسا من صعيد
وغرب ومصر (قال الراوي) وعمل في زمانه عجائب كثيرة منها بطة من نحاس قائمة
على اسطوانة فاذا دخل الغريب الاقليم أو ناحية من نواحيه صفقت تلك البطة
بجناحيها فيؤخذ ويكشف عن أمره ومقصده وغزا بلاد الغرب وغرس فيها اغراسا
كثيرة وعمل فيها أعلاما كثيرة واشارات بطريق الغرب وأقام مائة وثلاث سنين
وهلك (قال الراوي) ثم تولى من بعده ولده ركمانوس وهو جد البطلوس الذي فتحت
المدينة في زمانه فسار بسيرة ابيه وكان يقول بدين النصرانية أيضا وصنع له كنيسة
عظيمة في وسط البلد لها أبواب كثيرة قيل أربعون بابا منها داخل بعضها في بعض
مستديرة اذا دخل الغريب يدخل من باب قيدروس ويدخل من الباب الذي
دخله مدهوشا من عظم العمارة وكثرة التماثيل وذلك بعد ان أمر بطبخ اللبن وقطع
الاحجار وجلب الرخام المنقوش الملون وجعل من داخلها اسطوانات من الرخام
الملون وجعل فيها مقاصير من النحاس الاندلسي والاخشاب الملونة المنقوشة فيها
عجائب وتماثيل وجعل لها أربعة أبواب كل باب ارتفاعه عشرة أذرع وعرضه سبعة
أذرع وكل باب مركب من داخله باب آخر فيه ثلثمائة وستون بابا صغارا قد
أحكمت بالهندسة كلما مر يوم من السنة من أول يوم النيروز انفتح باب من ذاته
وانغلق باب من ذاته وجعل فيها أربع قبب كل قبة على أربعة أعمدة من الرخام
المنقوش وكل قبة مقابلة بالاخرى منقوشة بنقوش رفيعة من الذهب واللازورد
أيضا في حيطانها جميع التماثيل من الصور من آدمي ووحش وطير ودوائر وكل قبة
لا تشبه الاخرى تصويرا مفروشة بالرخام من جميع الالوان وعليه أنواع البسط

والوسائد والنمارق من داخل الباب الى صدر الهيكل وبيت القربان فاما الهيكل فجعل له بابا من البولاد منقوشا بالذهب والفضة وعليه أقفال من الذهب والفضة أيضا وسعة الهيكل ثلاثون ذراعا مبني بالاحجار المنحوتة من جميع الالوان من داخله قبة عظيمة على أربعة أعمدة من الحديد والقبة من الرخام الازرق والابيض والاحمر والاسود الملون مشبكة بشبابيك من الذهب والفضة كل شبكة طولها أربعة أذرع ومن داخل القبة قبة أخرى من الرخام اللازوردي مجعول فيها صورة الكواكب والشمس والقمر تدور بحركات أحكمتها أهل الهندسة والحكمة وباب القبة من داخل باب آخر من العاج فيه اثنا عشر بابا من النحاس المطلسم كلما مر ساعة من النهار انفتح باب من ذاته وانغلق باب من ذاته وجعل علوها خمسين ذراعا وجعل على رأس القبة الكبيرة شخصا من نحاس طوله خمسون ذراعا قائما وبيده سيف مطلسم وهو يشير به الى الداخل فاذا دخل الغريب البلد دار الشخص دورانا عظيما وقيل انه كان يفعل ذلك اذا قدم عليه جيش من مسيرة ثلاثة أيام فيستعدون لذلك ومن داخل الكنيسة صورة المسيح وصورة السيدة مريم عليهما السلام من ذهب والى جانبهما صورا أخر عليها ستور من الحرير الملون المنسوج بقضبان الذهب والفضة وصنع أيضا عجيبة أخرى كانت توضع بين يديه وهي اناء من البلور يأكل منه الملك ومن معه فلا ينقص منه شئ بل يبقى على حاله ومائدة من الجزع الاخضر على أربعة أعمدة من الذهب عليها صفة طيور من الذهب اذا جلس في الكنيسة توضع بين يديه طولها عشرة أذرع وعرضها مثل ذلك تدور بحركات هي وما عليها وما فيها من الاطعمة الى كل أحد بما تشتهيه نفسه من الطعام وصنع أيضا باطية من البلور محكمة النقش مطلسمة مرصودة بالغلات اذا جلس الملك للشراب توضع بين يديه وتاتي الدهاقنة والبطارقة والدماشقة بين يديه ثم يأمر لكل أحد بما يشتهي من مسكر وغيره من جميع الاشربة ثم تأتي الجواري وأصحاب الطرب يغنون ويشربون الخمر وغيره وأقام في ذلك الملك مدة أربعين سنة ثم هلك فدفن في تلك الكنيسة المذكورة في تاجه ولباسه وأقمشته ووضع في تابوت من الذهب الاحمر في قاعة قد أعدها لنفسه فيها أمواله وكنوزه ينزل

الى تلك القاعة بثلاثين درجة وطلسم ذلك الكنز وجعل عليه بابا من حديد ووكل
به حراسا يحرسونه والله أعلم (قال الراوي) فلما هلك تولى من بعده ابنه قيدروس
وهو أبو البطلوس لعنه الله ولكنه لم يعرف في العلوم مثل أبيه الا أنه كان مهابا عند
الملوك وكان مولعا بالنساء والجواري الحسان وعمارة القصور وكان عادلا في الرعية
وبنى في مدينة البهنسا قصرا عظيما من الجهة البحرية الى الجهة الغربية الى شرقي
المدينة وكان علو جدرانه أربعين ذراعا من داخله رستاق عظيم وبركة عظيمة
مسقوفة بألواح الرخام المنقوش ومن داخلها أيضا مما يلي الجهة البحرية بركة
عظيمة ملآنة من الماء واحتكم والماء بمجاري الرصاص المحكم تحتمل الماء
من البحر اليوسفي الى تلك البركة وغرس حول البركة من الاشجار ما لا يحصى وجعل
بدائرها مقاصير مبنية بالرخام على أعمدة من الرخام بفرجات بين الاشجار خارجة
الى تلك البركة مسقوفة بسقف من الاخشاب المنقوشة باللازورد والذهب والفضة
فيها غالب التماثيل يتوصل منها الى قصر عظيم عالي الجدران من الحجارة المنحوتة
المنقوشة علو جداره خمسون ذراعا من داخله قاعة عظيمة مرخمة الارض مسقوفة
بسقف من الخشب المطعم بالذهب والعاج والآبنوس من المدهون المنقوش
بايوانين متقابلين بعضهما ببعض سعة كل ايوان أربعون ذراعا في عرض ذلك
وبينهما فسقية من الرخام الملون عليها قبة من البلور المضيء على أربعة أعمدة من
الذهب والفضة طول كل عمود عشرة أذرع وفي وسط الفسقية فوارة ارتفاعها خمسة
أذرع يصب الماء من البركة بحكمة الى الفسقية وأربعة أسود من الذهب مرصعين
باللآلئ والجواهر وهم فاتحون أفواههم والماء ينصب من أفواههم الى الفسقية
ثم يرتفع الى القبة بشاذروان عظيم من الرخام الملون ويرتفع الى سقف القاعة ثم
ينسكب ويسقط ولا يبتل أحد من الجالسين على ذلك الايوان بحكمة وهندسة ثم يعود
الى البركة وصنع بدائرة القاعة شبابيك أيضا من ذهب وفضة وجعل على كل ايوان
سريرا طوله عشرون ذراعا وعرضه مثل ذلك وقوائمه من عظام الافيال المرصعة على
صور من ذهب وفضة وبنى قصرا آخر على أربعة أعمدة طوال علوها في الارتفاع زهاء
خمسين ذراعا وهو على قواعد من الرخام منقوشة مقدار ثلاثين ذراعا ووضع عليها

ألواحا من الذهب الملون وبناه بالحجارة المنحوتة حتى جعل ارتفاعه من فوق الاعمدة
أربعين ذراعا وجعل له قبة من الرخام الملون من داخلها نقوش محلاة بالذهب والفضة
وعلى رأس القبة تمثال من الذهب وهو يدور مع الشمس حيث دارت واتخذ أعمدة
من جانب الكنيسة من وسط البربة الى قصره وعمل عليها عقودا وجعل مطلعه من
البربة العتيقة المذكورة ويدخل من باب سره وحريمه ويمشي في تلك الممشاة الى
القصر والقصر والبربة موجودان الى يومنا هذا وآثارهما باقية وأخربت الصحابة
والمسلمون رضي الله عنهم ثلث المعالم كلها وصنع له بساط كما صنع لكسرى ملك
الفرس طوله ستون ذراعا في مثلها يجلس عليه هو ووزراؤه عند ذهاب الزهر
والروض في قوة الشتاء وفيه من جميع الزهور مرقوم من ذهب وفضة وحرير ولؤلؤ
ومرجان وغير ذلك لم يوجد مثله في زمانه ورثه من بعده ابنه البطلوس وغنمه المسلمون
رضي الله تعالى عنهم أجمعين وسنذكر ذلك عند الفتح ان شاء الله تعالى وقسم الغنيمة
(قال الراوي) وأقام في الملك ستة وثلاثين سنة ثم هلك ودفن أيضا في الكنيسة
المذكورة (وتولى) بعده البطلوس وهو الذي فتحت المدينة في أيامه (قال الراوي)
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله في المملكة ستون سنة والله أعلم وكان
فارسا شديدا وبطلا صنديدا واحتوى على الملك وحمل اليه الخراج من حد الواحات
الى حد برقة واحتوى على بلاد كثيرة من الصعيد الى قرب الاشمونين ثم الى سيدوم
بالوجه البحري وكان يحكم على غالب بطارقة اقليمه كلهم قد دانوا له وأطاعوه ومنع
منه وتحت طاعته لما فتحت مصر أن لا يدخلوا في صلح المسلمين وقال من فعل
ذلك قتلته وأخذت ماله وأخربت دياره وقتلت أولاده وهتكت حريمه قال فخافوا
من أجل ذلك حتى فتحت مصر والجيزة والبحيرة وسكندرية فداخله الخوف لما
ملكت المسلمون هذه المدائن وكان قد فتحها قبل ذلك وملك المسلمون بعد ذلك
كله وتوجهوا الى الوجه القبلي ونزلوا اهناس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر فتوح مدينة البهنسا وما جرى فيها من الحوادث وما فيها من الفضائل
وما وقع للصحابة فيها رضوان الله تعالى عليهم أجمعين﴾

(قال الرواة) بأسانيد صحيحة عمن حضر الفتح وعاين فضائل من أصحاب السهم

والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله تعالى وأبي جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخه
البداية والنهاية ومحمد بن اسحق وابن هشام رحمهم الله تعالى وكل زاد في حديثه
على حديث الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواية عمن حضر الفتوحات وشاهد
الوقعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأكثر ذلك عن عظماء الصحابة
وكبرائهم مثل عبد الله بن عمرو بن العاص أمير الجيوش على مصر وأخيه محمد وخالد
ابن الوليد وولده سليمان وقيس بن هبيرة المرادي والمقداد بن الاسود الكندي
وميسرة بن مسروق العبسي والزبير بن العوام الاسدي وابنه عبد الله وضرار بن
الازور ومن بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الفضل بن العباس بن عبد
المطلب والفضل بن أبي لهب بن عبد المطلب وجعفر وعلي أولاد عقيل وعبد الله بن
جعفر ومن أبناء الخلفاء مثل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن
الخطاب وأبان بن عثمان بن عفان وقد اختصرنا في أسمائهم خوف الاطالة وكل
منهم حدث بما عاين عند الفتح وما شاهد من الوقائع وحدثوا بذلك أبناءهم رضي الله
تعالى عنهم أجمعين (وقد) أخذنا في هذا الفتوح على قاعدة الصدق لاثبات فضل
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم أجمعين اذ لولاهم ما كانت
البلاد للمسلمين ولا انتشر هذا الدين المتين لقد تبعت سراياهم في الارض شرقا وغربا
حتى ولت الاعداء منهم هربا وسكبوا دماءهم على الارض سكبا واستباحوا أموال
الكفار سلبا ونهبا والله عز وجل قد جعل في قلوب أعدائهم منهم خوفا ورعبا فهم
نجوم الهداية وأهل الولاية فقد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلا فهم الذين
قال الله تعالى في حقهم تعظيما لهم وتبجيلا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (قال الراوي) حدثنا
أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المقري غفر الله له أنه قال اطلعت على فتوحات كثيرة
فوجدت فيها زيادات ونقصانا كل ذلك من تواريخ منقولة وكنت قدمت الى
مدينة البهنسا لزيارة الجبانة لما رأيت في ذلك من الفضائل والاجور والخير
والحبور فان زيارتها تمحص الذنوب وتفرج الكروب وتحسن الاخلاق وتدر
الارزاق وتورث النصر على الاعدا وتكفي البؤس والردى لما فيها من السادات

والشهداء ممن باع نفسه لله وقتل فى سبيل الله ابتغاء مرضات الله ممن قال الله
تعالى فى حقهم وله الفضل والمنه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان
لهم الجنة فهم أحياء فى الجنان يأكلون ويشربون كما قال الله تعالى فى كتابه
المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموانا بل أحياء عند ربهم يرزقون
فزرنا الجبانة فى ساعة الاسحار ورأينا ما بها من الانوار وزرنا قبور السادة الاخيار
نرجو من الله العزيز الغفار أن يحط عنا الذنوب والاوزار وان يجعلنا من أمة سيدنا
محمد المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام
فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة أخبرنا عن تلك السادة الامجاد وما كان
لهم من الصبر على الغزو والجهاد فسألني بعض الاصحاب عن سبب فتح مدينة
البهنسا ليدفع بذكرها البؤس والاسا فتحرك لذلك خاطرى فاسهرت فيها ناظرى
وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت الراحات حتى انتخبت هذا الكتاب فهو
كالدرة اليتيمة التى لا يعرف لها قدر ولا قيمة ترتاح عند سماعه النفوس ويزول
عنها الغم والبؤس ويشجع القلوب على الجهاد ويعين على اقامة العدل فى البلاد
ابتغاء لوجه الله الكريم راغبا فى الثواب العظيم وذلك بعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى
آله وأزواجه وصحابته أجمعين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين
(حدثنى) من أثق به من الرواة ممن تقدم ذكرهم رضى الله تعالى عنهم قال لما فتح
عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه مصر والاسكندرية والبحيرة والوجه البحرى
وكان بالصعيد نوبة وبربر وديلم وصقالبة وروم وقبط وكانت الغلبة للروم لكثرتهم
(قال الراوى) ثم ان عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه استشار الصحابة رضى الله
عنهم الى أى جهة تقصدون وهل نسير الجيوش والجنود شرقا أو غربا وماذا نصنع
فاشار عليه أصحابه ان يرسل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
يكاتبه ويعلمه بذلك الى أى جهة نقصد فاستدعى عمرو بن العاص رضى الله عنه
بدواة وقرطاس وكتب كتابا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمرو بن العاص عامل أمير المؤمنين

على مصر ونواحيها الى أبي عبد الله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأثني عليه وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والانصار ولله الحمد والمنة يا أمير المؤمنين قد فتحت مصر والوجه البحري والاسكندرية وتروجه ودمياط ولم يبق بالوجه البحري مدينة ولا قرية الا فتحت بالاسلام وأعز الله المسلمين وأذل المشركين وأعلى كلمة الدين وقد اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السادة الامراء والاخيار والمهاجرين والانصار وهم يطلبون الاذن من أمير المؤمنين هل يسيرون الى الصعيد أو الى الغرب والامر أمرك يا أمير المؤمنين فانهم على الجهاد قلقون وقد باعوا أنفسهم لله رب العالمين وانا منتظرون جوابك يا أمير المؤمنين والدعاء منك عند ضريح خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكتب هذه الابيات

صوارمنا تشكي الظماق أكفنا * وأرماحنا تبكي من الصد والهجر
اليك افتقار الحرب يا طيب الثنا * ويا من أقام الدين بالفتح والنصر
فقد زلفت خيل الكرام الى العدا * بنو شيبة الشراء ثم بنو فهر
وصالت لؤي مع معد وغالب * وسادات مخزوم الكرام ذوي الفخر
تروم مسير العداة على شفا * تمكن في أعلاهم البيض والسمر
على كل طرف غائص في دلاصه * يجمجم في نقع الوطيس كما الجمر
بكل كمي صادق الوعد صائل * ترى درعه الزاهي تمكن في الصدر
يرى الموت في نقع الوقائع مغنما * ويكسب من قتل العدا غاية الاجر

(قال الراوي) فلما فرغ عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه من انشاده عرضه على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى برجل من الصحابة يقال له سالم بن نجاح الكندي فسلم اليه الكتاب ودفع له ناقة عشارية فاستوى على ظهرها وخرج يريد المدينة وهو يقول هذه الابيات

أسير الى المدينة في أمان * وأرجو الفوز في غرف الجنان
وأرجو ان يقرب لي اجتماعي * واعطى ما أريد من الاماني

الا يا ناقتي جدي مسيرا * الى نحو النبي بلا امتهان
واقريه السلام وانشديه * كلاما صادقا حسن البيان
الا يا اشرف الثقلين يا من * به شرف المدينة والمكان
فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * فانت مشفع فى كل جانى

(قال الراوى) ولم يزل سائرا ليلا ونهارا حتى قدم الى المدينة الطيبة الامينة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وكان ذلك بعد صلاة العصر فدخل المدينة وأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها بفضل زمامها ودخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وكان متوضا فصلى ركعتين بين الروضة والمنبر ثم انه تقدم فوجد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه جالسا قال سالم فسلمت عليه فرد على السلام ثم صافحني وكان لما رآنى أقبلت وأنا فرحان فقال سالم جاء بكتاب من مصر مرحبا بك يا سالم قال ثم التفت فاذا عن يمينه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعن يساره عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وحوله سادات المهاجرين والانصار مثل العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة ابن عبد الله وبقية من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين ثم ناولته الكتاب فقال ما وراءك يا سالم فانت سالم فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى فقلت الخير والبشرى والامن يا أمير المؤمنين قال فلما قرأ الكتاب استبشر واستنار وجهه ودفعه الى على ابن أبى طالب ثم الى عثمان رضى الله تعالى عنهما ثم قرأه على الناس فاستبشروا وفرحوا بفضل الله ورحمته وبنصره لدين الاسلام وكانت الغنائم وصلت الى المدينة قبل ذلك بايام وقسمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين (قال الراوى) واستشار عمر رضى الله تعالى عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومن حضر من الصحابة فاشار عليه على أن عمرو بن العاص لا يسير بنفسه بل يجهز له جيشا وعشرة آلاف فارس ليكون ذلك أهيب له فى قلوب أعدائه وأن يؤمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فانه سيف الله عز وجل فقال عمر رضى الله تعالى عنه وعنهم صدقت يا أبا الحسن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان خالدا سيف من سيوف الله تعالى وفى رواية ان خالدا سيف

الله لا يعمد عن أعدائه (قال الراوى) ثم بات سالم تلك الليلة فلما أصبح توضأ وصلى الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه يسأله رد الجواب فاستدعى عمر رضى الله تعالى عنه بدواة وقرطاس وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله على مصر ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وانى قد قرأت كتابك وفهمت خطابك فاذا قرأت كتابى هذا فاستعن بالله تعالى ورابط الخيل وأرسل الامراء لكل بلد أمير ليقيموا بها شعائر الاسلام ويعلموا الاحكام وجهز عشرة آلاف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عليهم خالد بن الوليد وأرسل معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الاسود الكندى وغانم بن عياض الاشعرى ومالكا الاشترى وذا الكلاع الحميرى وأصحاب الرايات وجميع الامراء وأمرهم أن ينزلوا على المدائن ويدعوا الناس الى الاسلام فمن أجاب فله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى فعليه الجزية فان عصى وامتنع فالحرب والقتال واستعينوا بالله واصبروا واذا حاصرتم مدينة فشنوا الغارات على السواد وقد بلغنى أن بصعيد مصر مدينتين احداهما يقال لها اهناس والثانية يقال لها البهنسا الا أن البهنسا أحسن وأمنع وأعظم وأحصن وبلغنى ان فيها بطارقة أقباطا غلاظا مناسفا كالكلاب المدماء يقال له البطلوس وهو أعظم بطارقة مصر وانه ملك الواحات فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا ما بين المدينتين وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية أنت ومن معك وانصف المظلوم من الظالم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وخذ للضعيف حقه من القوى ولا تأخذك فى الله لومة لائم وأقم أنت بمصر وأرسل الاجناد واذا احتجت مددا فكاتبنى أبعث لك المدد والمعونة من الله عز وجل وأسأل الله تعالى لكم الفتح والنصر والحمد لله رب العالمين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى سالم فأخذه وودع الصحابة بعد أن توضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل يجد فى السير ليلا ونهارا الى أن

وصل الى مصر فوجد عمرو بن العاص نازلا هو والصحابة رضي الله عنهم بالجيزة لاجل
رعي الماشية زمن الربيع وهو جالس في خيمته هو وأصحابه وهذه الخيمة كانت
للقبط من الحرير الازرق والاحمر والاصفر منقوشة بانواع النقش من جميع
الالوان وكان وسعها ثلاثين ذراعا وفيها بسط مفروشة كانت للقبط وهو والصحابة
جلوس فيها يتحدثون مع خالد والمقداد والفضل بن العباس وغانم والزبير والامراء
جميعهم رضوان الله تعالى عنهم أجمعين وهو كاحدهم قال سالم فانخت ناقتي فسمعت
عمرا يقول وأنا خلف الخيمة لم يرني لقد أبطا سالم فقال خالد كانك به وقد أقبل قال
فعقلت الناقة وأقبلت عليهم مسرعا فاحس خالد بي من داخل الخيمة فقال سالم
فقلت لبيك يا أبا سليمان فقال مرحبا بك يا سالم وحياك الله قال ثم تقدمت وسلمت
على عمرو بن العاص وخالد وعلى بقية الامراء رضي الله عنهم أجمعين ثم ناولت
الكتاب لعمرو بن العاص فقرأه وفهم ما فيه ثم دفعه الى خالد فقرأه والزبير وبقية
الامراء ففرحوا بذلك فرحا شديدا (قال الراوي) ثم ان عمرا استشار الامراء في ذلك
وكانوا لا يفعلون شيئا الا بمشورة بعضهم بعضا فلذلك مدحهم الله تعالى في كتابه
العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم فاشاروا عليه أن يرسل خلف الامراء
والاجناد المتفرقين بالجيزة والبحيرة شرقا وغربا وأن يرتب الجيوش ويقصدوا
الصعيد ويتوكلوا على الله عز وجل لقوله سبحانه وتعالى فاذا عزمت فتوكل على الله
ان الله يحب المتوكلين (قال الراوي) لهذا الفتح العجيب والامر المطرب الغريب
الذي لم يسمع مثله الا في هذا الفتوح وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم لما فتحت
مصر والوجه البحري قد تفرقوا في البلاد فكان بعضهم في الاسكندرية وتروجة
ودمسيس ودمياط ورشيد وبلبيس وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف
بالمنزلة أي منزلة القعقاع بن عمرو التميمي وهاشم بن المرقال وميسرة بن مسروق
العبسي والمسيب بن يحيى الفزاري فعندها استدعى عمرو رضي الله عنه بالنجباء
والسعاة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن أنيس الجهني
وحاطب بن أبي بلتعة وعمرو بن أمية الضمري ومثل هؤلاء رضي الله عنهم وكتب
الكتب وأرسلها الى الامراء جميعا فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة لانهم رضي الله

تعالى عنهم كانوا أشوق الى الجهاد فى سبيل الله تعالى من العطشان للماء الزلال
وأقاموا فى المدائن والبلاد من يحرسها ويحفظها من العدو وتوجهوا الى مصر
مسرعين حتى نزلوا حولها وأخبروا عمرا رضى الله تعالى عنه بذلك (قال الراوى)
فتحول عمرو الى الجهة الشرقية ودخل دار الامارة وهى قريبة من الجامع العمرى
وأقبلت السادة الامراء يسلمون عليه وكان ذلك فى يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع
الاول سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وقيل اثنين وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم (قال الراوى) حدثنا عبد الله بن
محمد قال حدثنا عبيدة بن رافع عن أبى جحيفة عن جابر بن عبد الله الانصارى
وحدث بذلك محمد ابن سلمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال لما قدمت الامراء
والاجناد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى مصر أقاموا الاربعاء والخميس والجمعة
فلما كان يوم الجمعة المبارك خطب عمرو وصلى بالناس ولما فرغ من الصلاة أمر
الناس أن لا يتفرقوا حتى قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه فلما انقضى شان الصلاة رقى عمرو المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على
نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الكتاب عليهم رضى الله تعالى عنهم فلما
فرغ من قراءته تواثبوا عليه كالاسود الضارية الى فرائسها وقالوا كلهم سمعنا
وأطعنا ولارواحنا فى سبيل الله وطاعته بذلنا وللجهاد طلبنا وفى الثواب رغبنا
والى الجنة اشتقنا قال ففرح عمرو بذلك ثم قال لهم ان أمير المؤمنين قد أمرنى أن
أولى عليكم سيف الله والنقمة على أعداء الله صاحب القتال الشديد والبطل
الصنديد خالد بن الوليد (قال الراوى) وكان خالد صديقا لعمرو فى الجاهلية
وأسلما فى يوم واحد ثم التفت عمرو الى خالد رضى الله تعالى عنهما وقال له ادن
منى يا أبا سليمان فدنا منه وكان عمرو دهقانا فى العرب فقال يا معشر أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلموا أنكم كلكم لكم الفضل وانى لست بأفضل منكم
وفيكم من هو من ذوى قرابة ونسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فله حق وفضل
وأنتم السادة الامراء وانى كأحدكم وأنتم تعلمون ان خالدا نصوح لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ونقمة على أعدائه وأنا وأنتم تحت أمر أمير المؤمنين فى طاعة

الله عز وجل وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأن أمير المؤمنين قد ولاه على
الجيوش وأمره بالمسير الى الصعيد لما قد فتح الله تعالى على يديه من البلاد
وما أذل الله تعالى على يديه من الأجناد (قال الراوى) فوثب الفضل بن العباس
رضى الله تعالى عنه وقال ايها الامير اننا قد بذلنا انفسنا وارواحنا فى رضا الله
تعالى لا نريد بذلك الا وجه الله تعالى وان خالدا من خيارنا وهو من ابطال الاسلام
وحماة دين الملك العلام ولو امر علينا عبد حبشى لامتثلنا امره فى رضا الله عز وجل
فناهيك بخالد وهو سيد من السادات لا ينكر فضله فى جميع الحالات عزيز فى
الجاهلية والاسلام قال فتهلل وجه عمرو وخالد فرحا حيث رضوا بامارة خالد عليهم
ثم امرهم عمرو بالنزول بارض الجيزة قريبا من الاهرام (قال الراوى) فخرجوا من
الجامع العمرى ونزلوا حيث امرهم واخذوا فى اصلاح شانهم وناهبوا السفر فهذا
يصلح سيفه وهذا يصلح رمحه وهذا يصلح درعه وساروا فى الجانب الغربى وضرب
عمرو فسطاطه قريبا من الهرم الشرقى واقبلوا يضربون خيامهم حوله حتى تكاملوا
رضى الله تعالى عنهم اجمعين (قال الراوى) بسنده الى الواقدى وابن اسحق وابن
هشام رحمهم الله تعالى لما تكاملت الجيوش وهل ربيع الآخر فى السنة المذكورة
وصلى عمرو باصحابه صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة
من المسلمين ومعه خالد بن الوليد والمقداد بن الاسود والزبير بن العوام والفضل بن
العباس الهاشمى وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وهاشم بن المرقال والمسيب بن يحيى الفزارى والعباس بن مرداس السلمى واولاد
عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على رابية مرتفعة واشرف على الجيوش فلما
راى اجتماعهم فرح بذلك فرحا شديدا ثم امر خالدا باعراض الجيوش فتقدمت
الامراء واصحاب الرايات وصار كل امير منهم يعرض جيشه وبنى عمه على عمرو قال
فكانت عدتهم فيما ذكروا والله اعلم ستة عشر الفا فانتدب منهم عشرة آلاف
فارس كلهم ليوث عوابس عليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهندية
معتقلين بالرماح الخطية راكبين على الخيول العربية وهم خيار امة محمد صلى الله
عليه وسلم خير البرية (قال الراوى) فعند ذلك قال لهم عمرو يا معاشر الامراء

والسادات الاخيار ان خالدا أمير عليكم فاسمعوا له واطيعوا امره وكونوا كلمة واحدة ونازلوا المدائن والقلاع وشنوا الغارات على أهل السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم الى الاسلام بشهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا فالحرب حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وارسلوا الطلائع ولا يكن فى الطلائع الا كل مشكور فى الحرب والقتال واذكروا الله كثيرا ولا تولوا الادبار وثبتوا أنفسكم ولا يغرنكم كثرة أعدائكم فانتم الغالبون فقد ذكر الله فى كتابه العزيز المتين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فانتم الاعلون والله معكم وأنتم كلكم أهل الفضل والثناء والسابقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلتم بين يديه فلا تحتاجوا الى وصيتى بارك الله فيكم وعليكم قال فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانا أردنا الجهاد ابتغاء مرضاة الله تعالى (قال الراوى) ثم ان عمرا استدعى باصحاب الرايات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول من تقدم خالد بن الوليد وتلاه الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو راكب على جواده الاغر شاكى سلاحه النضيد فاعطاه الراية وامره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم امام العسكر وهز الراية وأنشد يقول هذه الابيات

أنا الزبير وأبى العوام * ليث شجاع بطل همام
قرم هزبر فى الوغى هجام * يفر منى الفارس الضرغام
وانني يوم الوغى مقدام * بهمتى ينتصر الاسلام

(قال الراوى) ثم دعا الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما وأمره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستلم الراية بيده وهزها وأنشد يقول هذه الابيات

انى أنا الفضل أبى العباس * وفارس منازل هراس
معى حسام قاطع دراس * يفلق منه الهام والاضراس
تفنى به الاعداء والارجاس * ولا يكون فيه الا الباس

(قال الراوى) ثم استدعى بزياد بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان رضى

الله عنه فارساً شديداً وبطلاً صنديداً وأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وأنشد يقول هذه الابيات

انا الفارس المشهور كم لي وقائع * وحد حسامي للمعاند قاطع
ورمحي على الاعداء عند حروبهم * اذا احتكم الاهوال للضد قاطع
وعزمي في الهيجاء مازال ماضياً * ورايي سديد للمحاسن جامع
اصول على الاعداء صولة قادر * وافنيهم ضرباً بابيض لامع
امام لدى الهيجاء من نسل هاشم * وانجمنا بالمكرمات طوالع
انا ابن ابي سفيان من نسل حارث * تموت العدا منى اذا انا فازع

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده الفضل بن ابي لهب فامره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

انا الاسد الذي مازلت يوماً * على الاعداء اطعن في الصدور
واسقيهم بكاسات المنايا * بحد السيف ضرباً في النحور
فياويل العدا مني لاني * ساتركهم جميعاً في القبور

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فامره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

اسير الى الاعادي باهتمام * وقلب صادق حسن المرام
بابطال جحاجحة اسود * سراة في الوغى قوم كرام
ابيدهم عداة الدين جمعاً * ولا اخشى من القوم اللئام
اذا ماجاث في الهيجا برمحي * اصول به وفي كفي حسامي

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فامره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

وحق من أنزل الآيات في السور * وأرسل المصطفى المختار من مضر
لا أنثني عن لقا الاعداء لو جمعوا * من كل وجه أو جاؤا عدة المطر
حتى أبيدهم ضرباً وأتركهم * فوق الثرى رمماً مشروخة الصور
بكل قرم همام ماجد بطل * على الوقائع يوم الحرب مقتدر

نحن الكرام الاولى جاءت سريتنا * من عند أهل الندى ليث الوغى عمر

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده جعفر بن عقيل فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وجعل يقول هذه الابيات

أنا ابن عقيل من لؤى وغالب * همام شجاع غالب للغالب

حماة الوغى أهل الوفا معدن الصفا * الى جودنا انا مناخ الركائب

ولا يعرف المعروف الا بعرفنا * ولا الجود الا جودنا بالمواهب

علا مجدنا فوق الثنا وثناؤنا * على العرب العربا وأهل الكتائب

فياويل أهل البغى منا اذا التقت * فوارسنا فيهم بحد القواضب

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده أخوه الفضل بن عقيل فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وجعل يقول هذه الابيات

الفضل اسمى من بنى عقيل * أسير للحرب بلا تمهيل

بحد سيف قاطع صقيل * أبيد كل كافر جهول

ندين بالحق بلا تحويل * ونرتضى الصدق بلا تبديل

دين النبى المصطفى الرسول * محمد المقصود والمأمول

من جاء بالتوحيد والتهليل * وحكمة القرآن والتنزيل

أزكى نبى شافع مقبول * ادعى حبيب للهدى دليل

له اللوا يظله الظليل * وتحته الرسل بلا تحويل

حباه ربى كامل التفضيل * له صلاة ربنا الجليل

والآل بالاجمال والتفصيل * بجاهه المرجو للقبول

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده المقداد بن الاسود الكندى فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وأنشد يقول

أنا المقداد فى يوم النزال * أبيد الضد بالسمر العوالى

وسيفى فى الوغى ابدا صقيل * طليق الحد فى اهل الضلال

معى من آل كندة كل قرم * مجيد الطعن فى يوم المجال

فياويل العدا والروم منا * اذا التحم الفوارس فى القتال

فتــــتركهم به اعجاز نخل * تقطعها الفوارس بالنصال

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده عمار بن ياسر العبسى رضى الله تعالى عنـــه فامره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وجعل يقول

انا الهمام الفارس الكرار * تفنى بسيفى الفرقة الكفار

ان جالت الخيل فلا انكار * لاننى يوم الوغى عمار

وســـيلى محمد المختار * صلى عليه الواحد القهار

وآله وصحبه الاخيار * مابان ليـــل واضا نهار

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده عباس بن مرداس السلمى فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وأنشد يقول

أنا العباس ذو الرأى السليم * معى سادات آل بنى سليم

أذل بهم طغاة الرأى لما * ترى الهيجاء كالليل البهيم

وسيفى مطلق الحديد أضحى * لاهل الشرك كالموت العميم

به أفنى الطغاة بكل أرض * وأقتل كل أفاك أثيم

ونحن بنو سليم خير قوم * هدينا للصراط المستقيم

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وأنشد يقول

أسير باسم الواحد المنان * جهرا لاهل الكفر والطغيان

أذيقهم ضربا على الابدان * بكل هندى مبيد الجانى

انصرد بن الملك الديان * ذى العز والقدرة والسلطان

جاء به خير الورى العدنانى * محمد من جاء بالقرآن

معظما وهو العظيم الشان * صلى عليه الله ذو الاحسان

وآله والصحب والاخوان * ماناح قمرى على الاغصان

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده غانم بن عياض الاشعرى رضى الله تعالى عنه وأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وانشد يقول

شهدت فوارسنا الكرام ومعشرى * انى اذا ارتفع المناسب اشعرى

قرم همام في المقامع قاطع * لجهاد ابطال الاعادى مزدرى
و براحتي عضب صقيل ابيض * يوم التلاطم للعداة وسمهرى
يا ويل كلاب الروم منه اذا اتى * ورأى لميع بريقه بالمنظر
فلاقتلن به فوارس قومه * واذيقهم الم العذاب الاكبر

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده ابوذر الغفارى رضى الله عنه فامره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وأنشد يقول

سامضى للعداة بلا ارتياب * وقلبى للقا والحرب صابى
ولى عزم أذل به الاعادى * وأرجو للاجور وللثواب
ولو صال الجميع بيوم حرب * لكان الكل عندى كالكلاب
أذلهم بابيض جوهرى * طايق الحد فيهم غير آبى

(قال الراوى) ثم سار وتقدم من بعده الامراء وأصحاب الرايات مثل القعقاع بن عمرو التميمى والمغيرة ابن شعبة الثقفى وميسرة بن مسروق العبسى ومالك الاشتر النخعى وذو الكلاع الحميرى والوليد ومحمد بن عقبة بن أبى معبد الجهنى وهاشم بن المرقال وعقبة بن عامر الجهنى وعلى وجعفر وعبد الله أولاد عقيل بن أبى طالب الهاشمى والمرقال وجابر بن عبد الله الانصارى ورفاعة بن زهير المحاربى وعدى بن حاتم الطائى ومثل هؤلاء السادات رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد اختصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة (قال الراوى) فلما تكاملت الجيوش وتاهبوا للسفر خرج لوداعهم عمرو بن العاص وبقية الصحابة وسارت الكتائب وتتابعت المواكب يتلو بعضها بعضا وخلفهم الدرارى والصبيان حتى أتوا الى الجيزة ونزلوا بمكان يعرف بالمرج الكبير قريبا من تلك المدائن والقرى والرساتيق وتقدمت الطلائع يتجسسون الاخبار وكان بدهشور بطريق عظيم من قبل أرمانوس صاحب أهناس وانتشرت الاخبار من أول يوم تجهزت الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا (قال الراوى) فلما وصل الخبر الى بطريق اهناس وكان فارسا مكينا وكان العيناقات له الله وكان يقول انه يناظر البطلوس

في ولايته لكن البطلوس صاحب البهنسا العنبه الله كان أشد باسا وأعظم مراسا وأقوى مددا وأكثر عددا وأوسع بلادا فقال فكاتبه في ذلك وكاتب روشال صاحب الاشمونين وكاتب قرافيس صاحب قفط وكان يحكم الى اخميم وكاتب المكيكالخ صاحب اسوان وكان يحكم الى عدن الى البحر المالح الى بلاد النوبة والبجاة وحد السودان وتسامعت الناس بمسير العرب الى الصعيد وكانت الملوك بعضها بعضا وماج الصعيد باهله الى حد الوحات ووقع الرعب في قلوبهم (قال الراوي) فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاة وعلى ملك النوبة وجمعا ما حولهما من العساكر والجنود من أرض النوبة والبجاة والبربر وأتيا الى اسوان قال وكان مع ملك البجاة ألف وثلثمائة فيل وعليها قباب من الجلد المشبك المصفح بالفولاذ وفي كل قبة عشرة من السودان عراة الاجساد طوال على أكتافهم وأوساطهم جلود النمور وغيرها ومعهم الدرق والحراب والكرابيج والقسي والمقاليع والاعمدة الحديد والطبول والقرون وكانت عدتهم عشرين ألفا (قال الراوي) فلما وصلوا الى اسوان خرجوا الى لقائهم في عسكر عظيم فاعلموهم بامرهم فتبادر واليهم بالملاقاة والعلوفات من الذرة والشعير ولحوم الخنازير والقصب ولحوم الضباع وغيرها من الوحوش قال فانزلوهم وأقاموا في الضيافة ثلاثة أيام ثم ان بطريق اسوان أخرج معهم جيشا عظيما وأمرهم بالمسير معهم ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى ملك قفط صاحب القلعة التي هي قريبة من قوص وعمل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا وساروا حتى وصلوا الى روشال صاحب الاشمونين ففعل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا قال وساروا حتى وصلوا الى انصنا وكان صاحبها بطريقا عظيما وبطلا جسيما وكاهنا منجما وكان يحكم شرقا وغربا الى حد طحا واهريت وكانت انصنا مدينة عظيمة على شاطئ البحر بها جند كثيرة وفيها عجائب عظيمة ولها حصن عظيم من الحجر الاسود علوه ثلاثون ذراعا ومن داخلها قصور ومقاصير ومراتب وكنائس وقلاع على أعمدة من الرخام وغيره الى داخل المدينة (قال الراوي) وحاصرها المسلمون مدة وقتل فيها عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأخذوها بعد ذلك وخربوها وقتلوا كل من كان فيها ولم يسلم

منهم احد (قال الراوى) ثم رجعنا الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب لما نزلت تلك العساكر بانصنا خرج اليهم بطريقها جيس بن قابوس بن انصنا الرومى وتلقاهم بالضيافة والعلوفة واكرمهم وبعث معهم ابن عم له يسمى قيطاروس فى اربعة آلاف فارس وكان فارسا شديدا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا بارض البهنسا عند بطريق يقال له فلوصنا وهو من بطارقة البطلوس فاضافهم واكرمهم (قال الراوى) فلما سمع بذلك البطلوس المنكوس خرج الى لقائهم فى عسكر عظيم زهاء خمسين الف فارس من البطارقة وعليهم الدروع المذهبة والاقبية الديباجية المرقومة بالذهب والفضة وعلى رؤسهم التيجان المكللة باللآلى والجواهر راكبين على الخيول والبراذين المسرجة بسروج الذهب والجنائب مغطاة بغواشى من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة وكان معه خمسون صليبا تحت كل صليب ألف فارس طول كل صليب أربعة أشبار مان لذهب وهو منقوش وعلى رأس كل صليب رمانة من الذهب والفضة وهى تضىء كالكواكب وهم فى زى عظيم وقد أكثروا من الطبول والزمور والضرب بالقرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم الجمال والبغال المحملة باوانى الذهب والفضة والخمور ومعهم الاغنام والابقار فلما التقوا بالمكان الذى ذكرناه وجاءهم البطلوس ترجلت الملوك والبطارقة الى لقائه وسلم بعضهم على بعض ثم تكلموا فى أمر العرب فقال لهم البطلوس المنحوس لا تطمعوا العرب فيكم ولا فى بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركته أكلك وان منعته فروه لك فانتبهوا واصدقوا العزم وقد كانت لكم سنجابا بالك برقة وكانت بطريق الواحات وكانكم بهم وقد أقبلوا عليكم ولولا أننى أخشى أن العرب يهجمون على بلادى اذا سمعوا أنى قد خرجت معكم فيشتغل جماعة بقتالكم وجماعة يأتون الى بلادى فيملكونها وليس فيها من يذب عنها بعد خروجى الى لقائهم لكنت معكم وقاتلتهم قال كرماس الرومى وكان ممن اسلم بعد ذلك وحضر وتحدث به ان البطلوس قال يا معشر الملوك والبطارقة انى قد اطلعت على الكتب القديمة فرأيت انهم اذا ملكوا البهنسا ونواحيها الا تقوم لاهل الصعيد قائمة بعد ذلك ابدا (قال الراوى) فلما سمع الملوك ذلك أصغوا القوله ثم انه انتدب من

بطارقته عشرين الف بطريق ممن اشتهر بالقوة والشجاعة والبراعة وملك عليهم صاحب الكفور وكان اسمه بولص وكان كافرا طاغيا ودفع له صليبا من الذهب الجوهر وعلما من الحرير والاطلس الاصفر المرقوم بالذهب وفيه صورة الشمس ودفع له ما يحتاج اليه من الجنائب والقباب والسرادقات والمضارب والخيام من الديباج الملون والآنية من الذهب والفضة والصناديق المزركشة بالذهب والفضة والبراذين والبغال التي عليها الجلال الحرير الملون وبعضها محلى بالاواني المذكورة والخيام والسرادقات (قال الراوي) وسارت العساكر وتتابعت المواكب يتلو بعضها بعضا حتى اذا كانوا قريبا من بابلكبرى خرج اليهم بطريقها سنداوس وتلقاهم واضافهم وجهز معهم عشرة آلاف فارس من صناديد البطارقة وولى عليهم بطريقا يسمى داروس وكان يناظر بطريق الكفور في القوة والشجاعة والبراعة ثم ساروا حتى اذا كانوا قريبا من برنشت خرج اليهم بطريقها وهو يناظر البطريق الاعظم رأس بطارقة الكورة ولم يزالوا سائرين حتى ملؤا الارض شرقا وغربا هذا ما جرى لهؤلاء (واما) ما كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم لما نزلوا قريبا من دهشور كادوا كرنا وكانت الاعيان من المسلمين من بني طي ومذحج يلبسون لباس العرب المتنصرة ويتجسسون الاخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقا متبصرين فلما نظروا الى هؤلاء الجموع وكثرتهم هالهم امرهم (قال الراوي) حدثنا سنان بن قيس الربعي عن طارف بن مكسوح الفزاري عن زيد بن غانم الثعلبي وكان ممن شهد الوقعة وحضر الفتوح وكان مع جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس نصلح من شأننا ما نحتاجه ونتهيأ للسفر اذ قدمت الجواسيس واعلموا خالدا بالعساكر وكثرتهم فقال لهم احزرتم الجيوش قالوا نعم ايها الامير نرى انهم مائتا الف وخمسون الف رجل من النوبة والبجاة والفلاحين والعشير وهم في اهبة عظيمة ومعهم الف وثلثمائة فيل وعلى ظهورها الرجال كما وقع في يوم حرب العراق (قال الراوي) فلما سمع الامراء بذلك الامر اضطرب بعضهم في بعض فمنهم من ثبت جنانه وقال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وأما خالد رضي الله

عنه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قرأ قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ثم قرأ قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا قال لاصحابه لا تهنوا والذلك واصبروا فانتم الاعلون والله معكم وأنتم الغالبون فليست جموعهم باكثر من جموع يوم اليرموك ولا من جموع الاجنادين ومع ذلك قد ملككم الله أرضهم وبلادهم وديارهم وقصورهم ومصرهم التي هي تاج ديار عزهم وملككم الله الوجه البحري وقتلتم ملوكه وبطارقته وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز بايديكم وذلت لكم الاقاليم والمدن والبلاد وان أردتم مددا يأتيكم من كل الجهات وقد كنتم قليلا فكثركم الله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم معه بالملائكة الكرام ووعدكم الله تبارك وتعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ليستخلفنكم في الارض فقال جل من قائل وهو أصدق القائلين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيا والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق الامين المصدوق ولن يخلف الله وعده ومن قتل منكم في سبيل الله عز وجل صار الى روح وريحان وجنة نعيم ومن قتل منهم فهو في سبيل الشيطان فنزل من حميم وتصلية جحيم فاثبتوا واصبروا وابشروا فالجنة تحت ظلال السيوف راشكروا الله واذكروا نعمة الله عليكم فانه اختصكم دون خلقه وجعلكم أنصار دينه وأتباع نبيه وسبقتم الناس بصحبته وفضلكم على سائر الامم كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء (قال الراوي) فلما سمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلام خالد تهللت وجوههم فرحا وسرورا وقالوا له أيها الامير نحن كلنا بين يديك وقد بذلنا أنفسنا وأرواحنا في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته لا نريد بذلك الا وجه الله تعالى قال ثم ان خالدا أرسل زيد بن مفرج التنوخي مسرعا الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك فجعل

عمرو بن عمه خارجة مكانه على مصر وكان رجلا صالحا وأوصاه بالرعية وترك عنده ألفين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج فى أربعة آلاف فارس ليوث عوابس (قال الراوى) وسار حتى وصل اليهم فلما أقبل عليهم عمرو رضى الله تعالى عنه سلموا عليه وقالوا له نحن نكفيك أيها الامير فقال أعلم ذلك منكم ولكنكم فى أول بلاد العدو وما ينبغى لى أن أتخلف عنكم قال ففرحوا بذلك وتاهبوا لقتال العدو وفى كل يوم يخرجون الطلائع يتجسسون الاخبار (قال الراوى) فلما كان فى بعض الايام خرج الفضل بن العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وجعفر بن عقيل وأخواه على ومسلم وعبد الله بن الزبير وسليمان بن خالد بن الوليد ومحمد بن فرحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعيد بن أبى وقاص ومحمد بن سلمة الانصارى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وزياد بن أبى سفيان وزياد بن المغيرة وتبعهم من السادة الامجاد نحو أربعمائة سيد من أولاد الصحابة والامراء أصحاب الرايات وألف وستمائة من أخلاط الناس من المهاجرين والانصار ولبسوا دروعهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وتنكبوا بحجفهم وساروا حتى وصلوا الى دير قريب هناك يعرف بدير المسيح بسفح الجبل يكشفون الاخبار (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار ساطعا منعقدا وارتفع حتى بلغ عنان السماء فقالوا ما هذا الاغبار وحش أو غنم فقال الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما ليس هذا غبار وحش فانه لو كان كذلك لكان ينقطع قطعا ويتفرق فرقا وانما هو عسكر جرار فان الخيل اذا داست بحوافرها ارتفع الغبار الى عنان السماء (قال الراوى) حدثنا أبو زياد عن عبد الله بن أبى مالك الخولانى عن طارق بن شهاب الجرهمى عن عبد الرحمن بن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال بينما نحن نتكلم مع الفضل واذا بالغبار قد انكشف عن عشرة آلاف فارس ومعهم الاعلام والصلبان فلما رأونا طمطموا بلغتهم ثم لم يمهلوا دون أن حملوا علينا حملة رجل واحد (قال الراوى) وكان ضرار بن الازور قد انفرد ومعه مائتا فارس من أصحابه من أهل النجدة وساروا فى طريق الجبل على غير الجادة قال

فبينما هم كذلك واذا بالغبار قد ثار وانكشف عمن ذكرنا فلما عاينوهم أيقنوا بالهلاك فعندها وثب ضرار رضي الله تعالى عنه وقال لا فرار من الموت فلم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم وأحاطوا بهم فعلموا انه لابد من القتال ووقعت العين في العين والتقت الرجال بالرجال وصبر المسلمون صبر الكرام لما أحاطت بهم الكفرة اللئام من كل جانب ومكان فلله در ضرار لقد قاتل ذلك اليوم قتالا شديدا فلم تكن الا ساعة حتى قتل من أصحاب ضرار جماعة وكابه جواده فاخذوه أسيرا وأسروا جماعة من أصحابه (قال الراوى) وكان رأس البطارقة صاحب بيسا الكبرى فاوثقوا ضرارا وأصحابه كتافا وربطوهم على ظهور خيولهم وأرسلوهم الى العسكر فانفلت منهم مولى من موالى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقال له سالم فسار مجدا في سيره حتى قدم على خالد واعلمه بذلك وأعلم عمرا رضي الله تعالى عنهما قال فعظم عليهما وكبر لديهما وأراد خالد أن يسير بنفسه فمنعه عمرو من ذلك فعندها وثب المسيب بن يحيى الفزارى ورافع بن عميرة الطائى وأخذا معهما ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وساروا ومعهم رجل ممن اسلم من اهل الجيزة يدلهم على طريق غير الجادة وكمنوا هناك عند الدير وقد سبقوا البطريق الذى سار بضرار وأصحابه واقتفوا الاثر فقال لهم الدليل ما أظنكم الا قد سبقتم القوم فاكمنوا هنا وكان الذين مضوا بضرار وأصحابه خمسمائة فارس (قال الراوى) وكانت خولة بنت الازور قد شق عليها أسر أخيها فلما سار المسيب بن يحيى الفزارى ورافع بن عميرة الطائى وجماعتهما في طلب أخيها فرحت وسر قلبها وقامت مسرعة ولبست درعها ولامتها وأتت الى خالد وقد دهم المسيب ورافع وأصحابهما بالمسير لخلاص الاسارى فقالت له سألتك أيها الامير بالطاهر المطهر خير خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن تأذن لى بالمسير معهم فعسى ان أكون مشاهدة ما يكون من الوقعة ومساعدة لهم فانه أحب الى فقال خالد للمسيب ورافع أنتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فقالا السمع والطاعة ونزلوا بالمكان الذى ذكرناه فبينما هم نزول عند الدير كامنون واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال رافع والمسيب لاصحابهما رضي الله تعالى عنهم أيقظوا عزائمكم وقواهمكم وتلقوا عدوكم بقلوب

صادقة ونيات خالصة ساعة فايقظ القوم انفسهم و بقوا فى انتظار العدو واذا هم قد أقبلوا وهم محدقون بضرار وهو متالم من شدة الكتاف وهو ينشد و يقول هذه الابيات ألا بلغا قومى وخولة اننى * أسير رهين موثق اليد بالقيد

وحولى علوج الروم من كل كافر * وأصبحت معهم لا أعيد ولا أبدى

فلو أننى فوق المهذب راكب * وقائم حد العضب قد ملكت يدى

أذقت كلاب الروم بالسيف نقمة * وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكمد

فيا قلب مت حزنا وغما وحسرة * ويا دمع عينى كن معينا على خدى

الى أن أرى قومى وخولة حولنا * وألزم ما كانوا عليه من العهد

كابى جوادى فانثنيت على الثرى * وأصبحت بالمقدور قد فاتنى قصدى

وصلى اله العرش ربى دائما * على السيد المختار من فاز بالرشد

(قال الراوى) فنادته أخته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاك وقبل تضرعك ونجواك ولا شمتت بك عداك ها أنا أختك خولة ثم انها كبرت وحملت وكبر رافع والمسيب واصحابهما وحملوا على القوم قال جبير بن سالم وكنا اذا كبرنا تصهل الخيل لتكبيرنا الهاما من الله عز وجل فما كان الا قليلا حتى قتلناهم عن آخرهم وخلص الله ضرارا وأصحابه من الاسر وأخذنا خيل القوم وأسلابهم وسلاحهم قال وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون رضى الله تعالى عنهم بارض الصعيد (قال الراوى) ولما تخلص ضرار فرحت اخته بذلك فرحا شديدا وسلمت عليه ثم انه ركب جواده عاثرا فى المعركة وأخذ قناة وجدها مطروحة واطلق عنانه قاصدا الروم وهو ينشد و يقول هذه الابيات

لك الحمد ربى دائما كل ساعة * مفرج أحزانى وهمى وكربى

فقد نلت ما أرجوه من كل راحة * جمعت لشملى ثم أشفيت علتى

سألقى كلاب الروم فى كل معرك * وربى هو الرحمن عضد همتى

فويل كلاب الروم ان ظفرت يدى * بهم سوف أصليهم بسيفى نقمتى

وأتركهم صرعى جميعا على الثرى * وقد شربوا كأس المنون براحتى

(قال الراوى) فما فرغ ضرار من شعره الا والخيل قد أقبلت منهزمة وكان المسيب فى

ذلك انه لما حملت الروم على الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنه صاح هو وبنو عمه وأصحابه ولم ترعهم كثرة عدوهم وصبروا صبر الكرام واشتد الزحام وعظم المرام وجرت الدما واسودت السما وحمي الوطيس وقل الانيس ودارت رحا الحرب وكثر الطعن والضرب وجالت الرجال وهمهمت الابطال وقوي القتال وعظم النزال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وعظمت الامور وغابت البدور وكانت المسلمون لا تعرف بينهم لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير فوالله لقد صبر الفضل بن العباس وبنو عمه صبر الكرام وأغاظوا هؤلاء الكفرة اللئام فلله در الفضل لقد اصطلى نار الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة ويقاتل والراية في يده ولله در مسلم بن عقيل واخوته لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى كانت الدماء على دروعهم كانها أكباد الابل ولله در سليمان بن خالد بن الوليد المقتول بوقعة الدبرقر بيامن طنبدابقرية تسمى بدربوط وقتل معه عبد الله بن المقداد بن الاسود الكندي وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسيأتي ذكرهم عند الوقعة ان شاء الله تعالى قال محمد بن سلمة الانصاري رضي الله تعالى عنه قاتلنا قتال الموت وأيقنا ان الحشر من هناك (قال الراوي) ولم يزل القتال يعمل والدماء تنزل من ارتفاع الشمس الى أن غربت وقتل من الروم مقتلة عظيمة قال وتقدم الفضل بن العباس الى بطريق عظيم وهو راكب كانه برج من ذهب وطعنه في صدره فطلع السنان يلمع من ظهره قال فلما رأت الروم ذلك شجعوا أنفسهم وفشا القتل بيننا وبينهم وقتل من المسلمين أربعون فارسا وقتل من المشركين ثمانمائة قال فبينما نحن كذلك واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد سطعت ثم ارتفعت وانقشع الغبار عن رايات اسلامية وعصبة محمدية زهت عن ألفي فارس وفي أوائلهم فرسان أمجاد وسادات أنجاد أحدهم المقداد والثاني زياد والقعقاع بن عمرو التميمي وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومعهم ألفا فارس فلم يمهل المقداد دون أن حمل عليهم وقد غاص في القوم وهو ينشد ويقول هذه الابيات

ألا انني المقداد في الحرب صائل * وسيفي وكفي طائل ومطاول

اذا اشتدت الاهوال كنت أمامها ٭ وفي راحتي السمر الطوال الذوابل
ولي همة بين الورى تزدري العدا ٭ بها شهدت أبطالهم والقبائل
فليس لسيفي في الانام مبارز ٭ وليس لشخصي في الانام منازل

(قال الراوي) ثم غاص في وسط الحرب وحمل من بعده زياد بن أبي سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب وهو ينشد و يقول هذه الابيات

اني زياد بن أبي سفيان ٭ أبي وجدي أشرف العربان
وابن عمي أحمد العدناني ٭ معي حسام مرهف يماني
وفي يدي رمحي لكل جاني ٭ من كل كلب عادم الايمان

(قال الراوي) ثم غاص في وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وغاص في القلب فولت الروم من بين يديه منهزمين وهو يضرب فيهم طولا وعرضا ثم حمل من بعده القعقاع بن عمرو التميمي وهو ينشد و يقول

أنا الهمام الفارس القعقاع ٭ ليث شجاع ضيغم مطاع
وبحسامي تشوى الاضلاع ٭ وتقطع الهامات والاضلاع
من الحياة تقطع الاطماع ٭ وتهدم الحصون والقلاع
يفر من أغرى به النزاع ٭ مني اذا احتكمت الادراع
وللاعادي طال مني الباع ٭ وسيد مهذب شجاع

(قال الراوي) ثم حمل من بعده شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينشد و يقول

ألا يا عصبة الاسلام صولوا ٭ وبالتوحيد اعلانا فقولوا
أذيقوا القوم كاس الموت جهرا ٭ فهذا السيف للاعدا صقيل
ألا فاعلوا الرؤس به وجولوا ٭ وهذا السمهري به فطولوا
وموتوا في الوغى قوما كراما ٭ وعنهم في المعامع لا تزولوا

(قال الراوي) ثم تتابعت الفرسان يتلو بعضها بعضا هذا وزياد بن أبي سفيان قد غاص في القوم كما ذكرنا وجال وقصد البطريق الاعظم صاحب بيت الكبرى وضربه بالسيف على عاتقه الايمن فخرج السيف يلمع من عاتقه الايسر وكبر

وكبرت المسلمون لتكبيره وكبرت الجبال وهاجت الوحوش والدواب لتكبيرهم وارتجت الارض لوقع حوافر الخيل وحمل كل أمير على بطريق فقتله (قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار لا يلوى بعضهم على بعض وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى بلغت الهزيمة جرزة وميدوم فبينما ضرار وأصحابه مقبلون واذا بالروم منهزمة كما ذكرنا وخيل المسلمين فى آثارهم يقتلون ويأسرون وينهبون ولم يكونوا يعلموا ما جرى لضرار وأصحابه فلما رآه المسلمون سلموا عليه وعلى أصحابه وهنوهم بالسلامة وقص عليهم ما وقع له مع المشركين واجتمعوا بالمسيب وأصحابه وأروهم مكان المعركة ومكان القتلى ففرحوا بذلك فرحا شديدا (قال الراوى) ثم ان عمرا وخالدا لما نوج الفضل وأصحابه قلقا عليهم قلقا عظيما ثم قال خالد لعمرو يا أبا عبد الله لقد غر الفضل بنفسه وبأصحابه وأخشى أن يكون للروم طليعة فيظفرون بأصحابنا فقال عمرو وكذلك خطر لى يا أبا سليمان فما تراه من الرأى وفقك الله فقال الرأى عندى أن أرسل طليعة أخرى خلفهم قال نعم الرأى ثم استدعى بالزبير بن العوام وبأبى ذر الغفارى رضى الله عنهما وأعلمهما بذلك وأراد خالد ان يسير معهما فمنعه الزبير وحلف أن لا يسير الا هو بنفسه وانتخب معه فرسانا وساروا حتى قربوا من القوم والتقوا بأصحابه فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا ثم ان الصحابة رضى الله عنهم جمعوا الاسلاب والخيل والسلاح ورجعوا الى أصحابهم فرحين مسرورين (قال الراوى) وكان معهم ستمائة أسير وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على محمد البشير النذير فاجابهم المسلمون أيضا بالتهليل والتكبير فلما رأوا ذلك وعاينوا الاسلاب والاسارى فرحوا فرحا شديدا وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وبقية الامراء وسلموا عليهم وتفاءلوا بالنصر من الله عز وجل ثم عرضوا الاسارى على عمرو وخالد وأوقدوا النيران فى المرج وباتوا يقرؤن القرآن ويتضرعون الى الله الواحد المنان راكعين ساجدين لله عز وجل (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء السادات الكرام رضى الله عنهم (وأما) ما كان من أمر المشركين المنهزمين فانهم مضوا الى عسكرهم وهم بالخيبة والمذلة قال فلما رأتهم الملوك والبطارقة على تلك

الحالة قالوا الهم مادها كم ومن بشره رماكم قال فحدثوهم بما جرى من القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الملوك ذلك الخبر عظم عليهم وكبر لديهم لفقد أصحابهم الذين قتلوا والذين أسروا واعتدوا القتال المسلمين (قال الراوى) ثم انهم أخذوا أهبتهم وركبوا خيولهم وابلهم وأفيالهم وتزينوا بزينتهم وساروا مجدين السير وقد أكثروا من الطبول والزمور والصنوج قال قيس بن الحارث وأقام المسلمون بعد الوقعة يوما واحدا فبينما نحن فى اليوم الثانى بعد صلاة الصبح وكان اجواد الامراء والابطال فى كل وقت يركبون ويسيرون ويتجسسون الاخبار قال فبينما هم ينظرون واذا بغبار قد ثار حتى تعلق بالجو ثم انكشف عن خيول ورجال كالجراد المنتشر والسيل المنحدر وقد ارتجت الارض من الطبول والزمور وضرب القرون وزمجرت الخيول ووقعت الهمم فلما عاين الامراء ذلك رجعوا وأعلموا عمرا وخالدا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك (قال الراوى) فصاح الصائح فى العسكر النفير النفير ياخيل الله اركبوا وفى الجنة ارغبوا والى الثواب فاطلبوا ومن أعداء الله لاتهربوا ولوجه الله توجهوا وبمحمد صلى الله عليه وسلم توسلوا قال فتواثبت المسلمون رضى الله عنهم الى دروعهم فلبسوها والى سيوفهم فتقلدوها والى رماحهم فاعتقلوها والى خيولهم فركبوها والى راياتهم فنشروها والى زينتهم فاظهروها والى قلوبهم من الغش فطهروها والى نياتهم فاخلصوها والى أنفسهم الصالحة فى سبيل الله باعوها (قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى استعدوا لذلك ووقفوا وقام خالد يرتب قومه للقتال هو وعمرو رضى الله عنهما قال فجعلا فى القلب أصحاب الطعن والضرب مثل الفضل بن العباس وبنى عمه من سادات بنى هاشم وهم جعفر وعلى ومسلم أولاد عقيل بن أبى طالب وزياد بن أبى سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب ومثل هؤلاء الابطال وجعل فى الجناح الايمن الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والمسيب بن يحيى الفزارى وفى الجناح الايسر القعقاع ابن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض الاشعرى وأباذر الغفارى وجابر بن عبد الله الانصارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم قال وثبت خالد وعمرو فى القلب ومعهما عبد الرحمن بن أبى بكر

الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهني وبقية الامراء وأصحاب
الرايات من الصحابة رضي الله عنهم ممن شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عبد الله بن زيد عن أبي امامة الانصاري رضي الله عنه وكان من أصحاب الرايات
فبينما نحن نتهيأ للقتال واذا باعلام المشركين قد انتشرت وراياتهم قد ظهرت
وزينتهم قد برقت وصلبانهم قد طلعت ولغتهم بالكفر قد طمطمت وأفيالهم
قد أقبلت ورجالهم للقتال قد بادرت (قال الراوي) فلما رأى المسلمون ذلك
اخلصوا نياتهم ولم يرعهم ما رأوا من كثرة عددهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم
واستعانوا بمالكهم وأكثروا من الصلاة على نبيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأى العين قال فعند ذلك أمسكوا
أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم قال فخرج من
عسكرهم بطريق من عظمائهم كانه برج مشيد من ذهب وهو لا يظهر منه
الا حمالق الاحداق وتداوير الآماق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو
يصيح باعلى صوته يا معاشر العرب ارسلوا الى الاثنين رجلا منكم يكلمه قال فاعلم
المسلمون عمرا وخالدا بذلك فاراد خالد أن يخرج اليه فمنعه الامراء من ذلك فعندها
وثب المقداد وحلف لا يخرج اليه الا أنا فقال عمرو وخالد انظر يا أبا عبد الله
ما يكلمك به هذا العلج وادعه الى كلمة الاخلاص المنجية في يوم القصاص فان
أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا فالقتال بيننا وبينهم حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين (قال الراوي) فعندها ركب المقداد جواده وسار حتى قرب من
البطريق وكان ذلك البطريق هو بولص صاحب الكفور الطاغي اللعين بطريق
البطلوس المخدوس وقد أتى عن اذن الملوك والبطارقة فلما رآه كلمه بلسان عربي
وقال له يا بدوي أنت أمير القوم قال لا قال اني لا أريد الا أمير القوم حتى أسأله عما
بدا لي لعل ان يكون فيه مصلحة بيننا وبينكم فقال المقداد سلني عما تريد فانا قوم
اذا فعل أحدمنا شيئا فيه نفع للدين ومصلحة للمسلمين لا ننكر عليه ذلك ويجيزله
الامير ما يفعل فاخبرني عن أمرك وشانك فقال انه لا يكلمني الا أمير القوم وان كان
عنده خوف مني ألقيت سلاحي فقال له المقداد وقد ضحك من كلامه ويحك يا عدو

الله لو كنت أنت أو مثالك وأضعافكم باسلحتكم ما فكرفيكم وان الواحد منا لو وقع في ألف منكم لاقاها بنفسه ولا أهمه ذلك والمعونة من الله عز وجل وقد بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد في سبيل الله والموت فيه ونعلم ان هذه الدنيا فانية ولا تريد الا وجه الله تعالى ولا يهمنا أمركم ولو كنتم عدد الحصى وما النصر الا من عند الله فاسالني عما بدالك فقال له الملعون لا أسمع الا كلام أمير القوم فدع عنك المطاولة بيني وبينك في الخطاب فقال له المقداد أن لنا أميرين أمير متولى الامر علينا وأمير مدبر الجيوش فاى الاميرين تريد قال اخبرني باسميهما قال أما الامير المتولى علينا فاسمه عمرو بن العاص والآخر اسمه خالد بن الوليد قال أريد خالدا فاني سمعت عنه أمورا وأحوالا وان الروم تحدث عنه باعاجيب كثيرة (قال الراوى) وكان الملعون قد سمع بذكر خالد وقوته وشجاعته وانه هو الفاتح للمدائن والحصون والتارك للاعداء في الذل والغبون وهو رأس كل حرب ومعركة وهو الذي فتح الشام والعراق وقاتل كل أسد ضرغام وفاتح اليمن وزبيد وصنعاء وعدن وقاتل مسيلمة الكذاب وهو الذي أباد الجيوش بقطع الرقاب وأراد الملعون أن ينظر الى شجاعته وبراعته وقال في نفسه لعلي أن أخادعه وأغدره فاني ان قتلته يكون لي الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس العرب وان لم أقدر عليه أسمع ما يكون من خطابه (قال الراوى) فعند ذلك ألوى المقداد عنان جواده ورجع الى أصحابه فقال لهم خالد ان المقداد قد رجع وان عدو الله لا يريد الا أنا وان طلبني مضيت اليه وان رأيت منه غدرا لآخذن رأسه من بين كتفيه بحد هذا الحسام وأستعين بالله الملك العلام (قال الراوى) فبينما خالد يتحدث بهذا الكلام واذا بالمقداد قد وصل وأخبر عمرا وخالدا بما وقع من البطريق فوثب خالد رضي الله عنه مبادرا ولبس لامة حربه فتعلقت به أكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسم بالله أن لا بد لي من الخروج اليه ثم خرج خالد رضي الله عنه ووقف مقابلا للبطريق فلما رأى خالدا وصل اليه احترزمنه على نفسه وأراد أن يخدع خالدا وأضمر أن يهجم عليه فقال له خالد أيها البطريق ها أنا خالد فماذا تريد واياك والمخادعة فانا جرثومة الخداع فقل لي ما تريد فقال له بولص يا خالد اذكر لي ما الذي تريدمنا وقرب الامر

بيننا وبينكم واحقن دماء الناس واعلم بانك مسؤل بما تفعله بين يدى الله عز وجل
فان كنت تريد شيا من الدنيا فان نبذل عليكم به ويكون صدقة منا عليكم لانكم أضعف
الامم وقد كنتم فى بلادكم قبل ان تفتحوا البلاد فى قحط وجوع تموتون هزالا وقلة
فملكتم البلاد وقهرتم العباد وشبعتم من اللحم وركبتم الخيول المسومة وتقلدتم
بالسيوف المجوهرة الهندية ولبستم الدروع الداودية وسعدتم بعد فقركم وفاقتكم
فان طلبتم منا شيا صدقة أعطيناكم بطيب قلوبنا ولا تطمعوا فى بلادنا كما طمعتم فى
غيرها واكتفوا منا بالقليل (قال الراوى) فلما سمع خالد رضى الله عنه وأرضاه
وجعل الجنة ماواه ما قاله البطريق قال له يا كلب النصرانية ويا أخس من غمس
فى ماء المعمودية ان الله عز وجل قد بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم للعالمين
رحمة فهدانا الله تعالى به من الضلالة وأنقذنا به من الجهالة وأبصرنا به من العماية
وأرشدنا به من الغواية وألهمنا به فى البرية حسن الرعاية كثرنا به بعد القلة
وعززنا به بعد الذلة وألفنا به بعد النفرة وفقهه به فى الدين من لا يفقهه فتح الله به
قلوبا غلفا وآذانا صما وعيونا عميا ونصر على يديه ولسانه قائل لا اله الا الله وهى
الكلمة العليا حتى صارت الدعوة توحيدية والامة محمدية والملة ربانية والعقيدة
اسلامية وآله أهل الرتب العلية وأصحابه صحبتهم هى الصحبة المرضية فصلاة الله
وسلامه عليهم تنزل بها الالطاف فى جميع الامور والقضية واعلم أيها البطريق ان
الله تبارك وتعالى يقول ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وانا قد ملكنا
بايدينا ما أغنانا الله به عن صدقاتكم وأحل لنا أموالكم وأباح لنا نساءكم وأولادكم
وأورثنا أرضكم وبلادكم وأسلابكم حتى تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان أقررتم
بالتوحيد عصمتم دماءكم وأموالكم منا فان أبيتم فتعطوا الجزية عن يد وأنتم
صاغرون فان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين والله
ينصر من يشاء واعلم بان الحرب والقتال أشهى لنا من الصلح وأما قولك فانه لم يكن
فى الامم أضعف منكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب فان الواحد منا بمعونة الله تعالى
يقاتل منكم ألفا وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كان هذا طمعا ترجو به أن
تصل الى بانفرادى عن أصحابى فذلك شئ بعيد وان أردت القتال فها أنا معتزل

وأنت معتزل عن أصحابنا فدونك وما تريد فانى كفؤلك ولقومك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما سمع البطريق بولص اللعين الخائن كلام خالد رضى الله عنه وثب وقال ليس لك عندى الا هذا السيف ثم جرد سيفه وقبض عليه ودنى من خالد رضى الله عنه وضرب يده فى درعه ومنطقته ووثق بعضهما من بعض قال واستعان الملعون بأصحابه وقال لهم بادروا الى فقد ملكنى الصليب من أمير العرب فتبادرت البطارقة الزنادقة اليه من كل جانب حتى خرج كردوس عظيم نحو مائتى فارس وجردوا السيوف وأتوا الى خالد رضى الله عنه قال فلما نظر خالد اليهم وهم مقبلون عليه وثب وثبة الاسد وصاح بجواده فانتزع نفسه من البطريق بعد أن أحاطت به الروم وجاء كردوس آخر وجعل خالد رضى الله عنه يضرب فيهم يمينا وشمالا طولا وعرضا والملعون بولص يريد قتل خالد وهو يقول يا ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم (قال الراوى) وكان ضرار بن الازور والفضل بن العباس وعلى بن عقيل وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن طلحة وسليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد رضى الله عنهم وقوفا على كثيب عال قريبا من عسكر الروم فلما رأوا السيوف مجذوبة صاح بعضهم على بعض وقالوا لقد احيط بخالد فركبوا وحملوا كأنهم السباع الضارية فكان أول من ابتدر الحرب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو ينشد هذه الابيات

عليك ربى فى أمورى المتكل * فاغفر ذنوبى اذ دنى منى الاجل
وفقنى ربى الى خير العمل * فامح الهى سيدى كل الزلل
أنا ضرار الفارس القرم البطل * مالى سواك يا الهى من أمل
سيفى الى أعدائنا قد وصل * أفنى به الروم الى ان تضمحل

(قال الراوى) حدثنى رفاعة بن قيس قال حدثنى حامد بن عياض عن أبيه عن جده عن نافع عن ابن علقمة اليربوعى قال كنت فى القلب فى عسكر عمرو بن العاص يوم وقعة الروم بمرج دهشور قال بينما نحن ننتظر ماذا يكون اذ رأينا السيوف مجذوبة وأحاطت الروم بخالد رضى الله عنه فخرجنا كردوسا واحدا على جياد الخيل من السادة المشهورة فى الحرب من طرائف الميمنة وبادرنا فلحقناهم واذا بضرار

واصحابه قد سبقونا فكان اول من قدم على عسكر الروم ضرار بن الازور رضي الله عنه وهو عاري الجسد قد سروالة فقط قابضا على سيفه وهو يهدر كالاسد والقوم من خلفه وهو امامهم على جواده مسرعا كالسبع الضاري وهو يهز سيفه زاحفا على بولص البطريق قال فارتعدت فرائصه وقال يا خالد رد عني هذا الشيطان واقتلني أنت ولا تدعه يقتلني فاني تشاءمت من طلعته على فقال له خالد رضي الله عنه هو قاتلك يا خائن لا محالة هذا صيد الاقران هذا قاتل وزدان هذا قاتل ملك التركمان هذا مبيد عبدة الاصنام والصلبان ومن يكفر بالرحمن قال فبينما نحن في المحاورة واذا بضرار قد أقبل وهز سيفه وصاح به وصرخ في وجهه وقال يا عدو الله وعدو رسوله صلى الله عليه وسلم لن تغني عنك خديعتك ولا غدرك بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم انه أراد أن يضربه بالسيف فصاح به خالد اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله قال ووصلت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وكل منهم مبادر الى قتله فقال لهم خالد رضي الله تعالى عنه اصبروا حتى آمركم بقتله ونظر عدو الله بولص لعنه الله الى ما حل به وقد جذبه ضرار واقتلعه من سرجه وضرب به الارض فغشي عليه وأشار باصبعه الى خالد وقال الامان فقال له خالد رضي الله تعالى عنه يا كلب النصرانية انما يعطى الامان لاهل الايمان وأنت كافر بالله الملك الديان وأردت أن تمكر بنا والله خير الماكرين ولا يحيق المكر السيء الا باهله قال فلما سمع ضرار رضي الله تعالى عنه ذلك لم يمهل دون أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن فطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط الملعون يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتبادرت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين ووضعوا السيوف فيهم (قال الراوي) فلما رأت الروم ما نزل بهم حملوا بأجمعهم وتقدمت أصحاب الافيلة والرجال فوقها بالحراب والكرابيج قال فلما رأى المسلمون ذلك تبادروا اليهم وتلقوهم بقلوب حاضرة ونيات صادقة والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال واصطفت الصفوف وزحفت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤس وقتلت

الرجال وزمجرت الابطال واتسع المجال وازداد القتال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن وثار العجاج وهمهمت الاعلاج وحميت الحروب وعظمت البلايا والكروب وكادت الاجساد تذوب وسالت سواقى الدماء كالانبوب ورويت بدمائهم الارض وفاجت أهلها بالطول والعرض وامتلأت ما بين صريع وطريح وقتيل وجريح وحام الحمام على الكفرة اللئام وأشرقت شواهى الآفات على الطوائف فلم تر الا هاربا غير واقف وانتثرت الرؤس نثرا والارض من سكانها عادت قفرا والرجال خمسا وعشرا والاقطار قد انقلبت والدماء من أوانى الاجسام قد انكبت والانفس السليمة قد عطبت والارواح من الاشباح قد سلبت والرقاب من كثرة الضرب قد عدمت ونار الحرب قد أوقدت وما خمدت والدماء على الابدان كالاكباد قد جمدت والاعين من كثرة الغبار قد رمدت والرؤس طائرة والسيوف قد لمعت والحادات الحنوق بالنفوس قد حدت ولم ينفع فى ذلك اليوم نصح الناصح ولا نياحة النائح وظهرت القبائح والناجى من ذلك اليوم رابح (قال الراوى) وقاتلت أصحاب الافيال قتالا شديدا وقدموا الافيال وقسموها على أربع فرق فرقة مما يلى الميمنة وفرقة مما يلى الميسرة وفرقة مما يلى القلب وفرقة امام العسكر وتصايحت النوبة والبجاة والروم فلله در الامير خالد رضى الله تعالى عنه لقد قاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فتارة يكون فى القلب وتارة يكون فى الميمنة وتارة يكون فى الميسرة وكذلك الامير عمرو بن العاص والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والفضل بن العباس والقعقاع بن عمرو التميمى وغانم بن عياض الاشعرى على الساقة مع الذرارى والنساء والصبيان (قال الراوى) وانقطع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر وهاشم بن المرقال رضى الله تعالى عنهم الى كردوس عظيم أكثر من ألف فارس من الروم والسودان فغاصوا فى وسطهم وكان فيهم بطريق عظيم من بطارقة الكورة اسمه غربال بن ميخائيل وكان فى عنقه صليب لهيب من الذهب الاحمر بسلسلة من الفضة فلما رأى ما حل به وبأصحابه بادر الى الصليب يقبله وينظر اليه ويستنصر به

ثم ان الروم طمطموا بلغتهم وأحاطوا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا
أن يتمكنوا منهم فعندها وثب عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه الى ذلك البطريق وحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء من فوق درعه وعلى
رأسه بيضة تلمع كأنها كوكب وفي وسطه منطقة من الجوهر فتعاركا وتصادما
بالجوادين وتضاربا بالسيفين وامتدت اليهما أبصار الطائفتين ثم ان عبد الرحمن
رضي الله تعالى عنه ضرب ذلك البطريق بالسيف على عنقه أزاح رأسه عن بدنه
(قال الراوي) فلما رأت الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن وصاحبيه رضي الله
تعالى عنهم حملة واحدة بجملتهم فصبر لهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صبر
الكرام وكل منهم مشتغل بنفسه عن نصرة صاحبيه وقد أيقنوا بالهلاك وجرح
عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه في يده جرحا بليغا وسال الدم على درعه قال فثقلت
يده من الجرح فاخذ السيف بيده اليسرى وجرح هاشم بن المرقال رضي الله تعالى
عنه أحد عشر جرحا في بدنه ووجهه وهو يمج الدم مرارا وعاينوا الهلاك من شدة
القتال وكثرة العدو وكان يوما عظيما (قال الراوي) وكان الفضل بن العباس وبنو
عمه تارة يكونون في الميمنة وتارة يكونون في الميسرة وحملوا في أعراض القوم من
الروم حتى وصلوا الى الكردوس الذي فيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد
الله بن عمر وهاشم بن المرقال رضي الله تعالى عنهم فوجدوا الروم قد أحاطوا بعبد
الرحمن وعقروا جواده من تحته وصاحباه يذبان عنه فعبد الرحمن بن عمر تارة يمنع
عنه بالسيف وتارة بالرمح وجراحاته تنزف بالدم وقد جرح عبد الرحمن بن عمر ست
جراحات موهنة في يديه وبدنه قال فلما رأى الفضل وأصحابه ذلك وكانوا عشرين
فارسا اسرعوا وصاحوا الله أكبر وغاصوا في وسط القوم حتى وصلوا الى عبد الرحمن
وعبد الله فضرب الفضل فارسا ممن أحاطوا بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة
والرفادة ونزل السيف الى أضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه
الى النار وبئس القرار قال فلما سقط عدو الله عن جواده ابتدر عبد الرحمن رضي
الله تعالى عنه اليه فركبه وقاتلوهم قتالا شديدا حتى هزموهم عن اصحابهم (قال
الراوي) وكانت طائفة من الاوس وهمدان مما يلي الجناح الايسر فحمل عليهم

كردوس من الروم والسودان فقال مالك الاشتر رضي الله تعالى عنه وقد اثخنوا
بالجراحات وتكاثرت الروم والسودان عليهم فازالوهم عن مواضعهم واخرجوهم
عن مراتبهم ففروا من بين أيديهم فصاح بهم أبو هريرة وابن عمه عبد الله ومالك
الاشتر رضي الله تعالى عنهم يا قوم لا تولوا الادبار ولا تفروا من الموت وهو ملاقيكم
أتريدون ان تكونوا عارا عند العرب غدا عند ربكم غدا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما سمعتم قوله تعالى فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الله الله الجنة
تحت ظلال السيوف والموعد عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم
يلتفتوا الى قولهم ولم يسمعوا كلامهم حتى وصلت الهزيمة الى غانم بن عياض
الاشعري واصحابه والنساء والصبيان (قال الراوي) فلما رأت النساء تلك الرجال
منهزمين صحن في وجوههم وقمن كما فعلن يوم اليرموك وضربن وجوه الخيل
بالاعمدة ونادين الى أين الى أين يا هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما كان يثبت في الحرب ولا يزول ولو انكشفت عنه الرجال وانفرد بنفسه وبارزته
الابطال لا يولي ولو اشتد القتال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فارجعوا الى
الميدان فهنالك نعيم الجنان ورضا الرحيم الرحمن قال فرجعوا الى الحرب وقد قاتلت
خولة بنت الازور قتالا شديدا قال فلما رأى غانم بن عياض ذلك وكان معه قيس
ابن الحرث ورفاعة بن زهير المحاربي وخمسمائة من اصحاب الشدة والنجدة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم اجمعين صاح غانم رضي الله
تعالى عنه الجنة الجنة يا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فثبتوا ثبوت الليوث كالاسود
الضارية وحملوا معه حملة واحدة بنية صادقة وثبات قلب فلما رأت الروم ذلك ولوا
منهزمين وقتل منهم مقتلة عظيمة (قال الراوي) ولم يزل السيف يعمل والدماء تنزل
والرجال تقتل والابطال تجندل من ارتفاع الشمس الى وقت العصر وجاء الله
بالنصر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانت الافيال تضرب اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال على ظهورهم يضربون بالنشاب فجاء مفرج
ابن عيينة الفزاري الى فيل مقدم الافيال وطعنه في احدى عينيه فاشتبك الرمح في

عينه فخلى مفرج الرمح فى عينه فولى ذلك الفيل منهزما والقى ما على ظهره من الرجال
فداسهم برجليه فقتلهم قال فتبعته الافيال جميعا هاربة خلفه وقد القوا ما فوق
ظهورهم من الرجال وداسوهم بأرجلهم فصاح مفرج باصحابه دونكم وخراطيمها
ومشافرها فانها مقاتلها فسارعت بنو فزارة وبنو نذار وبنو عبس وجعلوا يضربون
أعين الأفيال ومشافرها حتى قتلوا منها مائة وستين فيلا وقتلوا ما على ظهورها من
الرجال (قال الراوى) ولم يزالوا فى الكر والفر والقتال الشديد والامر العتيد حتى
جاء الليل وحجز بين الفريقين ورجعت الروم والسودان الى أماكنهم ورجع
المسلمون الى خيامهم قال فتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم مائتان وأربعون
رجلا أكرمهم الله بالشهادة وقضى لهم انهم من أهل السعادة وتفقد المشركون من
قتل منهم فاذا هم خمسة آلاف من النوبة والبجاة والروم (قال الراوى) وبات
الفريقان يتحارسان الى الصباح والمسلمون طول ليلهم يدفنون قتلاهم الى أن
أصبحوا وهم يقرؤن القرآن ويصلون على محمد سيد الانس والجان صلى الله عليه
وسلم وآله وأصحابه الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح صلى المسلمون
الصبح وقاموا الى اصلاح شأنهم واذا بالروم والسودان قد أقبلوا فى عددهم
وعديدهم وقد أظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف كل صف أربعون ألفا
والرجال بين أيديهم خمسون ألفا قال قيس بن علقمة رضى الله تعالى عنه لقد دخلت
العراق والشام ورأيت جنود كسرى والجرامقة واليرموك وأجنادين ورأيت
وقعة مصر والقبط وشهدت فتح الاسكندرية ودمياط ما رأيت مثل كثرة الروم
والسودان ببرج دهشور ولا شدة قتالهم (قال الراوى) فلما رأيناهم قد ركبوا
ركبنا خيلنا وتناصفوا للقتال قال وركب خالد رضى الله تعالى عنه وجعل
يتخلل الصفوف ويقول انكم معاشر المسلمين لا ترون بمصر والصعيد جيوشا بعد
اليوم أكثر من هؤلاء فان كسرتموهم ونصرتم عليهم فلا تقوم لهم بعد هذا اليوم
قائمة أبدا فاصدقوا فى الجهاد فى طاعة رب العالمين وعليكم بالصبر والنصر لدينكم
واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار والصقوا المناكب وهزوا
القواضب ولا تهملوا فى أمركم (قال الراوى) وأما عسكر الروم فانهم لما رأوا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تهيئوا للحرب حرض بعضهم بعضا وقال لهم البطريق بطرس أخو بولص المقتول اعلموا انكم اذا انكسرتم في هذا اليوم لا تقوم لكم قائمة بعدها أبدا وتملك العرب بلادكم ويقتلون رجالكم ويسبون نساءكم ويستأجرون أولادكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم حملة رجل واحد ولا تتفرقوا وقدموا الافيال امامكم والرجال خلف ظهوركم واعلموا ان لكل ثلاثين منكم واحدا منهم فاستعينوا عليهم بالصليب فهو ينصركم (قال الراوي) واما ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن عمرا وخالدا رضي الله تعالى عنهما قالا من يكشف لنا عن القوم وثوابه على الله الجنة قال فوثب الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنه وقال أنا وسار حتى أشرف على القوم ونظر الى زينتهم وأهبتهم والى شعاع البيض والبوارق ولمعان الزرد وخفقان الرايات والاعلام كأجنحة النسور فلما رآه المشركون قالوا هذا فارس من فرسان العرب يريد أن ينظر لنا القوم ولا شك انه طليعة فأيكم يقدره فخرج اليه ثلاثون فارسا مسرعين في طلبه مجدين قال فلما رآهم الفضل ولى كأنه منهزم من بين أيديهم وركض قليلا حتى أبعدهم من أصحابهم ثم ألوى عنان جواده نحوهم وعطف عليهم وطعن أول فارس منهم في صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ثم فعل بالثاني والثالث كذلك وقد دخل الرعب في قلوبهم فانهزموا من بين يديه كالغنم فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس حتى قتل عشرين فارسا وانهزم الباقون قال فلما قرب الفضل من عسكر الروم كر راجعا الى المسلمين وأعلمهم بذلك فقالوا لقد خاطرت بنفسك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان القوم طلبوني فاستحييت من الله أن يراني منهزما وقد قال جل من قائل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فجاهدت بالاخلاص أعداء الله واحتسبت بالله فنصرني عليهم وانهم لنا غنيمة ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الراوي) فعند ذلك تقدم عمرو بن العاص وخالد رضي الله تعالى عنهما ورتبا أصحابهما ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين كما تقدم في اليوم الاول فجعلا على الساقة يزيد بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في ألفي فارس حول النسوة والبنين والاموال

وكانت معهم النساء المتقدم ذكرهن في اجنادين واليرموك وهي عفيرة بنت غفار وأم أبان بنت عقبة أخت هند وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملاق وسلمى بنت زارع ولبنة بنت سوار وسلمى بنت النعمان وهند بنت عمرو زينب الانصارية فهؤلاء من النساء اللاتي عرفن بالشجاعة فقال لهن خالد يا بنات العرب لقد فعلتن فعلا أرضيتن به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقد بقي لكن ذكر يتحدث به الناس جيلا بعد جيل وأبواب الجنان لكن قد فتحت كما ان أبواب النيران لاعدائكن سعرت واني أحرضكن اذا جاءت الروم والسودان اليكن ان تقاتلن عن أنفسكن كما فعلتن يوم اجنادين ويوم اليرموك وان رأيتن أحدا قد ولى منهزما فدونكن واياه بالعمد واشرن اليه بولده وقلن له الى أين تفرع عن أهلك وتولي من ولدك وحريمك قال فعندها قالت النساء له يا أميرنا يا أبا سليمان ما يفرحنا الا اذا قدمتنا أمامك لنضرب في وجوه الروم والسودان يمينا وشمالا حتى لا يبقى لنا عذر قال فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد رضي الله عنه الى الصفوف وجعل يجول بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو يقول أيها الناس ان الله عز وجل قال في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقاتلوا من كفر بالله ورسوله واحتسبوا أنفسكم في سبيل الله فانها خلقه وملكه واصبروا على قتال أعداء الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ولا تحملوا حتى آمركم ولتكن سهامكم كانها تخرج من قوس واحد فان السهام اذا خرجت جملة لم يخط منها الا قليل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم لم تروا بالوجه الجنوبي يعني الصعيد مثل هذه الفئة لان فيها ملوكهم وبطارقتهم وحماتهم (قال الراوي) فسمع الناس قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم وقف خالد في القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبي بكر وقيس بن هبيرة ورافع ابن عيينة والمسيب بن يحيى الفزاري وذي الكلاع الحميري وربيعة بن عباس ومالك الاشتر والعباس بن مرداس السلمي ونظرائهم من الامراء رضي الله عنهم ثم انهم زحفوا على الروم بسكينة ووقار متوكلين على الواحد القهار العزيز الغفار ويصلون على نبيه المختار فلما رأت الروم والسودان ذلك من المسلمين زحفوا بجمعا

خلوا الارض ماولها والعرض فالتقى الجمعان وتزاحم الفئتان وقد أظهر أعداء الله في عسكرهم الاعلام والصلبان ورفعوا أصواتهم بالكفر والطغيان والعدوان (قال الراوي) فبينما الناس كذلك اذخرج من الروم راهب كبير السن معظم عندهم عليه جبة سوداء وقلنسوة وزنار ثم نادى بلسان عربي ايكم الامير يخرج الى فيخاطبني لا كلمه فيما يكون بيننا فخرج اليه الامير خالد رضي الله تعالى عنه فقال له الراهب أنت أمير القوم قال خالد كذا يزعمون مادمت على طاعة الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أنا غيرت أو بدلت فلا طاعة لي عليهم ولا امارة فقال له الراهب وبذلك نصرتم علينا ولكن اعلم أيها الامير انك سلكت بلادا ماقدر عليها أحد من الملوك ولا تعرض لها أحد ولا دخلها الا أنت وأهلك وان الملوك قبلك تعرضوا لها وانقلبوا عنها خائبين والنصر لا يدوم وقد أرسلني الملوك اليكم ان قبلتم مني نجمع لكم مالا جزيلا ولكل واحد منكم ثوب وعمامة ودينار ولك أنت مائة دينار وعشرة أثواب ولكل واحد منكم حمل من البر وحمل من الشعير ولك عشرة أحمال ولصاحبكم عشرة آلاف دينار ومائة ثوب ومائة حمل وارحلوا عنا وأنتم موفرون لانفسكم وانتم عدد الجراد المنتشر ولا تظنوا انكم لاقيتم من الفرس وبلاد الروم وأهل الشام والقبط فان في هذا الجيش من النوبة والبجاءة والسودان والروم وكبار البطارقة والاساقفة مالا يحصى ثم نجمع عليكم بعد ذلك مالا طاقة لكم من بلاد السودان والواحات وبرقة وكانكم بهم وبالنجدة وقد وردت علينا وان بقية الملوك لم تات الى الآن وانما أرسلوا من بقاتلكم عنهم فقال الامير خالد رضي الله تعالى عنه والله مانرجع عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا وهو الاسلام فتعصموا منا دماءكم وأموالكم واما ان تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون واما القتال بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما ماذكرت أنكم عدد الجراد فان الله وعدنا بالنصرة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم وأما ماذكرت أنكم تعطونا من الثياب والعمائم فعن قريب نسلبكم الثياب والعمائم والبلاد

وما فيها وأنتم ملك انما كما ملكنا الشام والعراق واليمن ومصر والحجاز وأهلها (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك الكلام قال أنا أرجع وأعلم أصحابي بذلك فانى قد أتيت من قبل البطلوس صاحب مدينة البهنسا وقد أرسلني الى صاحب أهناس واتفقت الملوك والبطارقة على ذلك وأرسلوني اليكم وأنا أرجع اليهم وأخبرهم بذلك ثم ان الراهب رجع من حيث أتى وأخبر أصحابه بذلك فكاتبوا ملوكهم فارسلوا طوالعهم للقتال (قال الراوى) ثم تقدمت الروم والسودان وقدموا الافيال وأمامهم الرجال بالقسي والسيوف والدرق والكرابيج والمزاريق قال فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن زهير المحاربي والقعقاع بن عمرو التميمي وشرحبيل ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقداد بن الاسود الكندي ومعاذ ابن جبل رضي الله عنه وقالوا يا معشر المسلمين ان الجنان قد فتحت لكم والملائكة قد أشرفت والحور العين قد تزينت ثم قرأ قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم قال ثم انهم رتبوا صفوفهم فتقدم خالد وقال لهم افرجوا المناكب واثبتوا واعلموا أنهم أكثر منكم وعشرة أمثالكم وأزيد فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة النصر على أعداء الله واياكم أن تولوا الادبار وتركنوا الى الفرار فتستوجبوا غضب الجبار وازحفوا على بركة الله وعونه (قال الراوى) وتراحمت السودان والبربر والنوبة والبجاوة فلما التقى الجمعان رمت أصحاب الافيال بنشابها فكانت كالجراد المنتشر والسيل المنحدر فقتلوا رجالا وجرحوا أبطالا فكان الامير خالد رضي الله عنه تارة يضرب بسيفه في الميمنة وتارة في الميسرة وكان في أصحاب الافيال من السودان والبربر من أعلى برسوا وسكن الاقصى سودان يعرفون بالقوادشفة أحدهم العليا مشقوقة وفيها خزام من نحاس فاذا كان وقت الحرب لا يخرجون تلك القواد الا اذا حمي الحرب واشتد الامر وكثر القتل قال وكانوا سوادا طوالا كل واحد منهم طوله عشرة أذرع فاذا ارادوا الحرب يجعل كل واحد منهم سلسلة في ذلك الخزام وهي طويلة مشقوقة نصفين فيمسك كل واحد منهم

بطرفها والآخر بالطرف الثانى فاذا زحفوا قدموا تلك القواد عند شدة الحرب
فيكبر ذلك ويعظم عند الناس فان لم يصطفوا زحفت القواد وأطلقوا السلاسل
ودفعوا اليهم أعمدة من الحديد طوال فيضربون بها الفارس والفرس معا فيقتلونهما
ومنهم من يركب الافيال ويقاتل عليها (قال الراوى) فلما التقى الجمعان خرجت
تلك القواد وعلى أجسادهم جلود النمر وفوق أكتافهم وعلى صدورهم وفى
أوساطهم مثل ذلك وهم عراة الاجساد والرؤس وبايديهم الاعمدة والرجال يمسكون
تلك السلاسل من النوبة والبجاة وسواكن وهم بين الجيوش ينتظرون متى
يؤمرون بالحملة قال فلما رأى المسلمون ذلك هالهم أمرهم فمنهم من ثبت جنانه
ونفسه ومنهم من فزع (قال الراوى) ثم برز بطروس أخو الملعون بولص المقتول
وهو راكب على جواد عال وعليه تجفاف من جلود الافيال وقاتل ذلك اليوم قتالا
شديدا فتارة يضرب بالسيف وتارة يرمى بالنشاب حتى قتل من الاسد ومذحج نحو
عشرين فارسا (قال الراوى) حدثنى خالد بن أسلم عن طريف بن طارف وكان
من الاسد قال لما فعل ذلك البطريق ما فعل ولت الاسد من بين يديه منهزمين
واذا بفارس قد أقبل يركض جواده وهو عارى الجسد حتى قرب من القوم وهو
ينشد ويقول هذه الابيات

لقد ملكت كفى سنانا وصارما * ومازال فيكم يا بنى الكفر هادما
واتركـكم وسط القتال كما الهبا * ترون قتيلا أو أسيرا ومهزما
والافيل كالاغنام قلن بقفرة * وأصبح راعيهن عنهن نائما
سيصبح كل منكم عند حتفه * على نفسه يبكى ويأسف نادما
ونحن ليوث ثم أنتم فرائس * سطا كل ليث بالمخالب قاصما

(قال الراوى) ثم صاح أنا ضرار بن الازور أنا قاتل ملوك الشام أنا ناصر دين الاسلام
والمتسلط على الكفرة اللئام أنا قاتل بولص الكلب نزيل النيران ذى الكفر
والطغيان قال فلما سمع الروم كلامه عرفوه فتقهقروا منه الى ورائهم فطمع فيهم وحمل
عليهم فقال بطروس من هذا البدوى الذى لم يزل عارى الجسد ويقاتل بالسيف
مرة وبالرمح أخرى قالوا هذا ضرار بن الازور فتحير الملعون وقال هذا قاتل أخى ولقد

اشتهيت أن آخذ بثارى ثم انه عزم على الخروج اليه فسبقه دلاص رأس بطارقة الكورة وقال أنا آخذ بثارك منه (قال الراوى) ثم انه حمل على ضرار وحمل ضرار عليه فتجاولا طويلا واعتركا مليا فما كان أكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة فى صدره فخرقت الدرع وخرج السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فقال بطروس هذا ماهو الا جنى وليس للانس بقتال الجن طاقة (قال الراوى) ثم انه لبس لامة حربه وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس من فوق درعه منطقة وخرج بطلب الرهبة على ضرار بعد ان ركب جوادا أشقر عاليا من مضمرات الخيل وهم أن يرمح عليه قال فسبقه شوم أدرس أحد بطارقة الكورة وحلف لا يخرج اليه أحد غيرى ثم انه أطلق جواده فخرج من تحته كالبرق الخاطف وحمل على ضرار رضى الله عنه وقال دونك والقتال قال فلم يمهله ضرار فيما يقول ثم انه حمل عليه قال فاخرج البطريق صليبا من الذهب كان معلقا فى عنقه وجعل يقبله فضحك عليه ضرار رضى الله عنه وقال له أنتم تستعينون بالصلبان ونحن نستعين عليكم بالله الواحد المنان الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال ثم ان كل واحد منهما أورى صاحبه من الحرب ما أدهش الناظرين قال فصاح عمرو وخالد وبقية الامراء رضى الله عنهم ماهذه الفترة يا ضرار والجنة قد فتحت لك والنار أضرمت لاعدائك (قال الراوى) فاستيقظ ضرار رضى الله عنه وحمل على البطريق وصاحت الروم بصاحبهم وصارا فى حرب عظيم وحميت عليهما الشمس واشتدت نار الحرب بينهما حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان قال فاشار البطريق الى ضرار أن يترجل ويترجل البطريق شفقة منه على جواده واذا بفارس من بطارقة أهناس قد أخرج له جوادا محجلا بالحرير فركبه قال فلما نظر ضرار الى ذلك صاح بجواده وأسره فى أذنه وقال له اثبت معى فى هذه الساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذرفت عين الجواد بالدمع وهمهم وجرى أقوى من جريه المعتاد قال والتقى ضرار والبطريق وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح فارداه وأخذ جواده وأراد قتله واذا بكردوس عظيم قد خرج من الروم ومعهم الكاب الكبير روشال ملك الاشمونين وأحاطوا بضرار وكان

على رأس زوشال تاج من الذهب قال فلما رأى الامرا رضى الله عنهم خروج ذلك الكردوس ونظروا الى التاج وهو يلمع خافوا على ضرار فقالوا لخالد رضى الله عنه ما يقعدنا عن نصرة صاحبنا وقد أحاطت به الروم قال فعندها خرج خالد رضى الله عنه فى عشرة من خيار قومه وهم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله ابن عباس وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنهم أجمعين قال وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة بعد ان أحاطت الروم بضرار وقد صبر لهم صبر الكرام الى أن وصلت اليه تلك الامراء رضى الله عنهم وقالوا له أبشر يا ضرار فقد أتاك الله بالفرج وأذهب عنك الضيق والخوف والهرج فلا تخف من الكفار واستعن بالله الواحد القهار فقال ضرار ما أقرب فرج الله عند الشدة (قال الراوى) فلما التفت الرجال بالرجال ومالت الابطال بالابطال جال الامير خالد رضى الله عنه فى الميدان وطلب صاحب التاج وضرار مع خصمه وقد أراد الهرب منه فعندها ألقى ضرار نفسه من أعلى جواده وتبعه حتى لحقه ثم انه رمى الرمح من يده وتواخذا بالمناكب وتصارعا قال وكان عدو الله كانه قطعة من جبل وضرار نحيف الجسد غير أن الله أعطاه حيلا وقوة وهيبة وشجاعة (قال الراوى) فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار يده فى مراق بطن عدو الله وجذبه الى الارض ورفعه على يده ثم جلد به الارض فصاح عدو الله يستنجد بالبطارقة قال فعندها تصارخت الروم والسودان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمهل ضرار دون أن برك على صدر عدو الله وهو يعج تحته كالبعير قال فعندها أظهر ضرار سيفه ومكنه من نحر عدو الله فذبحه فصرخ صرخة سمعها العسكران قال فلما رأت الروم والسودان ذلك حملوا بعددهم جميعا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وضرار رضى الله عنه قد حز رأس عدو الله وقام عن صدره وهو ملطخ بالدم ثم ركب جواده وكبر وكبرت المسلمون واختلط العسكران ودنا الفريقان بعضهما من بعض والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وقامت

الحدق وعظمت الرزايا وكثرت البلايا وأظلمت الدنيا ودارت راحات الحرب وقوى الطعن والضرب وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وتقطعت المناسب فلا ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا غائرا وقد زحفت السودان وأصحاب السلاسل اللئام وضربوا بالعمد الحديد وكان ذلك اليوم هو اليوم الشديد وبانت الشجعان وفر الجبان حيران هذا وعمرو ابن العاص رضى الله عنه يحرض الناس على عادته فى القتال ويقول أيها الناس اذكروا غرف الجنان ياحملة القرآن باصوام شهر رمضان وازدادوا نشاطا وقويت قلوبهم قال وصارت السودان يضربون الفارس والفرس فيقتلونهما معا وهم أصحاب السلاسل وكذلك أصحاب الافيال يرمون بالنشاب ويضربون بالحراب الى وقت العصر وقد قتل من الفئتين خلق كثير هذا وقد ظفر خالد رضى الله تعالى عنه بخصمه روشال المضلول المذلول فضربه بالسنان فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما عظم البلاء قام رفاعة بن زهير المحاربى فانتخب من لبيد وبنى مالك ومحارب خمسمائة فارس وقصد الافيال وقال ياوجوه العرب دونكم واعينها قال ودنا من الفيل الابيض الاعظم وهو امام الافيال وهو مقدم على خمسمائة فيل وتقدم اليه والسيف فى يده وهو ينشد ويقول

يا لك من جثة كبيره • لقيت كل كربة خطيره
اليوم قد ضاقت بك الحظيره • حتى ترى ملقى لدى الحفيره

قال ثم ضربه بالسيف فى مشفره فولى هاربا وبرك وكان عليه علج من السودان فى قبة من أدم قال فلما برك الفيل فى الارض قام العلج الذى كان على ظهره وفى يده عمود وضرب به رفاعة فزاغ منها فضربه رفاعة بالسيف فى عاتقه الايمن فخرج يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال وتلاحقت العرب باصحاب الافيال وساروا يطعنون الافيال فى أعينها فولت الافيال منهزمة (قال الراوى) وتقدم خالد والمقداد والامراء الذين مضى ذكرهم رضى الله عنهم الى القواد الذين ذكرناهم وقصدوهم وطلبوا النصر

والثبات من الله رب الارض والسموات بارئ البرايا وصاروا يأتونهم فارسا عن اليمين وفارسا عن الشمال فيقبضون مالك السلاسل ثم يمسكون بأطرف السلاسل ويطلقون أعنة خيولهم فينقادون معهم كالابل الشاردة ثم يأخذون الاعمدة التي في أيديهم ويقتلونهم أشر قتلة قال فلم يزل القوم في قتال ونزال وأهوال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل من الفئتين خلق كثير فاما المسلمون فاستشهد منهم مائة وخمسة وثلاثون رجلا فالسادات منهم مروان بن مصعب وسنان بن نافع وحنظلة بن نافع ومالك بن راشد وحزام بن معد وعازم بن حازم والبقية من أخلاط الناس وقد اختصرنا في أسمائهم خوف الاطالة وقتل من الروم والسودان اثنا عشر ألفا ومن الملوك والبطارقة خمسة عشر وبات الفريقان يتحارسان الى الصباح (قال الراوى) وكان قد أثخن بالجراح جماعة من المسلمين في ذلك اليوم فكانت طائفة من المسلمين يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة يقرؤن القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام وأما خالد والمقداد بن الاسود الكندي والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وغيرهم من أصحاب الهمم يدورون حول جيش المسلمين الى الصباح (قال الراوى) فلما لاح الصباح ونادى المؤذن حي على الفلاح قام المسلمون الى الصلاة بحضور قلوبهم وخلوص نياتهم وصلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح وقد أجرى الله تعالى على لسانه سورة الفتح بعد الفاتحة في الاولى وسورة الصف في الثانية ثم توجهوا الى الله عز وجل يسألونه أن يرزقهم النصر على الاعداء قال فلما فرغوا من الصلاة أسرعوا الى خيولهم فركبوها والى سيوفهم فتقلدوها والى رماحهم فاعتقلوها وأنفسهم لله عز وجل باعوها ورتبوا صفوفهم وأقبلت الامراء يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة رافع بن عميرة الطائي والحارث بن قيس ورفاعة بن زهير في خمسمائة فارس (قال الراوى) حدثنا عبادة بن رافع قال حدثنا سالم بن مالك عن عبد الله بن هلال وكان في خيل رافع قال لما ترتبت الصفوف والتقى الجمعان وكثر القتال وكل قد اشتغل بنفسه ونحن نذب عن النساء والصبيان الذين تقدم ذكرهم وتقاتل أشد القتال اذ خرج كردوس عظيم من البطارقة

والسودان والبجاة ومعهم نحو ألف وستمائة فارس ومعهم الافيال ونحن غافلون من شدة القتال وقد اقتطعوا قطعة كبيرة من الابل والرجال والنساء والصبيان زهت عن ألفي بعير ومائتي امرأة وأخذوا المتاع وغير ذلك وكان في تلك القطعة زيد ابن رباح البكري وعباد بن عاصم الفهري ومعهم مائة فارس قال فقاتلوا قتالا شديدا حتى أثخنوا بالجراح وقاتلت النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر أشد القتال فلله در عفيرة بنت عفار وسلمة بنت زاهر وأمثالهما القد قاتلن قتالا شديدا حتى ضربن بالسيوف على رؤسهن وسال الدم على وجوههن وهن ينادين الله الله يابنات العرب قاتلن عن أنفسكن وأولادكن والذرارى والاصرتن بايدى العلوج والسودان فقاتلن فاما ان يجعل الله فرجا ومخرجا وأما الشهادة قال وقتل من المسلمين خمسة عشر فارسا ختم الله لهم بالشهادة وفازوا بالسعادة (قال الراوى) وساق الروم تلك النساء والصبيان فرجع فارسا من الصحابة الى خالد رضى الله عنه فاخبره وهو في أشد القتال قال فصاح المسلمون وخرج جماعة من الامراء من وسط المعركة وهم الفضل بن العباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وزياد بن أبي سفيان وعبد الله بن طلحة وضرار بن الازور وجماعة من الامراء رضى الله عنهم ولحق بهم ستمائة فارس من صناديد العرب فادركوا أوائل الخيل يريدون عسكر الروم قال فصاح ضرار والفضل بن العباس الى أين يا أعداء الله تذهبون قال فتراجعت الروم والسودان واقتتلوا قتالا شديدا فانتدب ضرار مقدام السودان وطعنه في صدره فطلع السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل رضى الله عنه تقدم الى بطريق عظيم وطعنه في لبته فطلع السنان يلمع من نقرة قفاه فانجدلا صريعين يخوران في دمهما وعجل الله بروحهما الى النار وبئس القرار (قال الراوى) وتواثبت الامراء كالاسود يقتلون ويأسرون حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة قال فلما رأت الصحابة ماحل بقومهم ألقوا مافي أيديهم من الغنيمة وعمد الفرسان الى العدو وردوا السبي والحريم وخلصوا أسارى المسلمين وساعدتهم النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر وكانت النساء يضربن وجوه الخيل بالاعمدة والسيوف فتكبوا باصحابها فتتعلق المرأة بالفارس وتجذبه الى الارض وتقتله

حتى قتلن من الروم جماعة كثيرين والسودان والبجاة وغيرهم (قال الراوى) فلما رأت الروم وغيرهم ذلك ولوا الادبار منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا أيضا وأسروا منهم نحو ستمائة من الروم والسودان ورجعوا وقد غنموا خيلهم وسلاحهم وأسلابهم (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العسكر فانهم لم يزلوا فى قتال شديد وأمر عنيد وضرب وطعن وقتل رجال وفرسان وأبطال وقد قام الحرب على ساق وضربت الاعناق وجالت الفرسان وصالت الشجعان وولى الجبان حيران ودارت راحات الحرب واشتد الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم وحامت طيور المنايا وحلت باهلها الرزايا واشتد الزحام وعظم المرام وحام طير الحمام وضاقت الصدور واشتدت الامور وثار الغبار وقل الاصطبار وقاتلت الامراء بالرايات وعظمت الاذيات وبربرت السودان بلغاتها وطمطمت الروم باصواتها وضربت بقواتها وطعنت بحرابها ورمت بنشابها فحارت الافكار وعميت الابصار وثار الغبار وأظلم النهار ونادى المنادى يامعاشر المسلمين فى ذلك اليوم الصبر الصبر يانصر الله انزل وصبر المسلمون صبر الكرام يريدون بذلك وجه ذى الجلال والاكرام فلله در الفضل بن العباس والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى وعقبة بن عامر والمسيب بن يحيى الفزارى ومثل هؤلاء السادات ونظائرهم من الامراء رضى الله عنهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا (قال الراوى) وكان ذلك اليوم يوم بلاء وابتلى الله المؤمنين فيه بلاء حسنا غفر الله لهم ذنوبهم وطهر قلوبهم وأكرمهم بالشهادة وبلغهم الحسنى وزيادة وألحقهم بشهداء العصر المتقدم وهو عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأما خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والقعقاع بن عمرو وسعيد ابن زيد رضى الله عنهم لقد كانوا يقاتلون قتال الموت (قال الراوى) وزحفت الافيال برجالها وقاتلت الروم وأبطالها والسودان وأفيالها ولقد كانت الافيال تعطف على خيل العرب والرجال الذين هم فوق ظهورها يرمون المسلمين بالنشاب فيخرج كالجراد المنتشر فقلعت فى ذلك اليوم عيون كثيرة فما كنت تسمع الاصليل السيوف ووقع الاسنة فهذا يصيح واعيناه

وهذا يصيح وابداه والافيال تحطم الرجال والسودان يرمون الابطال (قال الراوي) فلما رأى ذلك رفاعة بن زهير المحاربي رضي الله عنه وقد اشتد الحال على المسلمين أقبل على عمرو وخالد رضي الله عنهما وقال لهما أيها الاميران ان دام هذا الامر والحال كذلك هلكنا عن آخرنا فقال له خالد فما الرأي يا أبا حازم قال رضي الله عنه الرأي أن تجمع هدوما ونعمد الى اوتاد وهنا ونجعلها على رؤس الرماح ونجعل في أعلاها نارا ثم نأمر رجالا يجمعون القيصوم وغيره ونجعله في غرائر على ظهور الجمال عريا ونشغل القوم بالقتال ثم تأتي الفرسان بما معهم وتوقد عليهم الجمال وتشعل النار وتضع الحراب في أجناب الابل فاذا أحست الجمال بالنار حطمتهم فلا يصبرون على ذلك والمعونة من الله عز وجل (قال الراوي) فعندها استصوب عمرو وخالد رأيه وشكراه على ذلك وأعدوا برأيهم جميع الذلك الامر رجالا يشغلونهم به والحرب قائم فلم تكن الا ساعة حتى تهيأت تلك المكيدة واجتمع من الابطال ألف فارس ووضعوا تلك الهدوم في الزيت والدهن والنار على رؤس الاسنة وملؤا الغرائر بالقيصوم وغيرها ووضعوها على ظهور الجمال وأشعلوا فيها النار ووضعوا الحراب في أجناب الابل قال فلما احست الابل بالحراب في أجنابها والنار على ظهورها حطمت على الروم والسودان فلما رأت الافيال ذلك طارت عقولها فقطعت سلاسلها وداست قوادها وألقت ما على ظهورها من الرجال وداستهم باخفافها وجفلت خيول الروم وبراذينهم وهربت بغالهم ورجالهم (قال الراوي) فوضع المسلمون السيوف في أعداء الله وطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب قال المسيب بن يحيى الفزاري رضي الله عنه لقد رأينا طيورا انقضت علينا مثل النسور فكان الطائر منهم يرفرف بجناحيه على وجه الكافر ورأسه ثم يضع مخالبه في عينه فيرميه الى الارض قال فلم تكن الا ساعة وذلك بعد صلاة العصر حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا ويأسرونهم كيف شاؤا حتى جاء الليل واظلم الجو (قال الراوي) فوصلت الهزيمة الى القرية المعروفة بالدبر والى اللاهون والى أهناس والى ميدوم وتبعهم الصحابة في تلك الليلة

كلها وقد تفرق شملهم وتبدد جمعهم وأسروا منهم نحو خمسة آلاف فارس فرموهم عن خيولهم وقتل منهم ما لا يحصى عددا قال رافع بن أسد الجرهمي فلما رجعنا الى المعركة وجدنا الارض قد امتلأت من القتلى من الروم والسودان والبجاة وغيرهم وقال واختلط فيهم جماعة من قتلى المسلمين فلم يعرفوا منهم وكان بايديهم صلبان والمسلمون ليس لهم ذلك فميزناهم منهم وجمعنا جريد النخل والقصب ووضعنا على كل قتيل جريدة أو قصبة وذلك فى مكان المعركة ثم جمعناهم وأحصيناهم فاذا هم تسعون ألفا وقتل منهم فى الجبال والطرقات ما لا يحصى وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم خمسمائة وخمسة وثلاثون من الامراء واخلاط الناس وقد اختصرنا فى أسمائهم وألقابهم خوف الاطالة (قال الراوى) وجمع المسلمون الغنائم والاموال ثم قسموها وأخرج عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه الخمس لبيت المال وكتب كتابا الامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالفتح والنصر وما جمعه من الخمس واستدعى بالامير هاشم بن المرقال وضم اليه ثلاثين فارسا من خيار الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأمره بالمسير الى المدينة وأقام المسلمون بالمرج بعد الوقعة خمسة أيام حتى استراحوا وجفت جراحهم ورجع من كان خلف المنهزمين قال ثم ان الصحابة رضى الله عنهم اجتمعوا ودخلوا على عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه واستأذنوه ان يسيروا الى الوجه القبلى فاذن لهم وودعهم ودعا لهم وقال يعز على فراقكم ولولا ان أمير المؤمنين لم يأمرنى بالمسير لما فارقتكم قال ثم انه رجع بثلاثة آلاف فارس ومائة وعشرين فكان جملة من قتل من الصحابة ثمانمائة وثمانين رجلا ختم الله لهم بالشهادة وفازوا بالسعادة وقيل ألف وقيل تسعمائة وأربعون على اختلاف الروايات والله أعلم (قال الراوى) رحمه الله تعالى ما أخذت فى هذا الكتاب العجيب والفتوح المطرب الغريب الذى لم يجمع مثله الا على قاعدة الصدق والمعونة من الله تعالى لما ملكت المسلمون البلاد أتت لهم العباد وذلت لهم أهل الكفر والفساد والعناد فهم الرجال الاخيار والسادة الامراء الابرار والمهاجرون والانصار اصحاب محمد النبى المختار الذين فتحوا باسيوفهم الامصار وأذلوا الطغاة والكفار وارضوا بفعالهم العزيز

الغفار وباعوا أنفسهم لله الواحد القهار بجنات تجري من تحتها الانهار (قال الراوى) ولما رجع المنهزمون الى البطارقة والملوك واخبروهم بذلك وقع الرعب في قلوبهم وحاروا في امورهم ولم يدروا ما يدبرون وما يصنعون لما جرى عليهم وكذلك على بطريق أهناس وعلى البطلوس صاحب البهنسا ما جرى له على اتباعه وجيشه فعولوا على الحصار وصاروا يخزنون ما يحتاجون اليه وقالوا لا بد للعرب أن يملكوا أرضنا وبلادنا وتيقنوا بذلك وكذلك بطارقة الصعيد وملوكهم وقد ملأ الرعب قلوبهم وأيقنوا بالهلاك (قال الراوى) ووصل الكتاب بالاسارى والغنائم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففرح بذلك فرحا شديدا وقرأ الكتاب على علي بن ابي طالب وعلى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال ففرحوا بذلك فرحا شديدا وحمدوا الله تعالى لظهور دين الاسلام وقسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الغنائم على أهل المدينة وقسم لنفسه كاحد الناس من المسلمين ثم كتب جواب الكتاب وختمه ودفعه الى هاشم بن المرقال وأمره ان يوصله الى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وامره في كتابه هذا بالحث على فتح الصعيد (قال الراوى) واما عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فانه لم يرجع الى مصر حتى قسم الغنائم بين اصحابه وتفقد اهل البلاد واهل السابقة ورجع الى مصر بعد أن جهز العساكر للرحيل (قال الراوى) ولما فارق عمرو بن العاص الجيش اجتمع الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين استشار بعضهم بعضا الى أي جهة يقصدون فاتفق رأيهم انهم يوجهون طليعة ألف فارس ويؤمرون عليهم قيس بن الحارث ويكون معه من اصحابه امرائهم وهم رفاعة بن زهير المحاربي والقعقاع بن عمرو التميمي وعقبة بن عامر الجهني وذو الكلاع الحميرى رضى الله تعالى عنهم فيسيرون ويفتحون البلاد فمن أطاعهم وطلب الامان أمنوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى قاتلوه حتى يفتحوا البلاد (قال الراوى) وسار خالد وبقية الجيش يريدون مدينة اهناس لانها من اعظم مدائن الوجه القبلي بعد البهنسا والكورة وكانت حصينة منيعة عالية البنيان وبها الآلات (قال الراوى) فلما أحس ملك اهناس بمسير الصحابة تحصن بها وجمع اليه

عليهم جمع البطارقة بعد ان انكسرت جنودهم وخمدت نيرانهم وكلهم بانهزام جيوشهم وشاورهم فى أمره وقال لهم خذوا أهبتكم وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم والا صرتم عبيدا للعرب يفعلون بكم ما يشاؤن كما فعلوا بغيركم وان أردتم معهم صلحا صالحناهم حتى ننظر ما يكون من أمرهم قال وما أراد الملعون المفتون الجبان المغبون بذلك الا ليختبر بطارقته وشدتهم قال فاجابوه وقالوا الا نسلم بلادنا الا بعد الغلب ونجمع أموالنا فى هذه المدينة الحصينة ونقاتل فان غلبنا عولنا على الحصار فيها قال واتفق رأيهم على ذلك فكان من وافقهم على ذلك خرج اليهم بماله ونفسه ومن لم يجبهم اقام فى محله وكذلك بطارقة البهنسا منهم من رحل الى البهنسا ونقل اهله وأولاده وماله اليها ومنهم من اقام فى بعض المدائن حتى عولوا على الاقامة والقتال والحصار (قال الراوى) وسار خالد رضى الله تعالى عنه بالجيش حتى قرب من اهناس وبين يديه الطلائع من الامراء رضى الله تعالى عنهم اجمعين وهم يشنون الغارات على السواحل والبلاد فمن خرج اليهم وصالحهم صالحوه وعقدوا معه صلحا ولهم عليه الميرة والعلوفة والضيافة ومن أبى دعوه الى الاسلام فان ابى طلبوا منه الجزية فان ابى قاتلوه وصاروا يشنون الغارات حتى وصلوا قريبا من اهناس قال وبلغ الخبر الى عدو الله فقال لا بد من لقائهم وقتالهم حتى أنظر ما يكون من امرهم ثم انه خرج الى ظاهر المدينة بجانب السور ولم يبعد عنها (قال الراوى) وكان للمدينة أربع أبواب واغلق ثلاثة أبواب وفتح الباب الشرقى واخرج الخيام والسرادقات واكثر من الزينة والعدة وقال ان دخلنا المدينة من غير قتال تطمع العرب فينا ثم انه فرق بطارقته واعرض جيشه فكانت عدتهم خمسين ألفا وقال لهم اثبتوا وقاتلوا وذبوا عن حريمكم وأولادكم ولا تكونوا أول من أخذ فاقاموا يتهيؤن وينتظرون قدوم الصحابة رضى الله عنهم (قال الراوى) واما خالد رضى الله تعالى عنه فانه لما قرب من اهناس استدعى بالزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه وضم اليه ألف فارس من الامراء وغيرهم وأمره بالمسير ثم استدعى بالفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه وضم اليه ألف فارس وامره بالمسير على أثر الزبير بن العوام ثم استدعى بميسرة بن مسروق العبسى رضى الله تعالى عنه وضم اليه ألف

فارس وسيره على اثر الفضل بن العباس ثم استدعى بزياد بن أبي سفيان رضى الله
تعالى عنه وضم اليه ألف فارس وسيره على اثر ميسرة ثم استدعى بالمقداد رضى الله
تعالى عنه وضم اليه ألف فارس وسيره على اثر زياد ثم استدعى بمالك الاشتر
رضى الله تعالى عنه وضم اليه ألف فارس وسيره على اثر المقداد (قال الراوى)
وسار خالد رضى الله تعالى عنه ببقية الجيش وبه قال حدثنا عون بن سعيد قال
حدثنا هاشم بن نافع عن رافع بن مالك العلوى قال كنت فى خيل الزبير بن العوام
فلما توسطنا البلاد فرمنا اهلها فشننا الغارة على السواحل فوجدنا قطيعا من
البقر وقطيعا من الغنم ومعها رعاة فلما أحسوا بنا تركوها وذهبوا فسقناها ثم سرنا
قليلا واذا نحن برجال ونساء وصبيان وهم نصارى من الروم وغيرهم وقد حملوا
متاعا وأثاثا فلما رأونا فروا من بين ايدينا وكان معهم عشرون فارسا من العرب
المتنصرة من لخم وجذام وغيرهم ونحو ثلاثين فارسا من البطارقة ومعهم بطريق
عظيم وعليه الزينة قال فلما أبصرونا فروا من بين أيدينا فبادرنا وشننا عليهم
الغارة فما كان غير قليل حتى أدركناهم وقبضنا عليهم وسألناهم فقالوا انهم من
قرى شتى وانهم يريدون مدينة اهناس فعرضنا عليهم الاسلام فامتنعوا فاردنا
قتلهم فمنعنا الزبير رضى الله تعالى عنه من ذلك وقال حتى يحضر خالد رضى الله
تعالى عنه وينظر فى أمرهم قال وسرنا حتى اذا كنا قريبا من اهناس ورأينا المضارب
والخيام والسرادقات (قال الراوى) فاعلن الزبير رضى الله تعالى عنه بالتهليل
والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير قال وكبرت المسلمون حتى ارتجت
الارض لتكبيرهم وخرجت الروم الى ظاهر خيامهم ينظرون الينا وعدو الله
مانوس المنحوس ابن ميخائيل الضليل بن اهناس ينظر اليهم والحجاب وأرباب
الدولة والبطارقة حوله وعليهم أقبية الديباج وعلى رؤسهم التيجان المكللة بالدرر
والجوهر وبايديهم أعمدة الذهب والسيوف يحجبونه عن يمينه وشماله (قال
الراوى) فلما أقبلنا عليهم تصايحوا علينا وطمطموا بلغاتهم واعلنوا بكلمة
كفرهم واستقلونا فى أعينهم قال فلما قرب الزبير رضى الله تعالى عنه من القوم هز
الراية وأنشد يقول شعرا

ايا اهل الهناس يا الطغاة الكوافر * ويا عصبة الشيطان من كل غادر

أتتكم ليوث الحرب سادات قومها * على كل مشكور من الخيل ضامر

بسيوف تلقون ذلة * ونقتل منكم كل كاب وفاجر

(قال الراوي) ثم نزل قريبا من القوم فلم يكن غير قليل حتى اقبل الفضل بن العباس وحوله السادات والامجاد من بني عمه رضي الله تعالى عنهم قال فكبر وكبروا معه ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

ايا اهل الهناس الكلاب الطواغيا * أتتكم ليوث الحرب تفني المعاديا

فهيموا بان الله لا رب غيره * والا تروا امرا عظيما مدانيا

وقروا بان الله ارسل احمدا * نبيا كريما للخلائق هاديا

والا ابدناكم بحد سيوفنا * ونقتل منكم كل من كان باغيا

(قال الراوي) ثم نزل قريبا من اصحاب الزبير رضي الله تعالى عنه فلم تكن الا ساعة وقد اقبل ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله تعالى عنه فكبر وكبرت اصحابه رضي الله تعالى عنهم واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير فهز الراية وانشد يقول هذه الابيات

أتيناك الاهناس بكل غضنفر * على كل ممدوح من الخيل جيد

اذا الابطال طاعوا شكرنا فعالهم * والا ابدناهم بكل مهند

ونهدم ارض الهناس ونقتل اهلها * اذا خالفوا دين النبي محمد

ونزل قريبا من الفضل رضي الله تعالى عنه فلما كان قريب غروب الشمس اقبل ذيال بن ابي سفيان في بني عمه رضي الله تعالى عنهم أجمعين فكبر وكبر أصحابه وأجابهم اخوانهم المسلمون بالتكبير والتهليل ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

فاعلموا اهل الهناس يا آل هاشم * ويا عصبة المختار نسل الاكارم

فدونكم ضرب الحسام بشدة * وقطع رؤس ثم فلق جماجم

لننصر دين الهاشمي محمد * نبي الهدى المبعوث من نسل هاشم

(قال الراوي) وباتت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن ويصلون على محمد سيد ولد عدنان وهم يتحارسون حتى لاح بارق الفجر ثم اقبل المقداد

باصحابه رضى الله تعالى عنهم فلما قربوا من القوم كبر وكبر المسلمون رضى الله تعالى عنهم معه ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

انا الفارس المذكور فى كل موطن * وناصر دين الهاشمى المؤيد
لعلى انال الفوز عند الهنا * ويا فوز من اضحى نزيل محمد
ونقتل عباد الصليب جميعهم * باسمر خطى وعضب مهند

(قال الراوى) ونزلوا قريبا من الفضل قال وتكاملت امراء القوم المتقدم ذكرهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين فلما رآنا أهل اهناس ظنوا أن ليس غيرنا يأتيهم وأقمنا ذلك اليوم لا نكلمهم ولا يكلمونا فلما كان اليوم الثانى عند طلوع الشمس واذا بغبار قد طلع وقتام قد ارتفع ثم انكشف عن خيول عربية وبيض عادية ودروع داودية وسيوف هندية ورماح خطية وأبطال حجازية ورايات اسلامية واعلام محمدية ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والتوحيد والتقديس والتحميد والتمجيد لله العظيم والصلاة على المخصوص بالفتح المبين والنصر العزيز محمد الممنوح من الله بالتاييد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تنقضى ولا تبيد ويسعد بها كل سعيد ونفيد كل مستفيد وأجابهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهليل والتكبير وقالوا ما أبركه من صباح ثم خرجت الامراء للقائهم قال واذا فى أوائلهم الفارس الشديد والبطل الضرغام الصنديد سيف الله فى أرضه أبو سليمان خالد بن الوليد رضى الله عنه والى جانبه غانم بن عياض الاشعرى وأبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى وبقية الامراء والمهاجرين والانصار رضى الله عنهم (قال الراوى) فلما رأت الروم الكفار اللئام أهل دين الاسلام وما عليهم من الوقار والاحتشام وما علاهم من النور التام تغيرت منهم الالوان وعلاهم الذل والهوان ودخل الرعب فى قلوبهم فنزل خالد ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قريبا من اهناس ايضا وتفرق كل أمير فى مكان باصحابه وأقاموا ذلك اليوم فلما كان اليوم الثانى جمع خالد الامراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم أجمعين واستشارهم فيمن يمضى الى ملك اهناس فقال المقداد رضى الله تعالى عنه أنا له فقال له خالد بارك الله فيك وعليك أنت له وخذ معك من

شئت قال فأخذ معه ضرار بن الازور وميسرة بن مسروق العبسي رضي الله تعالى
عنهم وقال لهم خالد رضي الله تعالى عنه ادعوه أولا الى الاسلام فان أبى فيعطى
الجزية فان أبى فالقتال ونرجو ان يكونوا غنيمة لنا ان شاء الله تعالى وانظروا
كيف تكونوا عند رد الجواب وتوكلوا على رب الارباب وخذوا حذركم منهم على
أنفسكم قال فساروا حتى قاربوا عسكر الروم ودانوا بخيامهم الخيام والمضارب
والسرادقات فصاحت بهم الحجاب من تكونوا قالوا نحن رسل الامير خالد رضي الله
عنه فاعلموا البطريق بذلك فامر باحضارهم فلما وصلوا قريبا منه صاحت بهم
الحجاب والنواب أن انزلوا عن خيولكم فلم يلتفتوا الى قولهم ولم ينزلوا عن خيولهم
الا على سرادقات الملك فوقفوا على الباب فاستاذنوا لهم بالدخول فدخلوا عليه وقد
أطلقوا ألجم الخيل فاراد الغلمان ان يمسكوها فامتنعوا من ذلك فاشار اليهم
البطريق فتركوها ثم دخلوا عليه فاذا هو جالس على سرير من الذهب الاحمر
مرصع بالدر والياقوت والجوهر وحوله البطارقة جلوس والحجاب وأرباب الدولة
قيام بين يديه وبايديهم السيوف مجذبة والعمد والاطبار قال فلما رآهم تغيرلونه
وأخذته الدهشة فاذن لهم بالجلوس فقالوا لا نجلس على هذا الفراش لانه حرام
علينا فامر بالبسط الحرير فرفعت ثم فرش انطاعا وبسطا من صوف ثم أشار اليهم
ان اجلسوا فقالوا لا نجلس حتى تنزل عن سريرك هذا وتكون معنا على هذا
الفراش قال فطمطمت الروم بلغتهم وأرادوا أن ينزعوا سيوف أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامتنعوا من ذلك رضي الله عنهم فاشار الملك الى الروم أن اسكتوا
فسكتوا وكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا وأبوا الا أن ينزل عن سريره قال
فنزل وجلس معهم وكلمهم بلسان عربي وسألهم عن حالهم فاجابوه انهم لا يفارقونه
حتى يسلم هو وقومه أو الجزية أو القتال فامتنع من ذلك وقال اذهبوا فالموعد بيننا
وبينكم القتال في غد وان شئتم دفعنا لكم أموالا وترجعون من حيث جئتم قال
فامتنعوا من ذلك وجرت بينهم محاورة وكلام كثير وقد اختصرنا فيما خوفا من الاطالة
قال فخرجوا من عنده على القتال ورجعوا الى خالد رضي الله عنه واعلموه بذلك
فتهيأت الامراء للحرب والقتال فلما أصبح خالد رضي الله عنه صلى باصحابه صلاة

الصبح وبادروا العرب وصاحوا النصر النصر يا خيل الله اركبوا وفي الجنة ارغبوا وللثواب اطلبوا قال فركب المسلمون خيولهم ونشروا راياتهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وثبت خالد رضي الله عنه في وسط الجيش وجعل على الساقة ميسرة بن مسروق العبسي ومالك الاشتر في خمسمائة فارس من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم قال فلم تكن الا ساعة حتى برزت الروم واظهرت صلبانها وبه قال حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن عن محمد بن سلمة الانصاري رضي الله عنهم قال لما أقبلت رايات الروم وصلبانهم عددناهم فاذاهم خمسون صليبا تحت كل صليب ألف فارس (قال الراوى) فكان أول من فتح باب الحرب بطريق عليه ديباجة حمراء وعلى رأسه بيضة مجوهرة مجلية وهو معصب بعصابة من جوهر ثم جال في الميدان وطلب البراز فبرز اليه فارس من خيثم يقال له زيد بن هلال الخيثمي فقتله وبرز اليه آخر فقتله ثم طلب البراز فبرز اليه عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما فلم يمهله عبد الله دون أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن أطلعه يلمع من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال وجال على جواده وطلب البراز فبرز اليه فارس فقتله وآخر فقتله ثم طلب البراز فلم يبرز اليه أحد فغاص في وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وشوش صفوفهم وقتل أبطالهم ثم عاد الى القلب وخرج شرحبيل ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل كفعله ثم حمل من بعده غانم بن عياض الاشعري ثم حمل من بعده الفضل بن العباس ثم حمل من بعده العباس بن مرادس السلمي ثم حمل من بعده أبوذر الغفاري ثم بادر المسلمون فحملوا حملة واحدة رضي الله عنهم أجمعين (قال الراوى) فلما رأت الروم ذلك أيقظوا أنفسهم وحملوا في عددهم وعديدهم وتظاهروا بالبيض والدروع وقادوا الجنائب وحمل الطائفتان بعضهما على بعض فلم يزل القتال بينهم حتى توسطت الشمس في حد الاستواء قال فعندها حمل خالد بن الوليد رضي الله عنه وغاص في الميمنة قلبها على الميسرة والميسرة قلبها على الميمنة وقاتلت العرب قتالا شديدا حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وبات المسلمون يتحارسون الى الصباح قال وتفقد المسلمون من

قتل من أصحابهم رضى الله عنهم فإذا هم اثنان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فالاعيان منهم ربيعة بن غانم الدوسي وزيد بن ربيع المحاربي وغانم بن نوفل المحاربي وصفوان بن مرة اليربوعي والبقية من اخلاط الناس وقتل من أعداء الله ألف وثلثمائة وأزيد من ذلك قال ولما اختلا عدو الله باصحابه وذكروا له ماوقع لهم من الحرب وما حصل لاصحابه من شدة الطعن والقتل والضرب وما قاسوه من المسلمين عظم عليه وكبر لديه ولكن شجعته البطارقة وقووا قلبه واعتدوا للقتال (قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام المسلمون لصلاة الصبح فلما قضيت الصلاة وثبوا الى خيولهم فركبوها واصطفت لهم الروم وبرز البطارقة وأظهروا زينتهم وبرز لهم بطريق زنديق اثيم يقال انه صاحب طنيدا وعليه لامة حربه وطلب البراز فبرز اليه الفضل بن العباس رضى الله عنه فتقاربا ولا طويلا واعتركا مليا فتجالفا بضربتين فكان السابق بضربته الفضل رضى الله عنه فضرب الملعون بالسيف على رأسه فوصل الى أضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم خرج بطريق آخر فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل أربعة من خيارهم (قال الراوى) فعندها حملت الروم حملة رجل واحد فحمل المسلمون وحمل ضرار بن الازور وأظهر شجاعته وحمل مذعور بن غانم الاشعرى والوليد ومحمد بن عقبة بن أبي معيط ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر وسليمان بن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والفضل بن العباس أولهم رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال وتتابعت الامراء وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار الغبار حتى صار النهار كالليل وتراشقوا بالنبال واشتد القتال ووقعت المعاصم وطارت الجماجم فما ترى الافرساغائرا ودما فائرا واشتد المصاب وانقطعت الاسباب وسال العرق واحمرت الحدق والقوم ما بين مجروح وسالم ومنهزم وهازم وماجت الفلاة وتخضب كل أحد بدماه فضاقت عليهم الارض والسماء وقتلت الابطال العظماء فكم من بطل ثقل عليه درعه فرماه ونال العدو منه مناه وبلغ الشجاع بصبره ماتمناه وصدم الجمع وكثر الفزع والدمع وطاب العطاء والمنع وانقمعت الابطال قمعا وأى قمع وحامت

عليهم العقبان والنسور وطمعت فى أكل أعينهم الطيور والدماء تفور واشتعلت نار الحرب مثل اشتعال التنور فما اشبه ذلك اليوم الا يوم البعث والنشور وعيل صبر الصبور وضاقت الصدور وجرى المقدور وتزايدت الامور ونشر عليهم الموت جناحه وطلبت النفوس الراحة وبان من الشجاع الوقاحة وظهر من الجبان فزعه وافتضاحه ورأى سلامة روحه نهايته وارتياحه ووقع القتال بين العسكرين ونزل الوبال على الطائفتين وانفطرت المرائر وانهتكت السرائر وقاتل الشجاع الصابر وفر الجبان النافر وهم ما بين مكسور وكاسر ومقهور وقاهر ومقتول وقاتل وصارت الاولاد يتامى والنساء أرامل وبطل قول القائل وصار على وجوه القوم للموت دلائل (قال الراوى) وحمل الامير خالد رضى الله عنه حملة الاسد وأرغى وأزبد قال فعندها رفع غانم الاشعرى رضى الله عنه طرفه الى السماء وقال يا عظيم العظماء ويا باسط الارض والسماء يامن له الاسماء الحسنى نسألك بحق محمد نبيك المصطفى ورسولك المجتبى صلى الله عليه وسلم ان تنزل علينا نصرك كما أنزلته علينا فى مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين يا أرحم الراحمين (قال الراوى) وأمنت الامراء رضى الله عنهم على دعائه فما كان الا ساعة حتى رأيت الرجال من الابطال الكفار تتساقط كالورق اليابس من الشجر ولا ندرى من يقتلهم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم المسلمون يقتلون وينهبون ويأسرون هذا والاحجار تأخذهم من فوق الاسوار وهم لا يلتفتون الى ذلك ودخلوا الابواب ودخل المعون صاحب أهناس من الباب وساق خالد وجماعة من الامراء خلفه فلم يلحقوه فظفروا بقطعة من الروم نحو خمسة آلاف فارس وكان المسلمون قريبا من ألفى فارس فاقتتلوا عند الباب قتالا شديدا ثم رموهم بالحجارة من فوق الاسوار وخرج من الباب نحو ثلاثة آلاف فارس فأنجدوا تلك القطعة ودخلوا وأغلقوا الباب وعلوا على الاسوار واشتد الحصار ورموا بالحجارة والنبال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين (قال الراوى) وأقام المسلمون على حصار أهناس ثلاثة أشهر وهم فى كل يوم يشاغلون أهل أهناس بالقتال والاسوار منيعة والابواب وثيقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل يوم يشنون الغارة حتى

يصلوا الى أطراف الكورة (قال الراوى) فلما ضعف من أهل أهناس الجلد وانقطع عنهم المدد وضاقت أنفسهم وطمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غمد سيوفهم فيهم قال واستشار خالد أصحابه رضى الله عنهم ماذا يصنعون وقد أعياهم فتح الباب فقال له الامير المرزبان رضى الله تعالى عنه وهو من أمراء كسرى وكان قد أسلم وخرج للجهاد واحتسب نفسه لله عز وجل وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد الشرقى البحر اليوسفى فى وقعة صاحب طحا ذات الاعمدة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى موضعه ان عندنا فى بلاد الفرس اذا حاصرنا مدينة ولم نقدر على فتحها أخذنا زيتا وكبريتا وجعلناه فى صناديق من خشب وجعلنا لها أعواد ونحملها الرجال ونحن نذب عنهم الى قرب الباب ويجعلون النار فى تلك الصناديق ويلصقونها بالابواب ويولون فتعلق النار بالابواب ويذوب الحديد فتفتح الابواب وتتعلق النار بالحجارة فتهدمها فقال خالد رضى الله عنه نفعل ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما أصبحوا فعلوا ذلك وأسرعوا باتيان ما ذكرناه وما أشار به عليهم المرزبان ووضعوه فى الصناديق وجعلوا فى أطرافها أعوادا طوالا من أسفلها واحتملها الرجال وخرج من خلفهم الفرسان يقاتلون والمرزبان رضى الله عنه أمامهم يعلمهم كيف يصنعون وهم مستترون بالدرق والجحف والحجارة والنبال تتساقط عليهم من فوق الاسوار حتى وصلوا أول باب من أبواب المدينة وهو الباب الشرقى وهو أعظم أبوابها قال فقربوا من ذلك ورفعوا الصناديق على أعلى العيدان وألقوا النار فى الزيت والكبريت ووضعوا ذلك فى الباب ورجعوا (قال الراوى) فلم تكن الاساعة واحدة حتى تعلقت النار فى الباب والاخشاب والحديد والحجارة وثارت النار الى أعلى السور حتى وصلت الى البرج فاحترق وسقط البرج بما فيه من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة قال فبادر المسلمون وملؤا قرب الماء وأطفؤا تلك النيران ودخلوا من الباب وقصدوا قصر الملك وكان حصينا على أعمدة من الحجارة المنحوتة فاغلق أبوابه وعلا فوق الباب وتحصن ففعلوا به كما فعلوا بالباب الاول قال فلما رأى صاحب أهناس ما حل به لم يطق صبرا وأمر بفتح الباب وصاح الامان ومعه جماعة من خدمه وبطارقته قال فعرضوا عليهم الاسلام فامتنعوا الا قليلا منهم

فامر خالد رضي الله عنه بضرب عنق الملك ومن أسلم تركوه ومن أبى قتلوه واستغاثت بهم السوقة والرعية وقالوا نحن كنا مغلوبين على أمرنا فمن أسلم تركوه ومن أبى وأراد البقاء على دينه ضربوا عليه الجزية وخربوا بقاعا عظيمة وهدموا دورا وأماكن حتى صارت تلالا وغنم المسلمون أموالا كثيرة من أوان الذهب والفضة والفرش الفاخرة (قال الراوي) وتركوا فيه عبادة بن قيس ومعه ثلثمائة من المسلمين رضي الله عنهم وخرجوا بظاهر المدينة ولم يبق الا من أسلم أو أعطى الجزية وجعلوا فيها مسجدا قال ولما فرغ خالد رضي الله عنه من ذلك جمع الغنائم وخمسها وأرسل الخمس الى عمرو بن العاص رضي الله عنه ليرسله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل الى عمرو بن العاص سهمه ولاصحابه المقيمين بمصر ونواحيها قال وأقام خالد بعد ذلك بأهناس هو ومن معه من الصحابة رضي الله عنه أربعين يوما (قال الراوي) ثم ان خالدا استدعى بعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنهم وضم اليه ألف فارس ومعه ميمون ابن مهران وأمره أن ينزل على أول بلاد البطلوس اللعين وينازل أهل الكورة واذا وصل الى قيس بن الحارث المتقدم ذكره رضي الله عنه يامرهم بالمسير الى قريب البهنسا ويقاتل من قاتله ويسالم من سالمه ويصالح من صالحه حتى يأتيه المدد ثم استدعى غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه وضم اليه ألف فارس منهم الفضل بن العباس والمسيب بن يحيي الفزاري وأبو ذر الغفاري والمرزبان الفارسي وجعفر ومسلم وعلى أولاد عقيل ابن أبي طالب وعبد الله بن عمر وسعيد بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين وقال لهم خالد رضي الله عنه سيروا الى مدينة البهنسا وأنا على أثركم ان شاء الله تعالى وادعوهم الى الاسلام فمن أجابكم فله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى فالجزية ومن أبى فالحرب والقتال بيننا وبينه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ونازلوا المدائن وأقرنوا المواكب ولا تسيروا الايدا واحدة وفرقوا الكتائب وكونوا قريبا بعضكم من بعض واذا وقعتم في جماعة لا طاقة لكم بهم ثبتوا هممكم واخلصوا نياتكم وقووا عزائمكم فاذا وصلتم الى البهنسا التي هي دار ملكهم ومحل ولايتهم فارسلوا الى الملك وادعوه الى الاسلام فان أطاع

فاتركوه وملكه وان أبى فالجزية عن يدوهم صاغرون وان أبى فالسيف حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبلغنى أنها مدينة حصينة عظيمة كثيرة الخيل والرجال وحولها مدائن وبلاد ورساتيق فكونوا على حذر ومن سالمكم سالموه ومن قاتلكم قاتلوه وعليكم بالحزم واخلاص النية وصدق العزيمة فقد قال الله تعالى فى كتابه المكنون يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم استدعى بالمغيرة بن شعبة رضى الله عنه جد زياد الذى بقرية تعرف بدبروط قريبا من طنبدا وسيأتى ذكر زياد بن المغيرة وأصحابه هناك ان شاء الله تعالى عند وقعة الدير رضى الله عنهم واستدعى بسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم أجمعين وأبان بن عثمان بن عفان وجدد عليهم الوصية وودعهم وساروا رضى الله عنهم (قال الراوى) وسار عدى بن حاتم الطائى وميمون بن مهران حتى وصلا أول اقليم البهنسا وهو ميدوم وجرزة وما حولهما فوجدا قيس بن الحارث رضى الله عنه قد صالح تلك الارض وعقدوا له صلحا وأقروا له بالجزية وكذلك أهل برنشت بعد قتل بطاريقها ونحو تلك البلاد ونادوا فى ذلك الاقليم وأوجبوا لقيس مالا على الصلح والجزية وقد عدى جماعة من المسلمين وهم رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة ابن عامر الجهنى وذو الكلاع الحميرى وألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم وشنوا الغارات من العقبة التى هى قريب من حلوان على تلك القرى والبلاد فمن صالحهم صالحوه ومن قاتلهم قاتلوه وغنموه حتى وصلوا الى اطفيح ثم الى البرنبل وكان هناك بطريق يسمى بولص فخرج اليهم فى جماعة ووقع بينه وبين المسلمين قتال شديد فقاتلوه فما كانوا غير بعيد حتى ظفرت المسلمون به وبجماعته وقتلوهم أشر قتلة وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار وبعد ذلك توجهوا الى القرية التى تسمى ببياض فخرج اليهم أهلها وصالحوهم على الجزية وعدوا من هناك وسار عدى بن حاتم رضى الله عنه حتى اجتمع بقيس بن الحرث رضى الله عنه قريبا من القرية المعروفة بقمن ونزل ميمون هو وأصحابه رضى الله عنهم بالقرية المعروفة بالميمون فقال له قيس بن الحارث لا نبرح من هذا المكان حتى نفتح ما حولنا من البلاد أو يأتينا اذن الامير خالد بن

الوليد رضي الله عنه فاجابه الى ذلك ونزل عدي باولاده بالقرية المعروفة ببني عدي
ثم سار وترك ابنه حاتما واخوته واحتاطوا بالقرية وسار قيس واصحابه رضي الله
عنهم حتى وصلوا القرية المعروفة ببوش والبلد المعروفة بدلاص فخرج اليهم
أهلها بعد قتل بطريقهم وصالحوهم على الجزية وتوسطوا البلاد على ساحل البحر
حتى نزلوا ببا الكبرى وغانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه عن أثرهم وكان بها
دير عظيم يعرف بدير أبي جرج وكان له عيد عظيم يجتمعون اليه من جميع البلاد
فوافق قدوم الصحابة رضي الله عنهم قريبا من العيد فجاءهم رجل من المعاهدين
فاعلمهم بذلك فعندها انتدب قيس بن الحارث رضي الله عنه جماعة من أصحابه نحو
خمسمائة فارس وامر عليهم رفاعة بن زهير المحاربي رضي الله عنه وامرهم ان يشنوا
الغارة على الدير (قال الراوي) وكان في ذلك الدير جماعة من رؤساء الكورة من
الروم وهم حول الدير ومعهم الخيول تحرسهم وهم في ا كلهم وشربهم وزينتهم
الفاخرة الى قريب الصبح وكانت ليلة مقمرة فاتت الصحابة الى مكان متسع وقالوا
لبعضهم اكمنوا هنا فانها الليلة مقمرة فسمي المكان بالقمرية الى يومنا هذا قيل
وكان هناك قرية فكمنوا في جانبها فلما كان آخر الليل قريب الصباح ساروا
وغاروا على السوق ومن فيه وهم في ا كلهم وشربهم وزينتهم مطمئنين فلم يشعروا
الا والخيول فوق رؤسهم فما قاتلوا غير قليل وانهزموا الى جهة الدير والبلد فنهبت
الصحابة رضي الله عنهم جميع ما في السوق من الاثاث والانعام وحملوا الاثاث على
الانعام وساقوها واتوا الى الدير واحاطوا به من كل مكان فقاتلت الروم من اعلى
الدير وصاروا يرمون بالحجارة والنشاب وقد احاط المسلمون بالباب وكسروا الاقفال
وقطعوا السلاسل وتعلق جماعة على الحيطان ودخلوا الدير وقاتلوا الكفرة اللئام
من داخله وفتحوا الباب ودخلت بقية الفرسان فما كان الا ساعة حتى غنموا ما فيه
من اثاث وأوان من ذهب وفضة واسروا منهم نحو مائة اسير وساروا حتى توسطوا
البلاد وكان بالغرب قريبا من البحر اليوسفي قرى كثيرة وبلدان وكان فيها مدينة
تعرف بسمجاب وكان حولها بلاد كثيرة وكان بها بطريق من عظماء بطارقة البطلوس
فلما بلغه قدوم الصحابة رضي الله عنهم جمع جنوده الى حد البلد المعروفة بافقهس

والى البلد المعروفة بشمطاو الدمقنون والى عنابة وجمع على الخيل من الروم والفلاحين كما قيل ستة آلاف فارس وخرج بهم الى قتال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان قيس بن الحارث ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم لما صالحوا أهل بنا واقروا بالجزية ساروا فلما قربوا من القرية المعروفة الآن ببنى صالح فبينما هم يسيرون واذا بالغبار قد لاح لهم من بعيد وبعد ساعة انكشف وبان عن خيول وفرسان وعلى رؤسهم ستة صلبان تحت كل صليب الف فارس من الشجعان وهم لابسون الدروع المذهبة والسيوف والرماح المتقنة وهم فى زى عظيم فلما راى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنهم ما عولت عليه الكفرة الاثام من الحرب والاصطدام ايقظوا هممهم فى الحال واستعدوا لقتالهم بالقتال واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير وحملوا عليهم حملة الاسود الضارية وصدموهم صدمة الابطال الذين باعوا انفسهم رغبة فى جنة عالية ودارت راحات الحرب واشتد بينهم الطعن والضرب وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار واظلم النهار والجبان فى امره قد حار والتقت الفرسان وماتت الشجعان فلله در رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة ابن عامر الجهنى وعمار بن ياسر العبسى ابن عم ميسرة بن مسروق العبسى وليس هو عمار بن ياسر العبسى الذى كان بصفين مع الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم اجمعين (قال الراوى) وقاتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنهم فى ذلك اليوم قتالا شديدا وصبروا على البلاء صبر الصناديد فكان فى الملاعين بطريق عنيد يسمى لاوى بن ارميا وهو صاحب اسنا وكان فارسا مشهورا وبطلا مشهورا فصال وجال وصدم الرجال وقتل الابطال وهو يمرح فى المجال فبرز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل الدوسى فتحاربا وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وكان البطريق صاحب مكر وخداع فخدع الفارس ومال عليه بحيلته وضربه فقتله وختم الله له بالسعادة وبقى عدو الله يصول ويجول ويطلب المبارزة ويسال الانجاز من الفحول وهو يعجب بنفسه بين الصفين ويلعب بسيفه وترسه بين الفريقين قال فعندها خرج اليه عمار بن ياسر العبسى

وحمل عليه حملة منكرة فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتصادما وتلاطما وتطاعنا فكان بينهما طعنات أقوى من الحجر وعدو الله ثابت ويقاتل عن نفسه ويدافع بدرعه وترسه هذا وقد كل ساعده وضاقت طرقه ومذاهبه فلما رآه الامير عمار رضي الله تعالى عنه وعلم منه التقصير حمل عليه واستبقا بضربتين حادتين قاطعتين فكان السابق بالضربة عمار الفارس العبسي القهار فطعنه بالرمح في صدره فطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عدو الله قتيلا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك غضبت الروم لقتل صاحبهم وحمل على عمار كتيبة عظيمة من المشركين وعقروا الجواد من تحته وتكاثروا عليه وقتلوه رحمة الله تعالى عليه فقد ختم الله له بالسعادة وقتل من المسلمين نحو خمسة عشر فارسا من الذين كانوا يدافعون عنه وانه لما قتل الفارس المتقدم ذكره صعب عليهم قتله فرموا أنفسهم على القتال والهلاك وشجعوا أنفسهم وصاروا يقاتلون قتالا شديدا (قال الراوي) حدثنا نوفل عن مالك بن رافع عن غانم اليربوعي وكان في خيل عمار بن ياسر رفاعة بن زهير الحارثي رضي الله عنهم أجمعين قال فبينما نحن في أشد القتال واعظم النزال وايسنا من الحياة لما رأينا من أهوال الحرب ورفاعة بن زهير رضي الله تعالى عنه يحرض الناس على القتال ويقوي عزائمهم ويعضدهم على قمع الابطال وهو ينشد ويقول

يا معشر الناس والسادات والهمم * أهل الصفا والوفا يا معدن الكرم
ها فاصدقوا العزم لا تبغوا به فشلا * ومكنوا العضب في الهامات والقمم
وصيروا القوم في الغبراء ملوحة * على الثرى رمما بالذل والنقم

وصار رضي الله تعالى عنه يقاتل ويمانع ويقتل الابطال ويجندل الرجال ويصول ويجول ويطعن فرسان أعداء الله ويقول يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا واصبروا واعلموا أن النصر مع الصبر والجنة تحت ظلال السيوف وانكم ان كسرتموهم لم تقم لهم قائمة بعد هذه أبدا وابشروا بالجنة وبالحور والولدان في غرف الجنان قال وقد اشتد الحرب وزاد الطعن والضرب وقتلت الرجال وتجندلت

الابطال وعلا الغبار وطمعت فى المسلمين الكفار وضاقت النفوس وقطعت الرؤس (قال الراوى) فبينما نحن فى أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت وارتفعت وانكشفت عن ألف فارس ليوث عوابس عليهم الدروع الداودية وعلى رؤسهم البيض المجلية متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية فتأملناهم فاذا هم سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله ابن المقداد وعبد الله بن طلحة واخوه محمد وزياد بن المغيرة ومحمد بن عقبة وعبد الرحمن بن أبي هريرة وجماعة من الامراء وابناءهم وبقية اصحابهم رضى الله عنهم أجمعين وكان غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه قد جهز طليعة امامه فلما رأونا كبروا وكبرنا التكبيرهم وغاصوا فى وسط المعركة وطلب كل واحد بطريقا من البطارقة فقتله فلما رأت الروم ذلك القتل فيهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا ونهبا وسلبا الى شنذا ثم الى البقنون وما حولها من السواد الى سلقوس وأسروا منهم نحو خمسمائة أسير وقتلوا منهم نحو ثلاثة آلاف وهرب الباقون الى البلاد والقرى فلما قتل البطريق وحصل الضيق خرج اليهم أهل البلد والموقة من النصارى وعقدوا لهم صلحا واتفقوا على أداء الجزية وكذلك ما حولهم من القرى ونزل فى البلد المذكورة عمرو بن الزبير فأقام فيها هو وجماعة معه من المسلمين ثم سار قيس بن الحارث أمام الصحابة رضى الله عنهم أجمعين حتى نزلوا قريبا من مدينة طنبدا والبلد المعروفة باشنين وكان فيها بطريق يسمى أولياص بن بطروس وكان كافرا لعينا فخرج الى لقاء المسلمين هو وجماعته وأنوج معه ميرة وعلوفة لهم وكان ذلك منهم مكيدة ومكرا وعقد مع المسلمين صلحا وتوافق معهم على أداء الجزية عن بلده وعن اشنين وكانت تحت حكمهم وارتحل قيس بن الحارث ومن معه رضى الله عنهم وأقام زياد بن المغيرة رضى الله عنه بالقرية المعروفة بدهروط فعقد مع أهلها صلحا ونزل سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد رضى الله تعالى عنهم وجماعة قريبا من البلد ومنهم من نزل عند القرية المعروفة بالمنية وصار جماعة يدخلون البلد لاثم يعودون خوفا من المكيدة ولا حذر ينفع من قضاء وقدر (قال

(الراوى) وكان المتخلفون خمسمائة فارس جعلوا يسيرون على جانب البحر اليوسفى ويشنون الغارات على السواحل فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه ومن أبى قتلوه وأما قيس بن الحارث رضى الله عنه فانه سار حتى نزل بالقرية المعروفة بالقيس وبه سميت الى يومنا هذا وكان بها بطريق من بطارقة البطلوس وكان ابن عمه واسمه شكون ميخائيل وكانت السودان قد دخلت البلد فحاصرها قيس ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم حصارا شديدا نحو شهرين ثم أعانهم الله عز وجل ففرقوا بابا من أبوابها وفتحت ودخلوها وكان ذلك بعد وقعة وقعت بينهم فى مكان يعرف بكوم الانصار فهزموهم هنالك وحاصروهم وهم بالقيس كما ذكرنا وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق المذكور ابن عم البطلوس ونهبوا الاموال وأخذوا جميع ما فيها بعد ان دعوهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من البلدان الى البلد المعروفة بعطاى ثم الى الكافور فخرج اليهم بطريق وكان ابن عم المقتول برج دهشور لعنهما الله وعقد مع المسلمين صلحا وأعطاهم الجزية ثم سارت العرب الى البلد المعروفة بالدير وسملوط وما قرب من البلدان ونزل زهرة وجماعة من العرب فى المكان المعروف بزهرة وأما بقية أهل السواد الذى حول البهنسا شرقا وغربا لما تحققوا مجىء العرب هربوا الى نحو البهنسا باموالهم ونسائهم وذراريهم وانعامهم وتركوا السواد خرابا وكان البطلوس لعنه الله تعالى أرسل لهم بطارقة فحملوهم الى البهنسا واعتدوا للحصار بجميع ما يحتاجون اليه (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله أوليباص صاحب طنبدا فانه كاتب البطلوس يقول انى لم أصالح العرب الا مكيدة وانى لا أريد الا الغدر بهم فجهز لى جيشا من البطارقة لعلى أظفر بجيش المسلمين ونأخذ ثارنا منهم قريبا قال وكان عدو الله البطلوس فى كل يوم تاتيه الاخبار من العرب المتنصرة وغيرهم من أهل البلاد والسواد بما يجرى من العرب وباخبار من يقتل من البطارقة وباخذ البلاد والاموال فحمل البطلوس هما عظيما ولم يظهر ذلك لاحد من بطارقته وانما كان يطيب قلوبهم ويشجعهم ويقول بلدنا حصينة وان قاتلونا قاتلناهم وان غلبونا دخلنا اليها ولو جاءنا أهل الحجاز جميعهم ما وصلوا الينا ولو أقاموا عشر سنين

ولم يعلم بان الله غالب على أمره وناصر دين الاسلام ومذل الكفرة اللئام فلما بلغ البطلوس مكاتبة عدو الله أولياص لعنهما الله فرح بذلك فرحا شديدا واستدعى ببطريق من بطارقته يسمى روماس ودفع له خمسة آلاف من الروم وغيرهم من أهل القرى وأمرهم أن يسير واتحت ظلام الليل فما جاء نصف الليل الاوهم في مدينة طنبدا فدخلوا على عدو الله أولياص البطريق ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا للهجمة على المسلمين (قال الراوى) فلما أصبح الصباح وصلى المسلمون صلاة الصبح واذا بالخيل قد أقبلت عليهم من الروم فصاح المسلمون النفير النفير دهمنا يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة فركب المسلمون خيولهم وساروا الى قريب من الدير واذا بالروم قد أقبلت عليهم نحو العشرة آلاف فارس وكان أعداء الله قد أكمنوا للمسلمين كمينا قريبا من قناطر كانت هناك وبحر يجرى فيه النيل في أوانه عميقا غربي الدير الذى كورقريبا من البلد (قال الراوى) فلما رأت المسلمون رضى الله عنهم لمعان الاسنة وتمايل الاعنة وخفقان الاعلام وبريق صلبان اللئام من الذهب والفضة أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وأقبلوا مسرعين نحوهم ولم يفزعوا من كثرتهم وحرض بعضهم بعضا على القتال وكانوا قد سبقوا الى شرذمة من المسلمين كانوا نزولا قريبا من الدير ووضعوا فيهم السيف وأحاطوا بهم واتسع المجال واشتد القتال قريبا من القرية المعروفة بدير وطا فخرج سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعبادة بن الصامت وعامر بن عقبة وشداد بن أوس وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فعند ذلك عظم النزال واشتد القتال وعميت الابصار وقدحت حوافر الخيل الشرار ولمعت الاسنة وقرنت الاعنة ودهشت النظار وحارت الافكار وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب ومكان فلله در سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد رضى الله تعالى عنهما فلقد قاتلا قتالا شديدا وابتليا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة رضى الله تعالى عنه لقد كان تارة يقاتل في الميمنة وتارة في الميسرة وتارة في القلب وأحاط بهم أعداء الله من كل جهة حتى صار المسلمون بينهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود

فصبروا لهم صبر الكرام وكان اكثر المسلمين قد اثخنوا بالجراحات واشتد الكفاح
هذا والمسلمون قد اتخذوا بالابطال وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوا قتالا شديدا
واعداء الله محتاطون بهم وحجزوا بينهم وبين البلد وقاتل سليمان واصحابه قتالا
شديدا ووطنوا أنفسهم على الموت وصبح بعضهم بعضا وصار سليمان يقول الله
الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقاتل قتالا شديدا حتى أثخن بالجراحات وقد قتل من المسلمين نحو مائتين
وعشرين قريبا من التل الذى غربى البلد المذكورة وما قتل الرجل الواحد حتى
قتل من أعداء الله خلقا كثيرا (قال الراوى) فلما رأى سليمان بن خالد رضى الله
تعالى عنه ما حل به وباصحابه صار يكرر اليمنى على اليسرى واليسرى على اليمنى
وساعده بالجملة عبد الله بن المقداد وبقية الصحابة رضى الله عنهم وقد تقدم سليمان
ابن خالد رضى الله تعالى عنه وطعن بطريقا اشنين طعنة صادقة فارداه عن جواده
وغاص فى القلب حتى أفنى منهم جماعة كثيرة (حدثنا) أوس بن شداد عن علقمة
ابن سنان عن زيد بن رافع قال كنت فى الخيل صحبة سليمان بن خالد رضى الله
عنه وقد حجزنا المشركين فتقهقروا من بين أيدينا ولم نشعر أن لهم كمينا اذ خرج
المكنون علينا وأحاطوا بنا وكانت عدة فرساننا خمسمائة فارس من الصحابة رضى
الله تعالى عنهم فقاتلناهم قتال الموت وقتلنا منهم جماعة نحو الالفى فارس وقتل
سليمان رضى الله تعالى عنه من الصناديد والبطارقة من خيارهم نحو ثلاثين
فارسا وكذلك عبد الله بن المقداد رضى الله تعالى عنه وصبرا على البلاء صبر
الكرام فاحاط بسليمان رضى الله عنه كردوس نحو ألفى فارس لما رأوا ما حل
بخيارهم وهم الرؤساء والبطارقة من القتل فحملوا عليه حملة واحدة وعقروا جواده
من تحته فضرب بالسيف فيهم وهو على رجليه حتى قطعت يده اليمنى فتناول
السيف بيده اليسرى حتى قطعت فاحاطوا به رضى الله عنه فلما أيقن أنه مرتحل
الى واسع الرحمة التفت وقال الله الله والله يعز عليك يا خالد أن ترى ما حل بولدك
ولكن هذا فى رضاء الله عز وجل وكان قد طعن فى صدره نحو عشرين طعنة حتى
قل حيله وسقط على الارض ثم تبسم وقال الساعة نلقى الاحبة محمدا صلى الله عليه

وسلم وأحزابه فقتلوه رحمة الله عليه فلما رأى عبد الله بن المقداد رضي الله عنه ما حل
بسليمان صاح لا حياة لي بعدك يا أبا خالد والملتقى في جنات عدن ثم هاج وصال
وقتل الرجال والابطال فاحاطت به اللئام فضربوه بالسيف وطعنوه بالحسام حتى
أصابته ضربات وطعنات كثيرة وهو يمسح الدم عن وجهه ويقاتل حتى سقط به
الجواد وهو يصيح واشوقاه اليك يا مقداد ثم تبسم وقال مرحبا ثم مات رحمة الله عليه
وأيقنا أن القيامة من هناك واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن أعلام ورايات
اسلامية وعصبة محمدية وفي أوائل القوم القعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن يحيى
الفزاري وسمرة بن جندب والفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان وسادات بني
هاشم وبني المطلب وسادات الاوس والخزرج وغانم بن عياض الاشعري ومن معه
من الامراء والسادات رضي الله تعالى عنهم فلم يمهلوا دون أن حملوا على الروم حملة
واحدة بنيات خالصة لله عز وجل فلما رأى الامراء والسادات القتلى صاحوا بأجمعهم
واأحباه ثم وثبوا على الروم وثبة الاسود وقتلوا البطريق أولياص لعنه الله أشر
قتلة وبطريق البطلوس روماس وانهزمت أعداء الله من بين أيديهم وتبعتهم
المسلمون بالقتل والاسر حتى بلغت الهزيمة الى البحر اليوسفي وغرق منهم جماعة
كثيرة وقتل منهم في المعركة نحو أربعة آلاف رجل وأسروا منهم ألفين ومائتي أسير
وهرب جماعة منهم واختفوا الى الليل فأتوا الى البطلوس وأعلموه بذلك فضاقت
الدنيا عليه وضاق صدره وحار أمره وزاد فكره واستعد للقاء المسلمين (قال
الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما أهل مدينة طنبدا وأهل اشنين وآبا فانه بلغهم
أمر البطارقة وقتلهم وقتل الروم ومن غرق منهم وقامت أهل آبا على بطريقهم
وكان اسمه لوص وكان نصرانيا ولم يكن روميا وسألوه أن يقاتل العرب فأبى عن
القتال فسميت البلد بذلك الى يومنا هذا وقال لا حاجة لي في قتال العرب فولوا عنه
فلما انهزمت البطارقة أعداء الله خرج لوص ومعه جماعة من أهل البلد المذكورة
الى لقاء المسلمين وطلبوا منهم الصلح فصالحوهم وخرج أهل طنبدا وأهل اشنين
من السوقة والرعية وغيرهم بأولادهم وذراريهم وبكوا في وجوه المسلمين وقالوا
نحن قوم رعية وكنا مغلوبين على أمرنا فارعونا فانا أهل ذمتكم وجواركم فقالوا نعم

بشرط ان تدلونا على من هرب منكم فاجابوهم الى ذلك وصار وايا خذون المسلمين
و يدخلون بهم الدور و يقبضون على الروم و يسلمونهم الى المسلمين وكان النصرانى
يقبض على الرومى و ياتى به حتى قبضوا من طنبداوا شنين نحو ألف وخمسمائة من
المطامير والابيار وغير ذلك ولما اجتمع الاسارى أمر غانم بن عياض الاشعرى
بضرب أعناقهم على تل هناك يعرف بالكوم ورجع المسلمون الى مكان المعركة
فلما عاينوا القتلى ورأوا سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد و بقية الشهداء رضى
الله تعالى عنهم أجمعين بكوا عليهم بكاء شديدا فعندها بكى عمار بن ياسر وجعل
ينعى سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد ومن معهما من الاصحاب وهو ينشد
هذه الابيات

يا عين جودى بالدم الصبيب * ثم اندبى يا عين فقد حبيبى
وانعى لمقتول تردى فى الفلا * أسفا له من ميت وغريب
وابكى سليمانا أسى لا تغفلى * فى موته عن زفرة ونحيب
قد كان ليثا لوذعيا فاتكا * لم يكترث يوم الوغى بحروب
باقى العدا بجنان قلب ثابت * لو أنهم فى العد رمل كثيب
فيا حمام الايك نوحى بالدجى * على فتى للنائبات مجيب
فلا لقى البطلوس خيرا عمره * وجنوده الانذال أهل صليب
قد أكمنوا جيشا لنا متعمدا * قوم الرذالة معشر التكذيب
واعلى المقداد عما قد جرى * من كل قرم فى الامور مصيب
فوحق من أهدى لنا ناصره * فى كل فتح مبعد وقريب
لناخذن الثار من أعدائنا * حقا ونطفى حر نار لهيب

وجعل يقول لفقد زياد وعبيد هذه الابيات

أحباء عينى كالسحائب تدمع * وقلبى من فقد الاحبة يفزع
وأظلمت الدنيا على بنورها * وكاد فؤادى بالجوى يتقطع
لفقد زياد أحرق البين مهجتى * وفقد عبيد ان قلبى مولع

(قال الراوى) ثم ان غانم بن عياض رضى الله تعالى عنه جمع الشهداء وصلى عليهم

جميعا فى ثيابهم ودروعهم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر
الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة وجراحاتهم تقطر دما اللون لون الدم
والريح ريح المسك قال وأقام غانم رضى الله عنه بعد أن دفن الشهداء قريبا من
التل بجرى البلد المذكورة ثلاثة أيام والامراء أيضا يشنون الغارات على
السواحل والسواد وأما يحيى وجابر بن عبد الله الانصارى وأبو أيوب وأبو دجانة
والمسيب بن يحيى الفزارى وابن عقبة رضى الله تعالى عنهم فغاروا فى ألف على
الشرق فخرج اليهم بطريق يعرف بسندراس الجاهل وبطريق شرونة وبطريق
أهريت فى نحو خمسة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا عند سفح الجبل قريبا
من الدير فبلغ الخبر الى غانم بن عياض رضى الله عنه فجهز اليهم طائفة أخرى صحبة
أبى لبابة بن المنذر والفضل بن العباس والمرزبان فى ألف فارس رضى الله عنهم قال
فلما رأت الروم ذلك وقع الرعب فى قلوبهم وكان بينهم حرب عظيم ثم ان الفضل بن
العباس رضى الله تعالى عنه حمل على البطريق الجاهل وضربه ضربة هاشمية
على رأسه فتلقاها بالترس فقطعت الترس والخودة الى أن سمع خشخشة السيف فى
أضراسه فسقط عدو الله قتيلا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس
القرار فكبر وكبرت المسلمون رضى الله تعالى عنهم التكبير وكان الفضل بن
العباس رضى الله عنه فارسا نجيبا وشجاعا قليبا فغاص فى وسط المشركين ووضع
فيهم السيف وحمل المرزبان رضى الله عنه على الملعون بطريق اهريت فقتله
وحمل بن المنذر على بطريق شرونة فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا
الى الفرار فتبعهم المسلمون قتلا ونهبا وسلبا الى المكان المعروف بالدير واهريت
وغرق فى البحر منهم خلق كثيرون وقتل منهم ألف وخمسمائة فارس وتحصن من
الروم والنصارى جماعة بمدينة الجاهل وكانت حصينة فحاصرها المسلمون سبعة
أيام وحرقوا الابواب وهدموا الجدران وأخرجوهم من البيوت وأخربوا تلك
المدينة الى يومنا هذا وخرج الى المسلمين نصارى شرونة واهريت وعقدوا مع
المسلمين صلحا ووضعوا عليهم الجزية وأنزلوا مرة الكلبى رضى الله تعالى عنه
عندهم فى مائتين من أصحابه وغيرهم وابن خالد ابن أخى عمرو بن العاص رضى الله

عنهم في المكان المعروف ببني خالد في مائتي فارس وعدى المسلمون البحر ونزل عامر بالغرب في مائتي فارس قريبا من طنبدا واشنين وارتحل غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه ببقية الجيش ولما تكامل جيش المسلمين أرسل بين يديه المسيب بن يحيى الفزاري والعباس بن مرداس السلمي والفضل بن العباس الهاشمي وعامر بن عقبة الجهني وزياد بن أبي سفيان بن الحارث رضي الله تعالى عنهم في ألف وخمسمائة فارس فساروا الى مكان يعرف بالجرنوس وكان هناك قلعة في المرج للثلث البطلوس وكان في زمن الربيع ينزل هناك في الخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيمون شهرا ثم يركب ويدور على الاقاليم وبعد ذلك يعود الى البهنسا (قال الراوى) فلما علم بطريق القلعة المذكورة وهو فانوس بمجىء العرب أرسل الى البطلوس لعنهما الله يعلمه بذلك فارسل اليه جيشا صحبة بطريق من بطارقته يسمى شلقم وبه سميت البلد التي هي بالقرب من البهنسا وكانت عدة الجيش المذكور عشرة آلاف فارس (حدثنا) مسلم بن يسار اليربوعي عن شداد ابن مازن عن طارق بن هلال انه كان في خيل العباس بن مرداس السلمي قال بينما نحن نسير اذ رأينا غبرة قد ثارت وكان ذلك في وقت الضحى فتاملناها فانكشفت عن عشرة صلبان من الذهب الاحمر فتاهبنا للحملة وتاهبوا لنا ولم يمهلونا دون أن حملوا علينا وطمطموا بلغاتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وحملنا عليهم فالتقى الجمعان واصطدم الفريقان وصبرنا لهم صبر الابطال وقاتلناهم قتال الرجال ونحن في غاية الثبات كما تقدم في الوقعات فلله در عامر بن عقبة والمسيب ابن يحيى الفزاري والفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان بن الحارث رضي الله تعالى عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وتعصب الفضل رضي الله عنه بعصابة حمراء وكذلك فعل زياد بن أبي سفيان بن الحارث كما كان يصنع عمهما حمزة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقاتلا قتالا شديدا فلم تكن الاساعة حتى حمى القتل وقوى الحرب وقد أشرف علينا غانم بن عياض ببقية الجيش رضي الله تعالى عنهم فازددنا قوة وكبرنا فاجابونا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم وتقدم الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما الى البطريق شلقم

لعنه الله تعالى وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا وكان عليه ديباجة مقصبة بالذهب وفي وسطه منطقة مجوهرة وقد عصب رأسه من فوق البيضة بعصابة من الجوهر وبيده عمود من الذهب طوله ثلاثة أذرع وازيد وهو تارة يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعمود فلما رآه الفضل ظن أنه يريده فحمل الفضل رضي الله تعالى عنه على ذلك الملعون حملة منكرة وهو ينشد هذه الابيات

يا كافرا في الحرب جاء عاتيا * اذ جاءنا بجيشنا معاديا
ابشر فقد وافيت ليثا ضاريا * قد حاز سيفا للاعادي مفنيا
قد كان لي رب العباد واقيا * من كل علج رام حربي طاغيا

(قال الراوي) فلم يفهم البطريق ما يقول الفضل وحمل عليه وتعاركا وتجاولا وضرب الفضل ضربة فخادعنها فعطف عليه الفضل رضي الله تعالى عنه كالاسد الضاري وانتزع العمود الذهب من يده وضربه ضربة هاشمية قرشية فابان رأسه عن بدنه ونظر اليه فلم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا رأس فتلقاه فارس من المسلمين يسمى زهيرا فوجده مكبلا بكلاليب في سرجه فنزع الكلاليب فسقط عدو الله كالطود بعد ان تضمع تاجه ومنطقته دما فقال له الفضل رضي الله عنه ان السلب لي ولكن قد وهبتك اياه فقال له لا أعدمنا الله مكارمكم يابني هاشم وعطف فارس على فانوس فقتله وصار كل أمير يقصد بطريقا فيقتله حتى قتلت البطارقة وحمل المسلمون رضي الله تعالى عنهم عليهم حملة بددوا بها شملهم فولوا من بين أيديهم منهزمين فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون ويسلبون الى البحر اليوسفي قريبا من ساقولة وكان هناك قصر لبطريق من بطارقة البطلوس فمضى منهزما الى البطلوس وقال من دهوته وصلت العرب الى القصر وساقولة فسميت القرية بذلك فتحصن جماعة بقلعة المرج فاحاط المسلمون بها واحرقوا الابواب وهدموا الجدران واستخرجوا ما هناك وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة نحو ثلاثة آلاف وأسروا نحو ألف وغرق منهم نحو ألف وازيد وقتل من المسلمين ستمائة وأربعون رجلا الاعيان منهم سيف الانصاري وسالم وعبد الله بن بكر وزياد بن الحارث رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكان زياد بن المغيرة رضي الله تعالى

عنه وبجماعة نزولا فى أماكنهم قريبا من طنبدا كاذكرنا حول البلد المعروفة بدبروط وكان زياد رضى الله تعالى عنه صديقا للامير سليمان بن خالد رحمه الله عليه فارسل الى الامير خالد رضى الله تعالى عنه كتابا يعزيه فيه بولده المذكور وانشد يقول

أباسليمان ان الدهر أفجعنا * فى سيد كان يوم الحرب مقداما
مجندل الضد فى الهيجا اذا جمعت * وللفوارس يوم الحرب خصاما
ياطول ماهزم الاعدا بصارمه * وكم رأوا منه تنكيسا وارغاما
لا علك الضد من أبطالنا أملا * ان حازساعده الحصام صمصاما
كانه الليث وسط الغاراذ وردت * به العداوعلى الاشبال قد حاما
ياعين جودى عليه بالدموع دما * ثم اندبى فارسا قد كان ضرغاما
والسيد الليث عبد الله قد حكمت * به المنايا وحكم الله قد داما
نجل لفارسنا المقداد خير فتى * قد كان فى ملتقى الاعداء همهاما

(قال الراوى) فلما وصل الكتاب الى الامير خالد رضى الله عنه وكان نازلا بالنويرة بقية الجيش قريبا من الدير وهو ينفذ السرايا وأهل البلاد يأتونه بما صالحوه عليه من المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر وعقبة بن نافع الفهرى والزبير بن العوام رضى الله عنهم بألف فارس الى الفيوم وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فعندها فتح الكتاب وقرأه فسقط فى الارض مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انى احتسبت سليمان الملك اللهم اجعله لى فرطا وذخرا واعقبنى عليه صبرا وأعظمنى أجرا ولا تحرمنى الثواب برحمتك ياأرحم الراحمين ثم قال والله لآخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولاقطعن به فرسانهم وانى لأرجو أن آخذ بثارى قريبا ان شاء الله تعالى ولاقتلن بطلوسهم أشر قتلة واشفى بذلك غليل صدرى وحرارة كبدى باذن الله عز وجل ولكن على يدى خراب ديارهم وانهزام جيوشهم ان شاء الله تعالى وهطلت مدامعه رضى الله عنه على وجنتيه أحر من الجمر ثم جعل يسترجع ويقول هذه الابيات

جرى مدمعي فوق المحاجر وانهمل * وحر الغضا قد زاد في القلب واشتعل
وهد فؤادي يوم أخبرت نعيه * وضاقت بي الدنيا ودمعي قد هطل
وزادت بي الاحزان والهم ضرني * وعن قلبي المحزون بالله لا تسل
سابكي عليه كلما أظلم الدجا * وما ابتسم الصبح المنير وما استهل
لقد كان بدرا زائد الحسن طالعا * فاصبح بعد النور والزهو قد أفل
وكان كريم العم والخال سيدا * اذا قام سوق الحرب لم يعرف الوجل
أحاطت به خيل اللئام بأسرهم * وقد مكنوا منه المهند والاسل
فوا أسفا لو أنني كنت حاضرا * بأبيض ماض للجماجم منتصل
تركتهم وسط المعامع جيفة * عليها أساق الطير في السهل والجبل
وحق الذي حجت قريش لبيته * وأرسل طه المصطفى غاية الامل
لاقتل منهم في الوغى ألف سيد * اذا سلم الرحمن واتسع الاجل

(قال الراوى) وأقبلت الامراء والصحابة رضى الله عنهم يعزون خالدا رضى الله عنه ومدامعهم تسيل من عيونهم ويقولون عظم الله لك أجرا وأعقبك عليه صبرا وجعله لك غدا في المعاد ذخرا والله لقد هد موته منا القوى وقد ابقى بكل قلب وانكوى ونحن لقتله ذاهلون فانا لله وانا اليه راجعون وكذلك يعزون المقداد في ولده عبد الله وأتى الخبر الى عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو بمصر فكتب كتابا اليهما بالتعزية وأيضا بلغ الخبر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه واسترجع هو وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبد الله ومن كان من الصحابة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم أجمعين وكتب الى خالد والمقداد رضى الله عنهما كتابا بالتعزية فلما وصل الكتاب اليهما قرآه ففرحا به واطمأنا بما فيه من التسلية لهما (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما البطلوس لعنه الله فانه لما تحقق مجيء العرب الى مدينة البهنسا فتح خزائن الاموال وصرف ما فيها وفتح خزائن السلاح وفرق ما فيها من الملبوس وآلات السلاح وهي الدروع والجواشن والبيض والقسي والرماح والسيوف والسروج واللجم وغير ذلك مما يحتاجون اليه من الآلات على البطارقة وغيرهم من الجند

وكانت جميع دولته عنده فى الحضرة فعندها توجه الى البيت المقفول الذى ذكرناه أولا الذى فيه صور العرب وأسماؤهم فأمر بفتحه وهو يظن أن فيه أموالا قديمة مدخرة وفيه من التحف وغير ذلك فمنعه القسيسون والرهبان من فتحه وهم يقولون له ان فتحت هذا البيت فان العرب تملك المدينة منك وانه مرصود للعرب حتى اذا فتح ملكوا المدينة فأبى ولم يسمع لقولهم وفتح البيت فلم يجد فيه غير أسماء العرب وصفاتها كما ذكرنا فى أول الكتاب فنظر لذلك ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة والرهبان واستشارهم فى أمره وماذا يكون مع العرب فقام شيخ كبير راهب وكان معظما عندهم مسموع الكلام كبير السن قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ولبسه من الصوف الاسود وعلى رأسه قلنسوة وفى وسطه زنار وفى يده عكاز من الآبنوس مطعم بالذهب والفضة فرقى منبر الهيكل وتكلم بكلام لا ينبغى ثم قال يا أهل دين النصرانية و بنى ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم مسموعة مادمتم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعدلون فى الرعية وتاخذون للضعيف حقه من القوى وتنصفون المظلوم من الظالم ولا تمدون أيديكم الى شئ من أموال الرعية وتنهون عن الزنا فكانت الدولة لكم وقلوب الرعية منجذبة اليكم وداعية لكم فلهذا كان الملك معكم فلما اذا لا تامرون بمعروف ولا تنهون عن منكر وتظلمون الرعية وتجورون فى أحكامكم وتحكمون بغير الحق ومددتم أيديكم الى أموال الرعية وفشت فيكم المعاصى وتغيرت منكم قلوب الرعية ومدوا أيديهم بالدعاء عليكم بعد ان كانوا يدعون لكم ودعاء المظلوم مستجاب وكثرة الظلم خراب فيوشك ان تنزع هذه النعمة من من أيديكم وتعود الى غيركم لكثرة ذنوبكم وشؤم معاصيكم ولاجل ذلك سلط الله عليكم العرب فملكوا بلادكم وقتلوا رجالكم ونهبوا أموالكم وسكنوا منازلكم فتيقظوا الساعة من غفلتكم وذبوا عن حريمكم وأولادكم وهذه مقالتى فلما سمع البطلوس كلام القس وما تكلم به التفت الى بطارقته ونوابه وقال لهم هل سمعتم ما قال أبوكم قالوا سمعنا قال فما عندكم من الرأى قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل العرب ولا نطمعهم فينا مثل ما طمعوا فى غيرنا وان غلبونا استعدينا للحصار وعلونا على الاسوار

وقاتلناهم وعندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر سنين وأزيد وبلادنا حصينة ولا نسلم أنفسنا ولا نكون عارا عند الملوك قال فشكرهم البطليوس عند ذلك فوثب قس آخر يناظر ذلك فاستخرج كتابا قديما كان عنده فى صندوق من الآبنوس مقفول عليه ما قفال من الفولاذ وقال يا أهل دين النصرانية و بنى ماء المعمودية استمعوا ما نصت لكم العلماء والكهان القدماء ان الله يبعث نبيا فى آخر الزمان يسمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من بنى عدنان يموت أبوه وامه و يكفله جده وعمه يبعثه الله تعالى عز وجل نبيا الى جميع البشر مولده بمكة وهجرته بطيبة ثم يقيم أياما و يتوفاه الله تعالى ثم يتولى الامر من بعده رجل يسمى أبا بكر و يقاتل بعض العرب ويجهز العساكر الى الشام ثم لم يلبث الا قليلا و يتوفاه الله عز وجل ثم يتولى الامر من بعده الرجل الاصلع عمر بن الخطاب تفتح على يده الامصار وهو والله صاحب الفتوح ومصباح الملوك و تنبث سراياه فى جميع الاقطار وانا نجد فى الكتب القديمة أن هذه المدينة تفتح على يدى رجل أسمر اللون وهو فارس شديد و بطل صنديد يسمى خالد بن الوليد فان سمعتم واقولى قبلتم فاعقدوا مع العرب صلحا فان الدولة لهم ودين الحق معهم والله ناصرهم ولو قاتلهم أهل المشرق غلبوهم وانتصروا عليهم ببركة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقد نصحت لكم جهدى فان خالفتم قولى علاكم الندم وهذه مقالتى والله الموفق قال فلما سمع البطليوس المنحوس والبطارقة قوله غضبوا غضبا شديدا وأرادوا قتله فمنعهم البطليوس من ذلك والتفت الى الراهب وقال كأنك خفت من سيوف العرب وأنا أعلم أن القسيسين والرهبان لا قلوب لهم لانهم ليس لهم الا أكل العدس والزيت والاشياء الرديئة ولا يعرفون اللحم فلاجل ذلك ضعفت قلوبهم فجبنوا عن الحرب والقتال فلولا مقامك من قديم الزمان ورؤيتك الملوك القدماء لبطشت بك ولئن عدت الى مقالتك هذه قتلتك أشر قتلة قال فعندها سكت القسيسون والرهبان وخرج البطليوس من وقته وجلس فى قصره ذى الاعمدة المتقدم ذكره فى أول الكتاب واستدعى ببطارقته وخلع عليهم الخلع ودفع لهم الاعلام والصلبان وأعرض من عنده من الجيوش من المقاتلين واستحصاهم فاذاهم ثمانون ألف فارس خارجة عن

الـ وقة والمشاة ففرح بذلك فرحا شديدا ثم استدعى ببطريق من بطارقتـه اسمه
باسـل بن فرعيا وكان أحد جلساء السرير وكان لا يقطع أمرا دونه فخلع عليه ودفع له
ثلاثين ألفا وأمره بـلاقاة العرب ثم استشار خواص دولتـه بالاقامة فى البلد أو
الخروج الى ظاهرها فقال له ذو رأى من البطارقة أيها الملك انك اذا أقمت ههنا فى
قصرك هذا فى المدينـة استضعفوا أمرنا واذا كنت خارج المدينة لا تجسر العرب
علينا ولا يصـلون بسوء الينا ونجعـل البلد خلف ظهورنا ونقاتل امام الابواب
وتـ اعدنا الرجال بالاحجار وغيرها من فوق الاسوار فاذا عظم الخطب واشتد البلاء
والكرب ندخـل ونغلق الابواب علينا ونعـلوا على الاسوار ونقاتل من يعتدى
علينا ولا ندخل الامن أمر عظيم وهذا ما عندنا من الرأى الصواب فاستصوب رأيهم
ثم انه أمر الفراشين والخدم أن يخرجوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر المدينة
فاخرجوها ر أخرجوا له سرادقا عظيما طوله سبعون ذراعا وارتفاعه عشرون ذراعا
على أعمدة م ن عالى الخشب المصفح بالذهب والفضـة مفروش بالحرير الملون
الازرق والاحمر والاصفر والاخضر والاسود مقضب بقضبان الذهب والفضـة
مزملك باللؤلؤ فيـه تصاوير من داخـله وظاهره من جميع أجناس الطيور
والوحوش وغير ذلك ت وفرشوا فيـه بسطا من الحرير الملون ووضعوا فيـه الوسائد
والمساند والانطاع واء لناب السرادق من الحرير الملون مدقوق لها سنا بك من عاج
وآبنوس فى حلق من الذ هب والفضة ووضعوا له فيه سريرا من الذهب طوله سبعة
أذرع فى عرض خمسة أذرع وارتفاعه مثل ذلك يصعد اليـه بدرج من خشب مصفح
بالذهب والفضة وعليـه فر ش من حرير ووسائد ومساند ونمارق وحوله ثمانون
كرسيا مصفحة بالفضة تجلس عـ ليها أرباب الدولة وأصحاب الصولة وضربوا حوله من
الخيام والسرادقات مالا يوصف. حـدث بذلك المغيرة بن شعبة وأصحابه رضى الله
تعالى عنهم حين أرسلهم غانم بن عـ ياض الاشعرى رضى الله تعالى عنه الى البطلوس
على ماسياتى ذكره ان شاء الله تعالى و ضرب لبطريق من بطارقتـه اسمه سمعان
ابن شاول خياما وسرادقات عند باب ا لجبل ودفع له عشرة آلاف فارس وأنزله عند
باب توما وهو الباب القبـلى ودفع لبطريـ ق آخر اسمه اصطانيـل عشرة آلاف

فارس وأمره أن يكون فى الجانب الشرقى المقابل باب البحر حول القلعة ثم أمر بكنيسة من الخشب المنحوت منقوشة بالذهب والفضة مزخرفة ارتفاعها عشرون ذراعا وسعتها ثلاثون ذراعا فيها تصاوير مدهونة مطلية بالذهب والفضة لها عجل يجرونها عليه بسلاسل فنصبت مقابل الباب وكانت هذه عادة ملوك الروم اذا سافروا يفككونها ويحملونها واذا نزلوا أقاموها فاذا كان المكان قريبا جروها بالسلاسل وقدمت الاعلام السود وأكثروا من الصلبان على أعلى الاسوار وعلى الابراج وزينوا الرايات ورتبوا الرماة بالسهام وغير ذلك (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأما الامير غانم بن عياض الاشعرى رضى الله تعالى عنه فانه لما قرب من البهنسا استدعى أصحابه رضى الله تعالى عنهم وقال لهم تفرقوا ثم استدعى بأبى ذر الغفارى وأبى هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل بن هاشم المخزومى ومالك الاشتر وذى الكلاع الحميرى ومعهم ألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأمرهم بالنزول من الجهة الشرقية وقال لهم ان قاتلوكم قاتلوهم ونازلوا القلعة حتى تاخذوها بمعونة الله عز وجل وعاد الامير غانم رضى الله تعالى عنه من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات من الامراء والسادات وهم الفضل بن العباس ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن ابى طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن ابى سفيان وعبد الله بن العباس ثم تتابعت الامراء والسادات خلفهم مثل نعيم بن عدى وهشام بن العاص وعبد الله الدوسى وسعيد بن جبير الدوسى وحسان الطائى وجبير بن سعيد الحميرى وسيف بن اسلم وسنان بن اسلم الانصارى ومخلد بن عون الكندى وربيعة بن مالك والقعقاع بن عمرو التميمى ومسروق العبسى والمسيب بن يحيى الفزارى ومحكم بن عدى والمغيرة بن شعبة وراشد بن سعد وسعيد بن نجم وجابر بن عبد الله الانصارى والحارث بن ربيعة الانصارى ومالك بن الحارث ورافع بن سهل وزيد بن عامر وعبيد بن اويس وعبد الله بن ظفير وابو لبابة بن المنذر وعون بن ساعدة والعباس بن مرادس وعبد الله بن قرطبة وزيد بن خالد الجهنى وعبادة بن غنيم وظفير بن حمزة وكعب بن عجرة وابن زيد الخيل ومثل هؤلاء السادات وأصحاب الرايات رضى الله تعالى عنهم أجمعين

وتتابعت الكتائب يتلو بعضها بعضا وأعداء الله في الجانب الغربي (قال الراوي) فبينما هم يسيرون واذا بعدو الله باسيل قد أقبل بالبطارقة المتقدم ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح الجبل تحت القارة أشار البطريق المذكور على أصحابه بأنهم يقفوا ويمسكوا عن المسير وصعد على رابية عالية والى جانبه فارس من متنصرة العرب ونادى بأعلى صوته هذا الى البطريق رجلا منكم فوثب جبير بن نوفل الحميري رضي الله عنه وأتى الى الامير غانم رضي الله عنه ثم قال له أيها الامير أتاذن لي أن أمضي اليه وأكلمه فقال نعم امض اليه وان طلب الصلح ورفع القتال صالحناهم حتى يحضر الامير خالد رضي الله عنه و يفعل أمره وان أسلموا تركناهم وان ارادوا القتال قاتلناهم واستعنا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل (قال الراوي) فعندها سار جبير رضي الله تعالى عنه حتى وقف بازاء البطريق وقال له قل حاجتك ايها البطريق وما تريد فقال له انت امير القوم فقال لا ولكن متكلم عن الامير فخاطبه وقال له بلسان عربي لماذا تركتم بلاد الشام والنعم العظام واتيتم الى هذه البلاد وقد كنتم بالحجاز تقاسون جوعا وعريا وضرا فذقتم فواكه الشام وغر الحجاز وخيرات اليمن فلم يكفكم ذلك ولم يقنعكم حتى اتيتم الى مصر وقهرتم القبط وملكتم بلادهم ولم يكفكم ذلك حتى أتيتم الى بلادنا وهجمتم علينا في منازلنا وقتلتم أبطالنا ونهبتم أموالنا ونحن نتغافل عنكم وعن أهلكم ونهمل اموركم حتى علت شوكتكم فقصدتم شرنا ومدينتنا التي هي دار ملكنا ومحل حكمنا وقد طلبها قبلكم الفراعنة والجبابرة والقبط فعجزوا عن ذلك ولم نعط لاحد من الملوك ضيعة وان المقوقس في أيام ولايته كان يحمل الخراج لقيصر ملك الروم فلم يتجاسر علينا وكان يكتفي شرنا وكذلك قيصر ملك الروم كاتب المقوقس في شاننا فلم يتجاسر علينا وتغافل عنا ولا يمنع الملك عنكم الا استحقاره لكم واستخفافه بكم وقد عظمت نفسه عنده أن يخرج اليكم وهو الآن مستعد لكم فقل لنا ما الذي تريدون منا فان كنتم تريدون مالا وترجعون منا صدقة عليكم وترجعون الى بلادكم قت أنا بذلك عن الملك بشرط أن تردوا الينا ما ملكتم من بلادنا فان الملك لا يخالف لي امرا وان كان غير ذلك

فاعلمني فقال جبير رضي الله تعالى عنه هل فرغت من كلامك يا الشيم قال نعم فقال
جبير خذ جواب كلامك أما قولك اننا كنا في ضيق حال فهو كما ذكرت لكن أنعم الله
علينا بالاسلام وهو أول منة وأعظم نعمة انعمها علينا ثم أمرنا بالجهاد لاعلاء كلمة
الله عز وجل فامتثلنا والله عز وجل أباح لنا أموال المشركين ما داموا لنا محاربين
وأمرنا أن نقاتلهم حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو
يقوموا بالجزية أو نقاتلهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك اننا نترل عن
بلادكم لكا هامنكم فهذا أمر لا يكون ولو جرعنا كاسات الردى ولنلحقن مدينتكم
بعاملكا ان شاء الله تعالى وأما قولك المال فليس هو غرضنا وليس لنا حاجة به
وعن قريب نأخذ ما بقي من بلادكم وأموالكم ونقسمها بيننا فلما سمع البطريق
ما قاله جبير غضب غضبا شديدا وقال انا كفؤ لكم دون الثلاث ثم أمر بالحملة عليه قال
جبير رضي الله تعالى عنه مالويت عنان جوادي ورجعت الا والروم أدركتني فحماني
الله تبارك وتعالى منهم (قال الراوي) فحين عاين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أتى
مطر ودتوا ثبت فرسان المسلمين وصار القتال وتبادرت الرجال وصممت
الابطال واشتد النزال ورشقت النبال وكثرت الاهوال وتطاعنت
الفرسان وبانت الشجعان وولى الجبان واصطدم الجمعان فلله در عبد الله
ابن ظفير وعون بن ساعدة وعباد بن تميم والفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهم
لقد قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء حسنا وفرقوا جيش الروم ميمنة وميسرة ولم يزالوا
في قتال شديد وأمر متعب عنيد من ارتفاع الشمس الى وقت العصر فعندها
وثب عبد الله بن جعفر الى البطريق باسيل المذكور وتشمر به فحاد عنها عبد والله
وولى منهزما فحماه جماعة من الروم نحو ثلثمائة فارس وازدادت الاهوال وصالت
الابطال ولم يزالوا في نزال وقتال حتى غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل
من المسلمين نحو خمسين فارسا الاعيان منهم عمارة بن نافع وسالم بن عمار وهلال
ابن وهب ويسار بن مسروق الحميري وعامر بن جابر والبقية من أخلاط الناس
رحمة الله عليهم وقتل من الروم نحو الالف فارس (قال الراوي) وصبر أعداء الله الى
الليل وفروا تحت الظلام هاربين الى البطلوس لعنه الله فلما رآهم زهقت نفسه

وضاقت حضرته والتفت اليهم مغضبا ووبخهم توبيخا عظيما وقال لهم باى وجه تفرون من العرب ولم تصبروا لهم يوما واحدا وقد قتلتم وجزعتم واهلكتم فرسانكم وابطالكم بدون طائل فقال له البطريق باسيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان وهؤلاء ليسوا أناسا وانما هم يشبهون الجان ولولا الاجل حصين ما كنت عدت اليك وسوف تظهر لك مقالتى فانهم لا يرهبون الموت ولا يخافون الفوت قال فلما سمع الملك منه هذا المقال غضب منه فى الحال وقال له اسكت لا اقدت خبر العما تمكن الخوف من قلبك وسترى ما يكون ثم باتوا فى قلق عظيم حتى أصبح الله بالصباح فشاور بعضهم فقال لهم الملك امهلوا حتى ننظر خبر العرب (قال الراوى) فلما أصبح المسلمون رضى الله تعالى عنهم صلوا صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها وتفقدوا أعداء الله فاذا هم قد هربوا وانهزموا ولم يجدوا لهم أثرا فعندها ساروا حتى قربوا من المدينة المذكورة وهى البهنسا فلاحت لهم الصلبان والمضارب والخيام والسرادقات والاعلام (وبه قال) حدثنا قيس بن مهيال عن عامر بن هلال عن زيد الخيل رضى الله تعالى عنهم قال لما أشرفنا على مدينة البهنسا ورأينا تلك المضارب والخيام والقباب والصلبان التى ما سمع بمثلها فى الآفاق ورأينا تلك المدينة عالية الجدران حصينة الاسوار والبنيان منيعة الابراج والاركان وحولها تلك المضارب والخيام فدعا الامير غانم بن عياض رضى الله تعالى عنه بقوله اللهم خذهم وانصرنا عليهم انك على ما تشاء قدير يا أرحم الراحمين وأمن المسلمين رضى الله تعالى عنهم على دعائه واقبلت الصحابة رضى الله تعالى عنهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم فلما أقبلنا وكبرنا خرجت أعداء الله الى ظاهر الخيام وبايديهم السيوف المجذبه والدرق المكوكبه والقسى والنبال والسهام ولم يكترثوا بنا فارادت جماعة من المسلمين الحملة عليهم فمنعهم الامير غانم رضى الله تعالى عنه وبقية الامراء من ذلك وقالوا الاحملة الابعد انذار (قال الراوى) وأما ما كان من أعداء الله فانهم استخفوا بنا واستقلونا فى أعينهم وطمعوا فينا ولم ياتوا الينا ولم يناشدونا ونزل عسكر المسلمين رضى الله عنهم بجانب الجبل عند التل الاصفر قريبا من البنيان الذى

على القارة يجري المدينة هذا ما جرى لهؤلاء * وأما أبوذر الغفاري وأبوهريرة
الدوسي ومعاذ بن جبل وسلمة بن هاشم ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميري رضي
الله تعالى عنهم فانهم ساروا حتى نزلوا قريبا من القوم وباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا
خرج اعداء الله الى لقائهم فقال مالك الاشتر رضي الله عنه يا قوم ان أعداء الله
خرجوا الى لقائكم فاشغلوهم بالقتال وارسلوا جماعة منكم يقطعون الجسر واستعينوا
بالله فعندها خرج الامير المرزبان ومعه نحو ثلثمائة فارس رضي الله عنهم حتى
وصلوا الى الجسر والحجارة تتساقط عليهم من أعلا السور فاستعانوا بالله تبارك وتعالى
وقطعوا الجسر وجعلوا في أماكن المخاضات حراسا بسيوف مجذبة فبينما هم كذلك
واذا بالروم اللئام أقبلت فاقتتل الفئتان قتالا شديدا واشتد القتال وعظم النزال
واصطدم الابطال وقتلت الرجال فاقاموا في ذلك الحرب سبعة أيام وكلما أتوا
مكان المخضات وجدوها محروسة بالفرسان ومحصنة بالشجعان من السادات
والاصحاب رضوان الله عليهم أجمعين وصاروا كل ليلة يهرب منهم جماعة ويخرجون
على وجوههم وخرج معهم جماعة أيضا وساروا بالليل يريدون الهرب الى الصعيد
فتلقاهم رافع بن عميرة الطائي وسرية من أصحاب قيس بن الحارث رضي الله تعالى
عنهم عند البلد المعروفة بالقارو كانوا حول البحر اليوسفي يشنون الغارات على ذلك
السواد فبينما هم كذلك اذ سمعوا دوي الخيل وقعقعة اللجم فظنوا أنهم مسلمون
فكلموهم فلم يجاوبوهم واذا هم الهاربون وكانوا نحو ستمائة فارس ففروا من بين
أيديهم فتبعوهم وقتلوا منهم نحو المائتين وقتل من المسلمين رضي الله عنهم ثلاثة
فرسان عند مخاضة كانت قبلي المدينة وأسروا الباقين فسألوهم عن سبب
خروجهم فاخبروهم انهم خرجوا هاربين فعند ذلك أوثقوهم كتافا واتوا بهم كذلك
بين يدي قيس بن الحارث رضي الله تعالى عنه فعند ذلك أمر قيس عمر بن مالك رضي
الله تعالى عنه أن يأخذ معه ثلثمائة فارس ويمضوا بالاسارى الى اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فساروا فما طلعت الشمس الا وهم عند القلعة المذكورة فاعلنوا
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فنظرت اليهم الروم

والاسارى معهم واقبلت المسلمون اليهم فوجدوا الاسارى معهم ففرحوا بذلك
فرحا شديدا رضى الله تعالى عنهم ثم عرضوا الاسارى على الامراء المتقدم ذكرهم
فعرضوا عليهم الاسلام فامتنعوا من ذلك فضربوا رقابهم والروم ينظرون الى ذلك
ثم زحفت عليهم المسلمون براياتهم واقتتلوا قتالا شديدا وحمى الحرب وكثر الطعن
والضرب من ارتفاع الشمس الى وقت العصر فعندها جالت الامراء رضى الله
تعالى عنهم وصالوا وهم كالاسود الضاربة واوقعوا القتل فى الروم فتساقطوا عن
خيولهم فلما رأوا ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فدخلوا المدينة واغلقوا
الابواب واستعدوا للحصار ونصبوا آلة المنجنيق فوق الاسوار (قال الراوى)
هذا ما جرى لهؤلاء فى الجانب الشرقى واما الذين هم فى الجانب الغربى فانهم نزلوا
فى سفح الجبل فى المكان المتسع من الجهة البحرية الى الجهة الغربية فلما جاء
الليل أوقدوا نيرانهم واجتمع كل بنى قبيلة مع اخوانهم وبنى أعمامهم وباتوا
يقرؤن القرآن ويصلون على سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام وما فيهم الا من
هو راكع وساجد ومبتهل الى الله عز وجل على أن ينصرهم على عدوهم (وأما)
الروم اللئام فانهم أتوا يشربون الخمور من داخل المدينة ومن خارجها ويضربون
بقرونهم ونواقيسهم ويعلنون بكلمة كفرهم حتى ضجت الارض منهم واستغاثت
الى الله تعالى فناداها عز وجل بلسان القدرة والعظمة أبشرى فوعزتى وجلالى
وكرمى وكمالى لاهلكن الطغاة والجبابرة والكفرة منك قريبا ولاسكننك قوما
يوحدونى ويعبدونى ويكبرونى ويهللونى ويشكرونى من خيار خلقى من أهل
الايمان وحملة القرآن يملكون أهل الكفر والطغيان ولاجعلن تلك الكنائس
والبيع مساجد للصلوات والجمعة والجماعات (قال الراوى) عن بعض العارفين
من الاصحاب فلما سمعت تلك الارض الخطاب من قبل رب الارباب استبشرت
بالفرح والسرور وبإذن الملك القهار الغيور من خضعت لهيبته جميع الاقطار
وقهرت من عظمته الطغاة والفجار فسرت الارض فرحا وطربا وتاهت دلالا وعجبا
وبقيت منتظرة لوعد ربها ليزول عنها غمها وكربها فلم يكن غير قريب حتى أزال
الله عز وجل عنها أهل الكفر اللئام وأسكنها أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الانام

وصارت ثلاث البيع مساجد للصلوات ورباطات وزوايا لاهل الطاعات وبدلت ثلاث الكنيسة بجامع عظيم المقدار فيه تقام الصلاة في الليل والنهار وجعلت ثلاث البرية مدفنا للسادات الشهداء الاطهار وصار عليها بعد الظلام أنوار وصارت زيارتها تحط الخطايا في الاوزار ببركة من فيها من الائمة الاخيار ثم نرجع الى ما كنا فيه من سياق القصة العجيبة والدرة المطربة الغريبة (قال الراوي) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلت المسلمون صلاة الصبح ثم جلسوا ينظرون ما يكون من أمر الروم واذا بقسيس قد أقبل راكبا بغلة وعليه مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى قرب من عسكر المسلمين ثم تكلم بلسان العربية وقال أريد أمير القوم وبه قال حدثنا قيس بن شماس عن كعب بن همام عن شداد ابن أوس وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس نتحدث مع الامير غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه اذ أقبل عبد الله بن عاصم وأخبره بأمر القسيس فاذن له الامير غانم بالدخول فدخل فوجد غانما جالسا في خيمته على فرشة محشوة من الليف وفرش المشركين التي اكتسبوها مطوية لم تلتفت الصحابة رضي الله عنهم اليها ولا الى ما غنموه من المشركين من الحلل الفاخرة ولا الى الحلي وغيره ووجد حول الامير غانم رضي الله تعالى عنه الامراء والسادات مثل الفضل بن العباس بن عبد المطلب وابن عمه الفضل ابن أبي لهب وعبد الله بن العباس ومسلم وجعفر وعلي أولاد عقيل وزياد بن أبي سفيان والحارث بن عبد المطلب واسامة بن زيد بن حارثة وأبي امامة بن المنذر والوليد ومحمد بن عقبة ومعيط وأبي أيوب الانصاري وثوبان وفضالة بن أبي معيط وواثلة بن الاسقع ووائل بن حجر والاشعث ابن قيس وأويس بن حذيفة وواثلة الثقفي وعبد الله ابن أبي وعمران بن حصين وجرير بن عبد الله وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وزيد بن ثابت وأبي قتادة وأبي مسعود البدري وجندب بن عبد الله وعثمان بن العاص وعروة بن الجعد البارقي وأبي ذر المعقلي وعبد الله بن يزيد وضمرة بن أبان والمهلب الطائي وأبي ذر بن العقيلي ومعاوية بن الحكم والمغيرة بن شعبة الثقفي وبقية الامراء والسادات الكرام جالسين حول الامير غانم بن عياض وهو جالس كاحدهم وسيوفهم على أفخاذهم

وهم كالاقمار وعليهم هيبة ووقار رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقال لي القس أيكم الامير فاشار والى غانم بن عياض رضي الله تعالى عنه فالتفت له القس وقال له يا فتى أنت أمير قومك قال نعم كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لي عليهم فقال القس بذلك نصرتم على غيركم من الامم اعلم أيها الامير ان البطلوس قد أرسلني اليكم يريد منكم من ذوي الرأي والخبرة جماعة يسالهم في أمره فلعل ان يكون فيه شيء تحقن الدماء بيننا و بينكم (قال الراوي) فعند ذلك التفت الامير غانم الى أصحابه رضي الله عنهم وقال ماذا تقولون فيما أتاكم به هذا القس ومن ينطلق معه الى البطلوس ويخاطبه و يعود الينا ان شاء الله تعالى قال فوثب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قائما وقال أنا أمضي معه اليه وأرسل معي عشرة رجال من السادات من ذوي الباس والمروآت فقال له اختر من شئت وفقك الله لما يحب ويرضى وسددك وأعانك ورد لك علينا سالما غانما ببركة محمد صلى الله عليه وسلم فالتفت المغيرة الى من خلفه وقال أين سعد بن عبيد أين أبو أيوب أين خالد بن ثابت أين ثابت الانصاري أين مسعود البدري أين جبير بن مطعم أين أبو ذر المعقلي أين الحكم الثقفي أين عمران ابن حصين أين زيد بن أرقم فاجابوه بالتلبية رضي الله عنهم فقال لهم تاهبوا وانطلقوا معي على بركات الله تعالى وعونه فقالوا سمعا وطاعة وبادروا رضي الله تعالى عنهم الى خيامهم ولبس كل واحد منهم درعه وشد وسطه بمنطقته وجحفته وتقلد بسيفه واعتقل برمحه وأخذ عبده خلفه على دابة وأما المغيرة رضي الله عنه فانه دخل الى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهي أديم مطلية بفضة فيها خنجران واحد على اليمين وواحد على الشمال مطليين بالفضة وتقلد بسيف مجوهر واعتقل برمح أسمر وركب فرسه الدهماء واخذ معه عبده مبارك راكبا على بغلة شهباء وركب الامير غانم والسادة الامراء خيولهم وودعوا المغيرة وأصحابه رضي الله عنهم والتفت الامير غانم الى المغيرة رضي الله تعالى عنهما وقال له يا ابن شعبة ما الذي تتكلم به عند هذا الملعون فاعهد لك الان الاد هذا فقال له ادعوه أولا الى الاسلام فان أجاب فله مالنا وعليه ما علينا وملكه باق له ونترك عنده من يعلمه

شعائر الاسلام هو وقومه وما فرض عليهم من الصلاة والزكاة والحج والصيام وما ابيح
من حلال وحرام فان أبى فالجزية فى كل عام وان مكث على عناده وكفره فالقتال
بحد السيف والحسام ونرجو النصر التام من الملك العلام ان شاء الله تعالى بجاه
سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام والامل بالله الملهم للصواب المعونة فى رد
الجواب فدعا الامير غانم والسادة الامراء له ولاصحابه رضى الله تعالى عنهم اجمعين
وسار واوعبيدهم مردفون خلفهم معهم وهو راكب على بغلته وهم يهللون بالتهليل
والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم قال
زيد بن ثابت رضى الله عنه لما ودع المغيرة واصحابه رضى الله عنهم الامير غانما
وفارقوه نظرت اليه رضى الله عنه فاذا عيناه تذرفان بالدموع حتى بلت دموعه
لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت أيها الامير ما هذا البكاء فقال رضى الله تعالى عنهم
والله هؤلاء هم انصار الدين فان اصاب رجلا منهم شئ فى امارة غانم فما يكون عذره
وجوابه عند الله عز وجل قال وسار المغيرة واصحابه رضى الله تعالى عنهم حتى
أشرفوا على عسكر عدو الله البطلوس واذا هو قد ملأ تلك الارض بالطول والعرض
وهو نازل حول المدينة والسلاح يلمع فى عسكره كالشمس فصاح المغيرة ومن معه
رضى الله عنهم يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الملك لله الواحد القهار فبينما هم
كذلك اذا اقبل عليهم لملاقاتهم بطريق من البطارقة ومعه رجل من متنصرة
العرب راكبا الى جنبه ومعهما نحو المائتى فارس وساروا وهم يمرون على كراديس
الروم وهم على ابواب الخيام والمضارب وقد اظهروا زينتهم وبايديهم السيوف
المجذبة والدبابيس المذهبة والدرق المكوكبة والمغيرة مطرق راسه هو واصحابه
رضى الله تعالى عنهم ولا يلتفتون الى شئ من ذلك ولا يسالون عنه ولا يفكرون فى
عدة القوم ولا فيما اظهروا من زينتهم وسلاحهم حتى وصلوا الى سرادق الملك
(قال الراوى) فلاح لهم البطلوس وهو جالس على سرير من الذهب الاحمر فعند
ذلك خرجت اليهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة واصحاب الصولة وهم يقولون
لهم قد بلغتم سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة رضى
الله عنه اما خيولنا فننزل عنها واما سيوفنا فلا ننزعها فانها عزنا وما كنا بالذى ينزع

عزه الذى استعز به فأخبرت الحجاب والنواب الملك بذلك فامرهم بالدخول
وسيوفهم معهم فعندها نزلوا عن خيولهم واقبلوا يخترقون صفوف الحجاب
والنواب والبطارقة الى أن وصلوا الى النمارق والفرش والديباج والملك جالس
على سريره الذهب (قال الراوى) فلما نظروا تلك الزينة عظموا الله وكبروه
وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارتج السرادق وتغيرت ألوان القوم
فعندها صاحت بهم الحجاب والنواب ان قبلوا الارض بين يدى الملك فلم يلتفتوا
لهم وأجابهم المغيرة رضى الله عنه بقوله انه لا ينبغى السجود الا لله الواحد المعبود
ولعمرى كانت هذه تحيتنا فى الجاهلية فلما بعث الله تبارك وتعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم نهانا ان لا يسجد بعضنا لبعض قال فسكتوا ثم أمر الملك بكراسى
من ذهب وفضة تنصب لهم فلم يجلسوا عليها وكانوا حين يمرون على فرش الديباج
يزيلونها من قدامهم ولم يمشوا عليها فقالت لهم الحجاب قد أسأتم الادب معنا ولم
تسجدوا للملك ونزعتم فراشنا فاجابهم المغيرة رضى الله عنه ان الادب مع الله تعالى
لا معكم والارض اطهر من فراشكم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى
الارض مسجدا وطهورا وقال الله تبارك وتعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة أخرى (قال الراوى) ولم يكن بين المغيرة وأصحابه رضى الله عنهم وبين
البطلوس ترجمان لانه كان أعرف الناس بالعربية فامرهم بالجلوس فقالوا له
اما ان تنزل عن سريرك هذا وتكون معنا على الارض أو نجلس معك على السرير
لان الاسلام شريف وقد شرفنا الله تبارك وتعالى به فاشار اليهم بالجلوس معه على
سريره وذلك بعد أن أزالوا الفرش من أعلى السرير وجلس الى جانبه المغيرة
رضى الله عنه فالتفت اليهم البطلوس لعنه الله وقال أيكم المتكلم عن اصحابه
فأشاروا الى المغيرة رضى الله عنه وأيديهم مقبوضة على سيوفهم فقال البطلوس
ما اسمك قال عبد الله المغيرة قال له يا مغيرة انى أكره ان أبداك بالكلام فقال له
المغيرة تكلم ما شئت فان عندى لكل كلام جوابا فان شئت تبدؤنى أو أبدؤك
قال بل ابدؤك فاوضح فى كلامه البطلوس فقال الحمد لله الذى جعل سيدنا المسيح
افضل الانبياء وملكنا افضل الملوك ونحن خير السادات وأراد ان يتكلم بقية

كلامه فقطع الامير المغيرة رضي الله عنه كلامه فقالت الحجاب والنواب لقد اساءت
الادب مع الملك يا اخا العرب فابى المغيرة ان يسكت وقال الحمد لله الذي وفقنا
للاسلام وخصنا من بين الامم بنبينا محمد عليه افضل الصلاة والسلام فخلصنا من
الضلالة وانقذنا من الجهالة وهدانا الى صراط مستقيم والى دينه المتين
القويم نحن خير أمة أخرجت للناس نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل
أميرنا الذي هو متولي الامر علينا كأحدنا لو زعم انه ملك أو جار في حكمه عزلناه
عنا فلسنا نرى ان له فضلا علينا الا بالتقوى وقد جعلنا الله نامر بالمعروف وننهى
عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر الله منه ونعبد الله عز وجل لا شريك له في الملك
ولو أذنب الرجل منا حتى بلغت ذنوبه ثقل الجبال ثم تاب منها قبلت توبته فان مات
مسلما دخل الجنة فتغير لون البطلوس ثم سكت قليلا وقال الحمد لله الذي بلانا
باحسن بلاء ونصرنا على الامم واعزنا فلم نذل ومنعنا من ان نضام فلسنا بما أنعم الله به
علينا ببطرين ولا باغين على الناس ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم ياتون الى
بلادنا يمتارون البر والشعير وغيره فنحسن اليهم ونجزيهم فكانت العرب تشكر منا
ذلك وأنتم جئتم بخلاف ذلك تقتلون الرجال وتسبون النساء والاطفال وتغنمون
الاموال وتهدمون المدائن والقلاع والحصون والاطلال وتريدون ان تخرجونا
من بلادنا وديارنا وتغلبونا على مدينتنا وقد طلبها من قبلكم من هو اكثر منكم عددا
وأموالا وسلاحا فلم يظفروا بنا ورددناهم خائبين ورجعوا خاسرين وتركناهم
ما بين قتيل وجريح ومذهول وطريح ولم نذعن لقيصر ولا للمقوقس بخراج
وملكنا بلادنا بالسيف على رغم أنف كل واحد وأنتم لم يكن في الامم أضعف منكم
لانكم أهل الشعير والبر والتمر ومع ذلك جئتم تطمعون في بلادنا وأموالنا وحولنا
جنود كثيرة وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة ومدينتنا حصينة وما أجرأكم
علينا الا انكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز وجئتم الى بلادنا فافسدتموها
وأهلها واخربتم مدائنها وقلاعها ولبستم ثيابنا وتعرضتم الى بنات الملوك
ونسائهم البيض الحسان فجعلتموهن خدما لكم واكلتم طعاما طيبا ما كنتم
تعرفونه وملأتم ايديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر واللؤلؤ والجوهر

وملكتم اموالنا وأمتعتنا التى هى من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك
كله فلا ننازعكم فيه ولا نؤاخذكم بما تقدم من عظيم فعالكم من قتل رجالنا ونهب
أموالنا والآن فارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا وانصرفوا عن مدينتنا وأنتم
موقرون لانفسكم وان أبيتم وثبنا عليكم وثبة واحدة تركناكم كأمس مضى ليس
له عودة وان جنحتم للصلح فتحنا خزائن الاموال وأمرنا لكل رجل منكم بمائة
دينار وثوب حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولاميركم هذا بألف دينار ولكل
أمير منكم مثله والخليفة عليكم بعشرة آلاف دينار كاملة بعد أن نستوثق منكم
الأمان انكم لا تعودون الى بلادنا ولا تقاتلونا هذا كله والمغيرة رضى الله عنه
ساكت حتى فرغ البطلوس من كلامه فعند ذلك قال المغيرة رضى الله عنه
الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
فقال البطلوس نعم ما قلت يا بدوى فقال المغيرة رضى الله تعالى عنه واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المرتضى
ونبيه المجتبى قال البطلوس لعنه الله لا أدرى ما محمد رسول الله فقال له المغيرة
رضى الله تعالى عنه محمد صلى الله عليه وسلم نعرف اصله ونسبه هو نبى صادق
تقى نقى مهد رسول للناس كافة قال تعالى وأرسلناك للناس رسولا وقال تعالى
وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا أظهر الله به دين الاسلام وأباد سيفه
عبدة الصلبان والاصنام ختم الله به النبيين قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم
النبيين عرفنا به عبادة رب العالمين فصرنا أئمة هذا الدين المتين فنحن نعبد
الله تبارك وتعالى ولا نعبد من دونه أوثانا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نصيرا ولا
نسجد الا له وحده لا شريك له مقرين بنبوة نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
ثم التفت الى المغيرة رضى الله عنه وقال يا اعرابى اخبرنى ما أفضل الساعات فقال
المغيرة رضى الله عنه الساعة التى لا يعصى الله فيها فقال لقد أصبت يا أخا العرب
قد ظهر لى رجحان عقلك فهل فى قومك من له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك
فقال نعم فى قومنا وعسكرنا اكثر من ألف رجل على عقول وافرة وثبات من الرأى
لا يستغنى عن رأيهم ومشورتهم وخلفنا أمثال ذلك وهم قادمون عن قريب

ان شاء الله تعالى فقال البطلوس الملعون ما كانظن ذلك فيكم وانما بلغنا عنكم انكم جماعة جهال لا عقول لكم فقال له المغيرة رضى الله عنه كنا كذلك جاهلية جهلاء لا يامن بعضنا على بعض الا فى الاشهر الاربعة الحرم حتى بعث الله عز وجل فينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا وأرشدنا فقال له البطلوس لقد أعجبتنى فى كلامك فهل لك فى صحبتى فقال المغيرة رضى الله عنه يسرنى ذلك اذا فعلت ما أقول لك قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله بشر به عيسى عليه السلام فقال له البطلوس لعنه الله لا سبيل الى ذلك ولكن أردت ان أقرب الامر بينى وبينكم فقال له المغيرة رضى الله تعالى عنه الامر كله لله وحده وقد أمرنا سبحانه وتعالى ان نجاهد من كفر بالله ورسوله وحاد عن دينه واتخذ مع الله شريكا جل ربنا وعلا وهو واحد أحد قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فمن تبعنا كان من حزبنا واخواننا وله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها أحقن بها دمه واحرز ماله وولده ومن أبى الاسلام والجزية فالسيف حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والجزية على كل رأس فى العام دينار وليس على صبى وامرأة وراهب منقطع فى صومعته جزية فقال البطلوس لقد فهمت قولك عن الاسلام فما قولك فى الجزية عن يد وأنتم صاغرون فانى لا أدرى ما الصغار عندكم فقال المغيرة رضى الله عنه تؤديها وأنت قائم والسيف على رأسك فلما سمع البطلوس الملعون كلام المغيرة رضى الله عنه غضب غضبا شديدا وقام فعندها وثب المغيرة هو وأصحابه رضى الله عنهم وسلوا سيوفهم من أغمادها وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله (قال الراوى) حدثنى مسلم بن عبد الله عن طارف بن هلال عن عبد الله بن رافع عن مسعود البدرى رضى الله عنه قال كنت مع المغيرة رضى الله عنه فجذبنا السيوف ووثبنا على القوم وأخذتنا غيرة الاسلام وما فى أعيننا من جيوشهم شئ فلما رأى البطلوس ذلك منا وتبين له الموت من سيوفنا نادى مهلا يا مغيرة ولا تعجل فتهلك وأنا أعلم أنك رسول والرسول لا يفعل ذلك وانما كلمتكم لاختبركم وأنظر ما عندكم فاغمدوا سيوفكم وجلس قال فاغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة

رضي الله عنه حتى صار في مكان البطلوس وزحزحه الى آخر السرير وكان المغيرة
رجلا جسيما فاتكأ عليه حتى كاد أن يخلع فخذه من موضعه قال ثم التفت الى
المغيرة رضي الله عنه وقال له فما قولكم في المسيح بن مريم قال المغيرة رضي الله عنه
هو عبد الله ورسوله قال فمن أين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان
فقال عدو الله فما الذي دل على أن الله واحد قال المغيرة رضي الله عنه القرآن العظيم
في قوله عز وجل على لسان نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال اللئيم فما رأيت مثل حذق
جوابك يا أعور وكان المغيرة رضي الله عنه قد أصيب في احدى عينيه يوم وقعة
اليرموك فقال المغيرة رضي الله عنه لا يعيبني ذلك يا عدو الله ولكن قد أصبت في
الجهاد في سبيل الله من كلب مثلك ملعون فقتلته وقتلت معه خلقا كثيرا وسوف
أقتلك ومن معك وأملك بلادك ان شاء الله تعالى وآخذ بثاري وثار من قتل من
المسلمين والمعونة والثواب من الله عز وجل فقال البطلوس يا أحذق جوابك
فهل في قومك مثلك قال قلت لك فينا من أهل العلم والرأي والمشورة والجهاد ألوف
وأنا لا أساوي معهم شيأ واني رجل بدوي فلو رأيت ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قاتل الكفار وقامع الفجار سيد الابرار الليث الكرار السيد الهمام
والاسد الضرغام مظهر العجائب مبيد المغالب سيدنا ومولانا الامام علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فقال وهل هو معكم في هذا الجيش فقد سمعت
به وأريد أن أنظر اليه فقال له المغيرة رضي الله عنه اخسأ يا عدو الله لم تسأل عن
الامام ان الامام عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه أعظم من أن يسير بنفسه الى كلب
مثلك ولكن ان شاء الله عن قريب نقتلك ونحز رأسك ونرسلها اليه ويضرب بك
المثل جيلا بعد جيل فقال عدو الله هل غيره من الامراء عليكم قال المغيرة نعم أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب متولي أمر المسلمين وبعده عثمان بن عفان وعبد الرحمن
بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح والزبير بن العوام وأمراء
متفرقة بالحجاز واليمن والعراق ومصر وكل أمير مقوم بالف مثلك في الشجاعة
والقوة والبراعة رضوان الله عليهم أجمعين وأما الامير خالد بن الوليد رضي الله عنه

أمير هذا الجيش فانه سيف الله في أرضه على أعدائه ومعه جماعة من الامراء كانك
به وقد أقبل علينا ومعه الامراء الامجاد والفرسان الشداد رضي الله عنهم أجمعين
ويكون قتالك ومن معك على يديه ان شاء الله تعالى فقال عدو الله أريد أن أصلح
الامر بيني وبينكم وأريد قبل الحرب أن أنظر الى جماعة منكم فقال المغيرة رضي
الله عنه عن قريب تجعل يدك في عنقك وتتوجه اليهم بنفسك ماشيا حافيا تعتذر
اليهم ليرضوا عنك السيف وتراهم ان شاء الله تعالى وهم كالسباع الضارية وكان
الملعون قد أراد الغدر بالمغيرة وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ففهم المغيرة منه ذلك
فقال له يا كلب النصرانية في غد آتيك برجال منهم تنظر اليهم ففرح الملعون بذلك
وأضمر في نفسه أن يصبر حتى يأتوا بأجمعهم فاذا أتوا عنده يقتلهم جميعا فرد الله كيده
في نحره ثم وثب المغيرة وأصحابه رضي الله تعالى عنهم وما صدقوا بالنجاة وخرجوا
من عند عدو الله البطلوس وقدم لكل منهم جواده فركبه وساروا جميعا ثم أمر عدو
الله بالحجاب والنواب ان يسيروا معهم الى قريب عسكرهم (قال الراوي) فلما وصل
المغيرة وأصحابه الى أصحابهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين أعلموا الامير غانم بن
عياض رضي الله عنه بما وقع من البطلوس فقال الامير غانم رضي الله تعالى عنه
وحق صاحب الروضة والمنبر ما تركتم الاخوفا من سيوفكم وهذا رجل منذلان
الشيطان لعنة الله عليه غلب على عقله فأخذت الصحابة أهبتهم للحرب والقتال ولقاء
العدو وأقبلوا رضي الله عنهم على بعضهم وصاروا يحرضون على القتال وتحققوا
أن العدو مبارزهم صباحا ولم يبت أحد تلك الليلة الا وهو معتد للقتال وكان
الامير غانم رضي الله عنه قد أرسل جواسيس في صفة العرب المتنصرة لينقلوا اليه
الاخبار فأتت اليه الجواسيس وأخبرته بان الروم متهيئون للقتال ومستعدون غاية
الاستعداد وانهم يجيئون للمسلمين في الصباح فعند ذلك تهيأت الفرسان واعتدت
الشجعان فلما أصبح الصباح توضؤا وصلوا صلاة الصبح وركبوا خيولهم ورتبوا
صفوفهم ونظر الامير غانم رضي الله عنه الى الصفوف ميمنة وميسرة فجعل في
الميمنة الفضل بن العباس وأخاه عبد الله بن العباس وأولاد عقيل وزياد بن أبي
سفيان بن الحارث وبني هاشم وبني عبد المطلب والزبير بن العوام وجعل في

الميمنة أبا أيوب الانصارى وفضالة وأبا سلمة ووائل بن الاسقع وعبد الله بن أبى جبير وزيد بن أبى زيد العقيلى ومثلهم من الامراء وجعل فى القلب القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن يحيى الفزارى ومعاوية بن الحكم والعباس بن مرادس السلمى وهاشم بن العاص وعمار بن أبى سفيان وفى الجناحين عبد الله بن عمر والدوسى وحسان بن النعمان الطائى وجرير بن نفيل الحميرى ومسلم بن ذرقد اليربوعى وسالم ابن أسلم الطائفى ومعمر بن خويلد السكاسكى وحسان بن الاوس الانصارى ومخلد بن عوف الكندى وربيعة بن مالك التميمى وبكر بن سعد وجابر بن عبد الله والحارث بن ربيعة وقد اختصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة رضى الله عنهم أجمعين (قال الراوى) وكان فى الساقة مع النساء والصبيان معاذ بن جبل وسعيد ابن عبد البر والضحاك بن قيس رضى الله عنهم قال وصار الامير غانم رضى الله عنه يتخلل الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا أهل الجنة ان الصبر عز وان الفشل عجز ان الله مع الصابرين فالصبر من أسباب الرجحان والفشل من أسباب الخذلان وصار يقول ذلك لاصحاب الرايات جميعا رضى الله عنهم (قال الراوى) فما فرغ الامير غانم رضى الله عنه من كلامه الا وعساكر البطلوس قد اقبلت وامامهم صليب من الذهب الاحمر وزنه المسلمون رضى الله عنهم بعد اخذه واذا هو خمسة ارطال فى اربع جوانبه اربع جواهر تضىء كالكواكب (حدثنا) سفيان عن ابى الحارث الفزارى عن شداد بن اوس وكان ممن حضر الفتوح وشاهد الواقعة قال لما اقبلت الصلبان علينا صرت اعدها صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا تحت كل صليب الف فارس وبين ايديهم القسيسون والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد اكثروا فى عسكرهم الرايات فبينما نحن كذلك واذا ببطريق اقبل وعليه درع من الذهب ولامة حربية كذلك وصار يطمطم بلغته وسال البراز فبرز له فارس من الاوس فقتله وطلب البراز فبرز له القعقاع بن عمرو التميمى رضى الله عنه فتعاركا وتجاولا فطعنه القعقاع فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره فوقع الملعون فى الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فخرج بطريق آخر غضبان من اجل صاحبه

وكان من جلساء البطلوس المنحوس وطلب البراز فبرز له رجل من الازد فقتله الامير
خاتم رضى الله عنه وقال اذهب فلست انت كفؤا له فبرز اليه المسيب بن يحيى
الفزارى رضى الله عنه وضربه ضربة هاشمية فلقيها بحجفته فضربه العلج ضربة
فارمى السلاح من يده فلم يجد احدا يناوله سلاحه واراد الرجوع واذا بالقعقاع رضى
الله عنه عطف عليه وضرب البطريق بالسيف على عاتقه الايمن اطلعه من عاتقه
الايسر فانجدل عدو الله صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار
فلما رات الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال
(قال الراوى) وكان عدو الله الملعون البطلوس فى المقدم راكبا جوادا كأن اهداه
له ملك ساقوات وكان فى ايام الحصار يصعد ويرمح به فوق الاسوار والابراج
وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعليه درع من الذهب وفى وسطه منطقة من
الجوهر وعلى راسه تاج فيه جواهر تضىء كالكواكب والصلبان مشتبكة على
راسه وخواصه محدقون به وقد حمل كردوس من الروم على ميمنة المسلمين فصبروا
لهم صبر الكرام ثم حمل كردوس آخر وثالث ورابع فلله در الفضل بن العباس
واخيه عبد الله وابن عمه الفضل بن ابى لهب واولاد عقيل وعبد الله بن جعفر
وسادات بنى هاشم رضى الله تعالى عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وقد تقدم الفضل
ابن العباس رضى الله تعالى عنه الى حامل الصليب وطعنه فى صدره فخرج السنان
يلمع من ظهره فسقط الصليب من يده فنظر اليه البطلوس فاغتاظ غيظا عظيما
وايقن بالهلاك وهم ان ياخذه فمال من ركابه فلم يجد سبيلا الى ذلك واخذته
وهرة المسلمين فحمل الفضل وسادات بنى هاشم رضى الله تعالى عنهم على الروم
لاخذ الصليب اغاظة فيهم فتكاثرت عليهم الروم وحملوا على الفضل رضى الله
تعالى عنه حملة منكرة قوية فاستنجد الفضل باولاد عمه بنى هاشم رضى الله عنهم
فحولوا الروم عنه وقتلوا منهم جماعة وازدحم المسلمون على ذلك الصليب يريدون
اخذه من الروم فعطف الفضل ومال من ركابه واخذ الصليب ورجع به الى
المسلمين وسلمه لعمه مقبل فاخذه منه ورجع الى خيمة سيده قال وحمل الفضل ثانيا
وحملت الامراء من الصحابة رضى الله تعالى عنهم واشتد القتال وكثرت الاهوال

وسال الدم وقوى العزم ونار الحرب وزاد الطعن والضرب فلما رأى البطليوس لعنه الله ما حل بالروم وكان معه من البطارقة والفرسان نحو الخمسة آلاف فحمل على المسلمين وكانوا على جناح الميسرة فقتلوا جماعة منهم واثخنوهم بالجراح فصبروا لهم صبر الكرام هذا وابو الفضل رضي الله عنه تارة يكر على الميمنة وتارة يكر على الميسرة وجاءت الامراء جميعهم رضي الله عنهم فلله در القعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن نجبة الفزاري ومعاذ بن جبل وابن زيد الخيل وزياد بن المغيرة وهبار ابن ابي سفيان رضي الله عنهم فقد قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء حسنا حتى كانت الدماء على دروعهم كأنها اكباد الابل وتوسطت المسلمون المعركة واذا ببطريق عظيم الخلقة كأنه جبل قد اقبل وحمل على سفيان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد ان يضربه واذا بطعنة أتته من خلفه اردته عن جواده فسقط عدو الله وهو يسمع خشخشة الرمح في اضلاعه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه الذي كان عليه وكان الضارب له زياد بن ابي سفيان رضوان الله عليه فلما رأت الروم ذلك حملوا جميعا وقام الحرب على ساق وضربت الاعناق وشخصت الابصار وحارت الافكار وتضاربوا بالصفاح وتطاعنوا بالرماح وطمطمت الروم بلغتهم ولم يزالوا في قتال ونزال من طلوع الشمس حتى غابت وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو مائتين وخمسة ختم الله لهم بالشهادة ونالوا السعادة الاعيان منهم سالم بن رافع وجندب بن مازن وعامر قال بن هاشم وعبد الله بن غانم وربيعة بن سلمة والحصين بن ثعلبة ونجاح بن ميسرة وحصين بن رواعة وحجاج بن سارقة ومنصور بن غالب والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم اجمعين وبات الفريقان يتحارسان والمسلمون رضي الله عنهم يقرؤن القرآن ويصلون على النبي المختار سيد ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم وقدوا وقدوا النيران واتوا الى المكان الذي كانت فيه المعركة فميزوا القتلى فلما رأت المسلمون ما حل باولادهم واصحابهم رحمة الله عليهم استرجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال وقد قتل من الروم اعداء الله الفان وخمسمائة وقتل من خيارهم

من البطارقة نحو اربعين من ارباب الدولة واصحاب الصولة من جلساء سرير الملك (قال الراوي) فلما راى عدو الله البطلوس ذلك وما حل بقومه من البطارقة وغيرهم عظم عليه وكبر لديه وجلس حوله كبراء دولته وبطارقته واصحابه وحجابه ونوابه وصار يوبخهم توبيخا عظيما وقال مثلكم لا يصلح لخدمة الملوك فما هذا الخذلان الذي حل بكم والفشل الذي صار لكم والخوف الذي دخل عليكم اتريدون ان تكونوا اسيرة بين الملوك لفعلكم هذا فقالوا له ايها الملك انا في هذا اليوم ما اخذنا اهبة وما كنا نظن ان العرب فيهم هذه القوة فعندها قال لهم ما عندكم من الرأى اترضون العار فيكم وقد اخذوا الصليب من بين ايديكم وخذلتموه فخذلكم وقد علتكم الذلة والوبال والصغار فقالوا ايها الملك لا ترى منا بعد هذا اليوم الا ما يسرك وفي غد نكمن لهم كمينا ونخرج عليهم ونقاتلهم فيخرج الكمين ونأخذ جماعة منا يبذلون انفسهم وهم الرماة كعادة الروم يفعلون ذلك ونقاتل والمسلمون بيننا نحيط بهم السلاسل فلا يصيبوا الفرار من بين ايدينا ولا نمكنهم من مدينتنا ونقتلهم عن آخرهم فعند ذلك فرح واستبشر ثم كتب عدو الله البطلوس كتابا وارسله تحت الليل الى بطريق طرادات الاعمدة والى بطريق ذات الابراج يسألهما النجدة وكانا لعنة الله عليهما شديدين اذ كل بطريق منهما تحت يده عشرة آلاف بطريق من ارباب الصولة وحملة السلاح فلما ورد الكتاب عليهما تجهزا الى النجدة والمسير وسياتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى (قال الراوي) فلما أصبح الله بالصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها ثم رتبوا صفوفهم وشددوا أنفسهم وصار غانم بن عياض رضى الله عنه يحرض الناس على القتال وقد جعل في مكانه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وعطف على أصحاب الرايات رضى الله عنهم وقال لهم اطلقوا الاسنة واذا لقيتم العدو فاحملوا عليه حملة واحدة ولا تخافوا فان الله ينصركم عليهم ورتب الامراء رضى الله عنهم كاليوم الاول ولم يركبوا رضى الله تعالى عنهم حتى دفنوا شهداءهم في ثيابهم ودمائهم رحمة الله عليهم قال فلم يشعروا الا والقوم قد اقبلوا عليهم وطمطموا بالغنم وانتدب منهم عشرة آلاف ونزلوا عن خيولهم وحفروا

لهم حفائر لاوساطهم كما فعلت الروم في يوم اليرموك وأقرنوا كل خمسة وأربعة وثلاثة في سلسلة واحدة ونزلوا في تلك الحفائر ووضعوا آلات النشاب بين أيديهم وأقسموا بالمسيح ان لا يولوا الادبار ولو قتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة صفوف (قال الراوى) حدثنا حسان بن أبي بن الحارث وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن نتهيأ الى الحملة واذا بالروم قد حملوا حملة واحدة واختلط القلب في الجناح والميمنة في الميسرة فكان يخرج منهم نحو العشرة آلاف منهم من كبد قوس واحد وهم كالجراد المنتشر فجرحوا رجالا وقتلوا أبطالا فولت خيول العرب نافرة وقد صبر جماعة من الامراء مثل الفضل بن العباس وأخيه عبد الله وسلالة بن هاشم وكذلك زياد بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة والمسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل في أعلى فراديس الجنان مأواهم فلله درهم في هذا اليوم الصعب المهول العنيد لقد قاتلوا القتال الشديد وابلوا البلاء الحسن الحميد وعدو الله اللعين البطليوس تارة يكر في الميمنة وتارة يكر في الميسرة وحواه أرباب دولته من المشركين قال فصبرنا لهم صبر الكرام ووطنا انفسنا على الهلاك والامراء رضى الله تعالى عنهم يحرضون الاصحاب على القتال وقد قتل من الفريقين طائفة الا أن القتل لا يظهر في المشركين لكثرتهم ولم نظن ان القوم لهم كمين اذ خرج الكمين علينا من خلفنا وأحاطوا بنا فصرنا بين أيديهم كالشامة البيضاء في جلد البقرة السوداء وقد أقبل جماعة من الامراء والاعيان واختلط الناس فلله در الفضل بن العباس وسادات بنى هاشم رضى الله عنهم فانهم لما رأوا ذلك الحال صال كل منهم في القتال وزادوا في تجندل الابطال وكذلك أبان بن عثمان بن عفان وأبو زيد العقيلي وأبو عبد الله الجيلى والمسيب بن يحيى الفزارى وسفيان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو زيد الخيل وكبراؤهم من السادات الامراء رضى الله عنهم فانهم قاتلوا قتال الموت فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء وعبد الله يغوص في القلب ويقتل الفرسان هو وأصحابه فعندها قال القعقاع والمسيب رضى الله عنهما يا قوم سوقوا الابل في وجوه المشركين تتلقى النشاب فساقوها وجعلوها أمامهم تتلقى النشاب وحمل المسلمون رضى الله تعالى عنهم وداسوا في وسطهم وحطوا الرماح

والسيوف فيهم حتى أهلكوا منهم خلقا كثيرا عجل الله بارواحهم الى النار وبئس القرار فلما رأى البطلوس لعنه الله ما فعل المسلمون باصحابه ازداد طغيانا ولم يزالوا كذلك الى ان غابت الشمس فانزل الله عز وجل نصره على المسلمين رضى الله عنهم فانتصروا على أعدائهم ووثب جعفر بن عقيل رضى الله عنه على كردوس من الروم ثم غاص فى وسطه وطعن البطريق المقدم عليهم فقتله فتكاثرت الروم عليه وقتلوه رحمة الله عليه فعندها وثب أخوه على وقال لاحياة لى بعدك يا أخى وحمل فى أعراضهم وقتل جماعة منهم فتكاثرت عليه الروم فقتلوه هو وزيد بن زياد رحمة الله عليهما فعند ذلك عظم البلاء واشتد الوغاء وحام الحمام وعظم المرام فلما رأت سادات بنى هاشم ما حل بهم حملوا باجمعهم على الروم فالجؤهم الى الابواب واقتتلوا عند باب الجبل والباب البحرى قتالا عظيما واسود الظلام وكانت ليلة لم تر الناس مثلها وقتل الصحابة من المشركين ألوفا وقتل من المسلمين بظاهر البلد نحو خمسمائة وأزيد فتظاهرت المسلمون عليهم وعظم البلاء واشتد الحرب وزاد الطعن والضرب وعبد الله يحمى أصحابه وهم فى أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة يقول يا محمد يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل من المسلمين جماعة عند الباب وعظم المصاب فكان يسمع وقع السيوف على الدرق كالرعد ولمع الاسنة والسيوف كالبرق وعبد الله البطلوس تارة يكون عند باب قندس وتارة عند باب الجبل وتارة عند باب توما حتى أدخل الروم جميعهم ولم يبق الامن انقطع من قومه أو تكبا به جواده ولم يزالوا حتى طلعت الشمس وعبد الله قد دخل المدينة وأغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار والابراج وضربوا الابواق والقرون والنواقيس من أعلى الاسوار وأما المسلمون رضى الله عنهم فانهم صلوا صلاة الصبح وأتوا الى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم واذاهم خمسمائة رجل وعشرون رجلا الاعيان منهم جعفر بن عقيل وأخوه على وعبد الله بن زيد وهاشم بن نوفل وطراد من بنى عبد الدار وهلال بن زهير ووهب بن منبه وكعب بن مرة وزيد بن رفاعة وخزاعة بن تميم ومالك بن سهل وقيس بن عدى وناصر بن نجم وشعبة بن فضالة وسعد بن عمار ورافع بن يسار وتميم

ابن مالك و بشر بن سراقة وميسرة بن مسروق وحمزة بن وهب ووهب بن فضالة هؤلاء الامراء والسادات والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين (قال الراوى) ولما رأت المسلمون أصحابهم قتلوا واضطربوا وبكوا بكاء شديدا واعظم الناس حزنا الامير غانم بن عياض رضى الله عنه فانه حزن من أجل من قتل تحت امرته وكان أكثر الشهداء من الاعيان من قريش و بنى هاشم و بنى عبد المطلب و بنى نوفل و بنى عبد شمس و بنى الفضل فلما نظر مسلم بن عقيل رضى الله عنه الى أخويه وما حل بهما رحمهما الله تعالى و رأى الفضل بن العباس وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم ما حل بولدى عمهم نزلوا عن خيولهم وعانقوهم واسترجعوا و بكوا وأقبلت اليهم المسلمون رضى الله تعالى عنهم يعزونهم فعند ذلك رثاهما ابن الحارث وبقية الشهداء بقوله شعرا

يا أعينى دومى على هذا البكا * حتى تفوقى سح مزن الغمام
وعلى عقيل وابنك وانع اخاله * هو جعفر المشكور خير همام
وكذا على من ينتمون لهاشم * من عصبة المختار خير امام
وكذا على الشهداء أرباب الحجا * ما حرك المشتاق نوح حمام
لا سالم البطلوس خير دائما * مع جنده الكفار شر لئام
فلنا خذن الثار من أعناقهم * بطعان خطى وضرب حسام

(قال الراوى) ودفن المسلمون شهداءهم رحمة الله عليهم ثم ان الامير غانما رضى الله عنه فرق الامراء على الابواب ونزل هو والسادات من بنى هاشم وغيرهم من الامراء مثل زياد بن أبى سفيان والوليد واخيه محمد واسامة بن زيد وأبى أيوب الانصارى وفضالة بن عبيد وعمران بن حصين و ابى دجانة الانصارى وجابر بن عبد الدار و بقية الامراء رضى الله عنهم بباب قندس وهو الباب البحرى ونزل القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن يحيى الفزارى وأويس بن حذيفة الثقفى وعبد الله بن أبى أوفى وأبو قتادة وأبو مسعود البدرى وعروة بن سعد وزيد بن أرقم ونظراؤهم من الامراء رضى الله عنهم بالفى فارس بباب الجبل والمغيرة بن شعبة وأبو جحفة وأبو لبابة والمهلب الطائى وأبو زيد العقيلى والعباس بن مرداس ومعاوية

ابن الحكم والفضل بن فضالة و بقية الامراء رضى الله تعالى عنهم عشرة آلاف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصروها وأقاموا مدة لا يقاتل بعضهم بعضا بل كل يوم عدو الله البطلوس يركب جواده المتقدم ذكره ويلبس لامة حربه ويطلع بالجواد على أعلى الاسوار وحوله المشاة من خلفه وامامه بايديهم السيوف المجذبة والدرق المكوكبة والدبابيس المذهبة والاطبار والقسي والنشاب كما تقدم من آلة حربهم الموصوفة وكلما مر على أهل الابراج يضربون له الطبول والزمور والنواقيس (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه أرسل مع عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما جماعة الى الفيوم فكان بينهم وقعات وحروب اختصرناها خوف الاطالة فان المقصود الذى عليه مدار هذا الكتاب فتح مدينة البهنسا واقليمها وما وقع فيها * ثم انهزم من الكفار من انهزم وسلم من سلم وقتل من قتل ووصلوا مدينة الفيوم وحاصروها قليلا ثم أعانهم الله تعالى وفتحوا الفيوم جميعه فى أقل من شهر وأخذوا الاموال والغنائم ورجعوا الى الامير خالد رضى الله عنه وكان معهم ابا النوبرة كما ذكرنا (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما أبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى وذو الكلاع الحميرى ومالك الاشتر رضى الله تعالى عنهم فانهم لما ضربوا رقاب القوم كما ذكرنا حاصروا القلعة نحو عشرين يوما واقتتلوا قتالا شديدا قال حدثنا قيس بن مالك عن منصور بن رافع عن أبى المنهال وكان من أصحاب مالك الاشتر رضى الله عنه قال بينما نحن نحاصر القلعة وقد تظاهرنا عليهم واذا بغبرة قد لاحت وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة وقد سمعنا دوى الخيل وقعقعة اللجم فبادرنا الى خيولنا فركبناها وقد انكشف الغبار عن عشرين صليبا تحت كل صليب ألف فارس واذا هم بطريق ذات الاعمدة وبطريق ذات الابراج كان قد وصل اليهما الكتاب الذى أرسله اليهما اللعين البطلوس وانهما تجهزا للنجدة وتركا أماكنهما وأولادهما فى قلاعهما وسارا بجيشهما أول الليل خوف العرب فما أصبحوا الا على القلعة المحاصرة وكان النيل فى الزيادة وقد خرقت المسلمون رضى الله تعالى

عنهم القناطر التي على البحر اليوسفي وقطعوها فلم يشعر المسلمون الا وهم قد طلعوا عليهم وقد حملوا عليهم وأتوا الى نحو الباب الذي هو بحري المدينة فوجدوا المرزبان وأصحابه رضي الله عنهم هناك فعندها قال مالك الاشتر رضي الله عنه يا وجوه العرب اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداءكم واستعينوا بخالقكم هذا والروم صاحوا جميعا وحملوا على المسلمين وجاءتهم طائفة أخرى من الروم من الجانب البحري نحو ثلاثة آلاف يدقون الطبول ويضربون النواقيس وكان الامير المرزبان رضي الله تعالى عنه كما ذكرنا أولا عند الباب البحري في مائتي فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطدمت الطائفتان وصبر لهم المسلمون صبر الكرام فلما رأى الامير المرزبان رضي الله عنه اشتداد الحرب صال وجال واقتحم الهيجاء وأنشد فقال

أنا المرزبان الكسروي المصارع * وحد حسامي في المعادين قاطع
اذا اشتدت الهيجا وكنت أمامها * أتيت وأسياف المنايا قواطع
وعزمي على الاعداء مازال ماضيا * ورأيي سديد للمحاسن جامع
أصول على الاعداء صولة قادر * وتشبعهم مني سيوف لوامع
أنا وبنو عمي ثلاثون فارسا * أتيت الى الهيجا نحمي الشرائع
ونسبتنا انا من ابناء فارس * نسلم للخلاق ما هو صانع
وكنت الى كسرى وزيرا مدبرا * اليه وأمري في الشجاعة شائع
سلبنا البحيرة من أكابر أهلها * وفاضت من الاجفان منهم مدامع
وجئنا الى مصر وكانت حصينة * وكان لاهل الكفر فيها منافع
نزلت بباب النصر قدام رفقتي * وكان معي في القوم عمرو المدافع
فما زلت في حربي على ظهر أشهب * لحين فتحت الباب والهول واقع
أقمنا بها شهرين من بعد فتحها * وشيدت بأيدينا الصعاب الجوامع
وفي مرج دهشور رجعنا حربنا * وصلنا عليهم والسيوف قواطع
وفرت ذوو الكفر اللئام بنفرة * لسقارة لما أتتهم مواجع
فنادى أبا مرزباننا * أيا كسروي قم للحروب نسارع

فسرت وراء القوم وحدي مسارعا * لغارة العليا هناك الوقائع

فبادرتهم بالطعن حتى تركتهم * على الأرض صرعى ما لديهم منازع

وأسقيتهم كاس الردى وتركتهم * وأفنيتهم بالسيف والحرب واقع

كسرت جيوش المشركين بهمتي * وأرديت من قد جاءنا وهو طامع

وأفنيت جمع القوم وحدي بصارمي * وسالت دماهم والديار بلاقع

فمنهن من ولى ومنهن من نأى * ومنهن من أضحى عليلا ينازع

رددت جميع الظعن وحدي بصارمي * الى مرج دهشور وهن رواجع

رددت نساء المسلمين بجمعهم * وأرديت منهم كل من لا يطاوع

نخا الدنادانى رددت نساءنا * فلا زلت للكفار دوما تمانع

فقلت لهم والله أثنيت جمعهم * بأبيض هندي وأسمر لامع

وجئنا لاهناس وأحرقت سورها * وأرديت أقواما الينا تسارع

وبطريقهم ذاك اللعين قتلته * فكم كانت الكفار عنه تدافع

فويلك يا طلوس من سطواتنا * فمنها الى الاعداء تأتي المصارع

فان قدر المولى ساخرب داركم * واتركها اليوم وهي بلاقع

بدعاني اذا ما جذبته * ترى هامة الاعداء وهي خواضع

وأنزل واديكم وأقتل ما به * وسبي القوم البدور الطوالع

وأسبي نساكم مع خراب كنائس * على الرغم تبني غيرهن الجوامع

وأكثر فيها بالصلاة على الذي * بشرعته الغراء تعلى الشرائع

عليه صلاة الله والآل بعده * كذلك أصحاب اليه توابع

(قال الراوي) فلما فرغ من انشاده حمل على أعداء الله ولا زال يقتل رجالا ويجندل أبطالا فقاتل قتالا شديدا هو وبنو عمه حتى قتل رحمة الله عليه وكذا بنو عمه المذكورون في القصيدة وقد أتوا معه نجدة من بلاد الفرس فقتلوا بوقتهم معه رحمة الله عليهم ورضوانه هذا والمسلمون قد سمعوا ضجيجا حول المدينة من الجانب الغربي فأتوا الى الجانب الشرقي فوجدوا السيوف مجذبة والاعلام مرتفعة وقد قتل جماعة من المسلمين نحو أربعين رحمة الله عليهم فعند ذلك اقتحم القعقاع رضي الله تعالى

عنه البحر بفرسه هو وجماعة من الامراء والسادات رضوان الله عليهم أجمعين وقالوا بسم الله الرحمن الرحيم وعلى بركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اننا أفضل من بني اسرائيل عندك ونزلوا بخيولهم البحر فلم تبتل حوافر خيولهم وكانه معقود بالحجارة الى ان وصلوا الى البر واقتحم البحر زهاء عن ألف فارس من المسلمين فقاتلوا قتالا شديدا (قال الراوى) فبينما هم في أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن رايات اسلامية وسادات محمدية واذا هم ألف فارس من العرب مقدمهم زهير المحاربي رضي الله تعالى عنهم وكانوا مع قيس بن الحارث رضي الله عنه يريدون أصحابه وأهلها فجاءهم رجل من المعاهدين وأخبرهم بمسير بطريق طحاذات الاعمدة وذات الابراج فقاتل السادات رضي الله عنهم فلما عظم ما على الاصحاب وقد أتوا الى الامير قيس رضي الله عنه واستأذنوه بالمسير الى مدينة البهنسا فاذن لهم وساروا الى جماعة الموحدين فوصلوهم وهم في أشد القتال فلما رأتهم الاصحاب رضي الله عنهم كبروا واجابهم المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم ثم حملوا عليهم وقاتلوا قتالا شديدا وكان الفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان ومسلم بن عقيل رضي الله عنهم قريبا من عدو الله من الجانب الشرقي وقاتلوا قتالا ها ثلاثة وبالوا بلاء حسنا مرضيا وصبر واصبر الكرام حتى أغاظوا الكفرة اللئام فوثب القعقاع بن عمرو رضي الله عنه على بطريق طحاذات الاعمدة فقتله ووثب زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه على بطريق ذات الابراج فقتله فلما رأت الروم ذلك من قتل البطريقين ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فهرب منهم جماعة فالجاهم المسلمون الى البحر فغرق منهم جماعة وأسروا جماعة وأتوا بهم الى جانب البحر فرموا أعناقهم وكانوا ثلاثة آلاف رجل والبطلوس ينظر الى ذلك فاغتاظ غيظا شديدا (قال الراوى) وأضرم المسلمون النيران مقابل أبواب القلعة واحترقت وتهدمت الاحجار فبعد حرق الابواب أطفأوا النيران ودخلوا القلعة وقتلوا من كان فيها ونهبوها وأسروا جماعة والبطلوس ينظر الى ذلك كله وبعد خلاصهم من ذلك أتوا الى المرزبان فدفنوه ومن معه من المسلمين الى جانب البحر اليوسفي

تحت جدران القلعة ورجع المسلمون رضوان الله عليهم ونصبوا الاخشاب على شاطئ البحر والحجارة تتساقط عليهم حتى عدوا الى الجانب الغربي باجمعهم واشتد حصار البهنسا واقاموا بحصارها تسعة أشهر فلم يملكوا منها غرضهم وذلك أن المدينة كان لها سرداب تحت الارض من تحت باب الجبل وهو الباب الغربي وذلك السرداب معقود بالحجارة الى قريب من الجبل عند تل هناك يظن كل من رآه أنه غار او حفرة في الجبل وكان يخرج منه خدم البطلوس ومن يأتونه بالطعام وغير ذلك سرا تحت ظلام الليل وذلك السرداب يخرج منه الرجل فرسه على يده فلاجل هذا لم يجزهم حصار المسلمين وكان أيضا اذا احتاج الى أمر يخرج من يثق به من هذا و يوقد الشموع والفوانيس و يخرج من ذلك السرداب وكانت الملوك القدماء صنعوا ذلك من خوف الحصار عليهم وأيضا كانت جواسيسهم يخرجون من السرداب ويأتونهم بالاخبار (قال الراوى) وكان الامير خالد رضى الله عنه لما فتح الفيوم صارت الميرة والعلوفة تأتى الى الصحابة من أرز وعسل وغير ذلك فلما طال الحصار احتاج الامير غانم بن عياض رضى الله عنه الى جانب من العلوفة فارسل مياس بن حازم ومعه مائة فارس من الصحابة رضى الله عنهم ومعهم بغال وحمير وجمال يأتون بما ذكرنا من العلوفة وكان الامير خالد رضى الله عنه أعلمه بذلك الى انه اذا احتاج شيأ من العلوفة يرسل الى الفيوم فيأخذ منها ما يحتاجون اليه فسار جماعة الامير غانم رضى الله تعالى عنه حتى وصلوا الى الفيوم وأوسقوا الجمال والبغال والحمير وأرادوا الرجوع الى أرض البهنسا (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما جواسيس البطلوس الذين يخرجون من السرداب فانهم أخبروا البطلوس بأن العرب الذين ذهبوا الى الفيوم لاجل العلوفة وانهم يلاقونهم ويأخذون ما معهم من العلوفة ويقتلونهم فاستدعى ببطريق من أصحاب سره اسمه باسيل بن ميخائيل وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره أن يأخذ معه ألف فارس من الروم يعرفون بالشدة وينطلق الى طريق الفيوم وانهم يخرجون من السرداب واحدا بعد واحد في ظلام الليل فساروا حتى وصلوا الى دير هناك فاكمنوا فيه حتى رأوا المسلمين ومعهم العلوفة فخرجوا عليهم والتقى الفئتان وقاتلت

الصحابة رضي الله تعالى عنهم قتالا شديدا حدثنا شداد بن أوس وكان في خيل مياس قال لما التقت الفئتان أحاطت أعداء الله بنا حتى ظننا أن الحشر هناك ووطنا أنفسنا على الموت وقاتل الامير مياس رضي الله عنه قتالا شديدا بعد أن سلم الراية لابنه منيع حتى قتل ثم ان ابنه سلم الراية لابن عمه مازن حتى قتل من المسلمين نحو المائة وأسر الباقون وكان فيهم عبد الله بن أنس الخزرجي أحد سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما حل بهم من أعداء الله خرج كالريح العاصف وكان له عناية في الجري وذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بالبركة وأخذ معه عمرو ابن أمية الضمري قال فكنا لا نراهما الا كالخيل الجياد حتى أشرفا على عسكر الصحابة وصاحا النفير النفير أدركونا يا مسلمون فعندها تواثبت الفرسان كالسباع الضارية وسألوهما عن الخبر فقصا عليهم القصة فعندها استدعى الامير غانم بن عياض رضي الله عنه بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وسلمه الراية ودفع معه ألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم من أصحاب النجدة والقوة ومعهم الامراء والامجاد رضوان الله عليهم أجمعين وساروا أول الليل ومعهم رجل من المعاهدين وعبد الله بن أنس رفيق المقتولين من المسلمين يدلانهم على الطريق حتى قربوا من قرية هناك بسفح الجبل فاكمنوا فيها قليلا من الليل فبينما هم كذلك اذ سمعوا دوي الخيل وقعقعة اللجم فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واذا بالروم قد أقبلوا عليهم ومعهم أسرى باقي المسلمين موثوقين بالقيود على ظهور الخيل وكانت ليلة مقمرة فاعلنت المسلمون رضي الله تعالى عنهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وصاحوا في وجوه الروم وقالوا الى أين تذهبون يا أعداء الله وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها صاح عبد الله ابن جعفر رضي الله تعالى عنهم يا قوم ليهجم كل منكم على خصمه فتواثبت السادات والامراء رضي الله تعالى عنهم يقتلون ويأسرون وبادر عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه الى ابن ميخائيل وكان عليه درع مصفح فطعنه في صدره أخرج السنان من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك انهزموا واتبعهم المسلمون قتلا ونهبا وسلبا فلما أصبح الله الصباح حتى

قتل منهم ستمائة فارس وأسر والباقين واغتنمت المسلمون منهم سلاحهم وخيولهم وغير ذلك ونزل الامير عبد الله بن جعفر مع خمسمائة فارس من المسلمين رضى الله تعالى عنهم عند القرية ومعهم الاسارى فاتوا الى مكان المعركة فوجدوا القتلى وعندهم نصارى من المعاهدين يبكون عليهم وحلفوا ان لا علم لهم بذلك وكان فى ذلك الدير نصارى ورهبان كثير ون فانزلوا لهم أكلا وشربا فاكلوا وشربوا ودفنوا شهداءهم رحمة الله عليهم وكر عبد الله راجعا الى أصحابه رضى الله تعالى عنهم وقطع رؤس القتلى ورأس عدو الله ابن ميخائيل امامهم وجنبوا خيولهم وساقوا الاسارى حتى وصلوا الى عسكر المسلمين رضى الله تعالى عنهم فصار وا كلما مر وا على مكان فيه جماعة المسلمين كبر وا الله تعالى وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفرقوا الميرة والعلوفة حتى وصلوا الى أصحابهم وأشرفت الروم من فوق الاسوار ينظرون ما الخبر فرأوا تلك الرؤس معهم ورأس ابن ميخائيل فصعب عليهم ذلك ولطموا على وجوههم ورجعوا الى البطلوس وأعلموه بالخبر فاغتم بذلك واستدعى بجواده فركبه وصعد على عالى الاسوار ودار حتى أشرف على عسكر المسلمين رضى الله تعالى عنهم فلما رأى ذلك هاله واستعظمه وصار يتعجب مما حصل وقال هذه الفعال ليست أفعال الانس انما هى أفعال الجن (قال الراوى) ولما رأى المسلمون عدو الله اللعين البطلوس أتوا الى الامير غانم رضى الله تعالى عنه وأعلموه بذلك فركب رضى الله عنه حتى اتى الى تل هناك والامراء معه مقابل باب قدس قبالة البطلوس واستدعى رضى الله تعالى عنه بالاسارى فعرض عليهم الاسلام فامتنعوا وامر بضرب اعناقهم فصار وا يضربونهم والروم ينظرون اليهم واحدا بعد واحد فلما راى البطلوس ذلك صعب عليه وكبر لديه وغضب غضبا شديدا واستشار اصحابه ماذا يفعلون وانه يريد الخروج الى المسلمين بنفسه ويهجم عليهم لئلا ينقرض اليه بطريق يسمى كرا كير وكان فارسا شديدا وقال ايها الملك انا اكفيك هذا الامر واهجم عليهم لعلنا ننال منهم قصدنا واريد جماعة معى من شداد اجنادك فقال له خذ معك من شئت ثم انتدب له عشرة من كبار البطارقة الذين هم مشهورون بالشدة والقوة من اجناده وخلع عليهم

وأوصاهم وأخذ كل بطريق معه ألف علج من الروم وجاؤا الى الكنيسة فدخلوها
وقبلوا الهيكل وغسلوا وجوههم بماء المعمودية وبارك لهم القسيسون والرهبان
وختموا الانجيل في وجوههم ثم سار القسيسون والرهبان بين أيديهم حتى أتوا
الى قصر البطلوس الغدار لعنه الله وتكاملوا فيه فحرضهم على القتال وقال لهم
اهجموا عليهم هجمة واحدة قوية ومكنوا فيهم السيوف والخناجر ثم استدعى
بحراس باب قندس وكانوا ألفا بين الابواب وعلى الابراج وكان للباب ثلاثة ابراج
بين كل برج وبرج شبر اريف مصفحة بالفولاذ فعندما حضروا بين يديه قال
لهم اذا أتاكم هؤلاء فافتحوا لهم الابواب وقفوا وانظروهم الى أن يعودوا
وبايديكم السيوف المجذبة والاعمدة والدبابيس فاذا أتوكم مسرعين فادخلوهم
واغلقوا الابواب وان تبعهم أحد من العرب فاقتلوه فقال الحراس سمعا
وطاعة يا ملك بما تامر به واستعدت الملاعين الروم لذلك والمسلمون على حين
غفلة لايدرون ما دبر لهم الملعون وكانت ليلة بردها وقدت الصحابة النيران
ودخلوا الى خيامهم وكان حراس المسلمين جماعة من الامراء رضي الله تعالى
عنهم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن معقل والبراء بن عازب ومالك الاشتر
وذو الكلاع الحميري وعبد الله بن العباس (قال الراوي) حدثنا عون بن
سعيد عن سعد بن طارف الثقفي عن أبي زيد الجهني عن مالك الاشتر وعبد
الله بن العباس قال بينما نحن نسهر تلك الليلة والمسلمون قد هجعوا في مراقدهم
من شدة البرد ووضعوا أسلحتهم وفيهم من له ورد يقرؤه ومنهم من يقرأ القرآن
وفيهم من يصلي اذ رأينا الباب قد فتح وخرج منه رجل مسرع وعلى كتفه
مشعل ثم خرج جماعة وبايديهم فوانيس ووقفوا الى جانب الباب وخرج
كردوس وامامهم بطريق عظيم طويل مبروم الذراعين عظيم المنكبين
طويل العنق وبيده صاعقة هندية مجذوبة تلمع كالبرق الخاطف وخلفه
زهاء ألفي فارس من الروم ثم تبعه بطريق آخر وهو كزيه ولباسه ودرعه
وخودته وتبعهما بقية عسكرهما فحملوا على جيشنا فصحنا النفير النفير دهمنا
يا مسلمون لقد غدرتكم الروم فلما سمع المسلمون الصياح نبه بعضهم بعضا

فقاموا من مراقدهم كالاسود الضارية وتبادروا الى أسلحتهم فهذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه وهذا عريان وهذا يأخذ قميصه وهذا يصلح أمره وساروا في وجوه القوم هذا وأعداء الله الخائنون قد عطفوا على جماعة من المسلمين قبل ان يتأهبوا ووضعوا فيهم السيف فما أفاقوا الا وهذا قد قطع رأسه وهذا قد قطع زنده وهذا ذبح نحره وهذا طعن في صدره فعظم البلاء والنزال واشتد الكرب والقتال وعدو الله كرا كير يزبد ويهدر كالبعير وبيده ساحقة تضيء كالكوكب المنير ويطمطم بلغته وقد تبعه كردوس عظيم والروم قد صاحوا من أعلى الاسوار وضربوا نواقيسهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وعملوا مشاعلهم وشمعوعهم على الاسوار حتى صار الليل كالنهار من ضوء المصابيح ووقود النار (قال الراوي) فعند ذلك تبادرت الفرسان وتتابعت الشجعان وكثر الزحام وعظم المرام فلله در الفضل بن العباس وبني عمه الفضل بن أبي لهب وعبد الله ابن جعفر وزياد بن أبي سفيان والقعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن يحيى الفزاري والمغيرة بن شعبة ومسلم بن عقيل وأبي ذر الغفاري وأبي دجانة الانصاري وأبي امامة الباهلي وعامر بن عقبة الجهني وأبي زيد العقيلي ومثل هؤلاء السادات والامراء رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعل في أعلى فراديس الجنان مأواهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء حسنا وطعنت جماعة من المسلمين بالخناجر وجرحت جماعة وأما الذين دهموا وقبل تيقظ المسلمين واستعدادهم فنحو مائتين وثمانين رجلا واقتتل الصحابة مع المشركين الخائنين قتالا شديدا فتظاهرت عليهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم فاقبل الفضل بن العباس رضي الله عنه على البطريق كرا كير اللعين وضربه بالسيف من خلفه على عاتقه الايمن واطلعه يلمع من عاتقه الايسر فكانت ضربة هاشمية قوية فانجدل منها عدو الله صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وأتبعه بالجملة ابن عمه عبد الله بن جعفر وقتل بطريقا آخر فلم تكن غير ساعة حتى جاءتهم بقية الامراء رضي الله تعالى عنهم وحملوا على الروم حملة واحدة منكرة فقتلوا منهم نحو الخمسة آلاف فارس وأمدهم الله تعالى بنصره فلما رأت

الروم ما حل بهم فروا نحو الباب فتبعهم المسلمون الى الباب فخرج كردوس عظيم من داخل الباب حمى المنهزمين منهم الى ان دخلوا الابواب واغلقوها وعلوا على الاسوار فاسرت المسلمون منهم الفا وخمسمائة واتوا الى مكان الوقعة يتفقدون من قتل من الموحدين فاذا هم اربعمائة وخمسة وثلاثون شهيدا ختم الله لهم بالسعادة الاعيان منهم طارف بن هلال وربيع بن زهير الخزرجي وهاشم بن نوفل ووهب بن مرة المحاربي وزياد بن راشد السكسكي وعامر بن فضالة الخولاني وسعد بن جابر الفزاري ونفيل بن عمر الحزامي وزيد بن ناصر الشاكري وعنان ابن نجم الحميري ونوفل بن زياد المقري والحجاج بن سنان الفزاري وذو يلدين كلثم الطائي وكامل بن زهرة الجهرمي وعدي بن سالم الكندي وجعدة بن مرة ومفرج بن نجاح وابو زيد بن حارثة الانصاري وحيادة الغفاري ومزروع الثقفي هؤلاء الامراء والبقية من اخلاط الناس رحمهم الله تعالى رضي الله عنهم اجمعين قال فعندما رأت المسلمون من قتل منهم شق عليهم وأسرعوا تحت ظلام الليل ودفنوا شهداءهم كل اربعة وخمسة وثلاثة واثنان في قبر واحد وذلك في المكان المعروف بالبطحاء عند مجرى الحصا ومقطع السيل ويعرف ذلك المكان بقبور الشهداء والاخيار والدعاء هناك مستجاب كما ذكرنا في أول الكتاب (قال الراوي) ولنرجع الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب لما وارينا شهداءنا ورجعنا الى خيامنا فاذا أعداء الله أغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار ورجع من رجع من المنهزمين الى عدو الله البطليوس فصعب عليه وشق وكبر لديه واظلمت الدنيا في وجهه وعينيه وجعل همه اعظمها على من قتل من أصحابه وأرباب دولته خصوصا على الامين لما كبر المقتول بسيف الفضل بن العباس رضي الله عنه قال فعندها طلب عدو الله المكايد للمسلمين (قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما السادات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اجتمعوا على الامير غانم رضي الله عنه وعنهم وذكروا له ما حصل للمسلمين فاتفق رأيهم على ان يرسلوا رجلا للامير خالد يطلبونه النجدة والحضور اليهم فعندها كتب الامير غانم رضي الله تعالى عنه كتابا الى الامير خالد رضي الله

تعالى عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله غانم بن عياض وباقى
السادات الكرام الى الامير خالد رضى الله تعالى عنه انا فتحنا العراق والشام
واليمن وغير ذلك فلم نجد مثل الروم والفرس ألعن من هذا الملعون البطلوس ولا
أكثر خداعا ولا مكرا ولا حيلة منه ومدينته آهلة حصينة بالخيل والرجال
والسلاح وغير ذلك وقد غدرنا مرارا وقتل منا رجالا وجندل منا أبطالا فانجدنا
بنفسك ومن معك من السادات المؤمنين والامراء رضوان الله عليك وعليهم
والسلام عليك وعلى من معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
طوى الكتاب واستدعى بعبد الله بن المنذر رضى الله تعالى عنه ودفعه له وأمره
بالمسير فسار الى الامير خالد رضى الله عنه فلما وصل اليه وجده نازلا بالنويرة
فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قرأه وفهم معناه استرجع وقال لا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم ثم كتب جواب الكتاب الى الامير غانم عياض رضى الله عنه
يقول فيه انى قادم عليك و واصل اليك برجال وأى رجال وأبطال وأى أبطال
والسلام عليك وعلى من معك من الصحابة الاخيار ثم دفعه الى عبد الله بن المنذر
فرجع به الى الامير غانم ثانى يوم وأعطاه اياه (قال الراوى) ثم ان الامير خالدا
رضى الله عنه استدعى بالزبير بن العوام وابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما ودفع
لهما ثلثمائة فارس وأمرهم أن يسيروا الى أرض البهنسا واذا وصلوا قريبا من
مدينة البهنسا يعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج
المنير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم استدعى بالمقداد بن الاسود الكندى
وضرار بن الازور رضى الله تعالى عنهما ودفع لهما مائتى فارس وأمرهم أن يسيروا
على أثرهم ثم استدعى بعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبيد الله بن عمر رضى
الله تعالى عنهما ودفع لهما مائتى فارس وأمرهم أن يسيروا على أثرهم ثم
استدعى بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعقبة بن رافع رضى الله عنهما ودفع لهما مائتى فارس وأمرهم بالمسير على أثرهم
فسار الجميع رضى الله عنهم وبات الامير خالد رضى الله عنه تلك الليلة وسار بمن
بقى معه وهم عبادة بن الصامت وأبو رافع وسعيد بن هند وزيد بن أوس وأبو

محكم وأبو زيد وأبو عثمان الهندي وأنس بن مالك وأبو زهير وأبو بردة وكعب بن مالك وسلمة بن الاكوع ومنهل بن الاحقن وعبد الله بن عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يزيد بن حبيب السلمي وجابر ابن سمرة و بشر بن الخصاصة وأبو أمامة وطليق بن علي وعبد الله زيد بن عاصم الانصاري رضوان الله عليهم أجمعين (قال الراوي) وسار الزبير بن العوام ومن معه رضي الله تعالى عنهم حتى أشرفوا على مدينة البهنسا فعندها اعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فلما رآهم الروم طلعوا فوق الاسوار وصاروا ينظرون اليهم فما استقروا غير قليل حتى أشرف عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأقبل عليهم بمن معه رضي الله عنهم ولم يزل كل أمير ينزل بعد أمير حتى تكاملوا رضي الله تعالى عنهم وتاخر الامير خالد رضي الله عنه وبقية الامراء المتقدم ذكرهم رضي الله تعالى عنهم ولما بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحوا قال ضرار والزبير رضي الله عنهما للامير غانم رضي الله عنه أظن أنتم المجهودون وأعداؤكم في أكل وشرب ورغد فما هذه الفعال ثم زحفت السادات والامراء رضي الله تعالى عنهم على أبواب البهنسا وضرار رضي الله عنه ينشد هذه الابيات

ساضرب في العلوج بكل عضب * أبادالكفر جيلا بعد جيل
وأضرم في الجوانب كل نار * وأرم القوم بالخطب الجليل
وأقتل كل كلب كان باغ * بحد السيف والباع الطويل
وأترك داره منه خرابا * بحول الله مولانا الكفيل
فويل ثم ويل ثم ويل * لهم من سيفي العضب الصقيل

(قال الراوي) ولا زال ضرار رضي الله عنه يترنم بهذه الابيات حتى اشتد الحرب وتراموا بالنشاب والمقاليع واقتتلوا قتالا شديدا وأعداء الله يضربون المسلمين رضي الله عنهم بالنشاب والاحجار من فوق الاسوار فاشتدت الحمية والغضب بعدو الله البطلوس وكان لعنه الله فارسا شديدا و بطلا صنديدا وقد فتح باب الجبل وخرج

منه وهو كانه شعلة نار على جياد الخيل وجميع البطارقة وذوى الشدة والباس حوله والرماة بين يديه يرمون بالنشاب فاشتد القتال وعظم النزال فخرج جماعة من المسلمين ومعهم الامراء وأصحاب الرايات الى لقاء عدو الله ومن معه لعنهم الله واقبل علج عظيم من البطارقة يطلب البراز فبرز اليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه واقتتلا قتالا شديدا فضربه المغيرة فوقع السيف من يده فبادر الملعون الى المغيرة ليضربه واذا بفارس وبيده سيف فلوح به الى المغيرة فاذا هو الاسد الضارى سيدى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما فاخذ المغيرة من عبد الرحمن السيف وضرب به العلج فحاد عنها وكلما اراد المغيرة أن يسطو عليه يدافع نفسه فنظر ضرار رضى الله عنه الى ذلك فنزل عن جواده وسعى بين الصفوف حتى قرب من البطريق وضرب حزام جواده فقطعه فسقط عدو الله الى الارض وهو ماسك المغيرة قال فعندها تكاثرت الروم على ضرار والمغيرة وأرادوا قتلهما واذا بثلاثة فوارس قد أقبلوا يخرقون الصفوف أحدهم سيدى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والثانى عبد الله بن عمر والثالث المقداد بن الاسود الكندى رضى الله تعالى عنهم فازالوا الروم عن مواضعهم وضرب ضرار رضى الله عنه البطريق فقتله وسار عبد الرحمن رضى الله عنه بين الصفوف كانه الاسد الضارى وركب ضرار جواد المقتول هذا و[illegible] طلوس لعنه الله ينظر الى ذلك ويكر تارة ذات اليمين وتارة ذات الشمال ويطلب البراز [illegible] رز اليه المقداد رضى الله عنه فتعاركا وتجاولا وتطاولا فقال المقداد قاتلت الملوك و[illegible] فلا عا واقيت حروبا فى الجاهلية والاسلام فما رأيت أخدع من البطلوس ولا [illegible] ند انا امنه ولا أصعب مراسا فتقاتلنا حتى كل من تحتنا الجوادان فقال البطلوس ما ر[illegible] أيت أصبر من نفسك ولا من فرسك هذه كيف تقاتل عليها وهى على ثلاثة قوائمه [illegible] ن شفقة المقداد على جواده طاطا ينظر الى قوائمها فضربه عدو الله بالسيف ضربة فر[illegible] يه قطعت الخودة والرفادة وأخذت قليلا من رأسه فظن الملعون أن المقداد قتل فالوى [illegible] عنان جواده واستقط المقداد وتبعه وساق جواده عليه فاحاط به قومه فسلموه من [illegible] المقداد (قال الراوى) فبينما الناس كذلك وهم

في

فى أشد القتال واذا بالامير خالد بن الوليد رضى الله عنه قد أقبل فى أوائل الامراء والسادات وأصحاب النجدة رضى الله تعالى عنهم وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم فلما أقبلوا لم يمهلوا دون ان حملوا على القوم والامير خالد رضى الله عنه فى أولهم يقتل رجالا ويجندل أبطالا وكانت طائفة من داخل الباب وطائفة من خارج الحصن يعينون جماعتهم من الروم والبطلوس لعنه الله يقاتل الرجال ويصادم الابطال فلما رأت ذلك الامراء والسادات وأصحاب الرايات والمروآت رضى الله عنهم حملوا عليهم واقتتلوا اقتتالا شديدا قريب باب الجبل والباب قريب من التل الاحمر وعطف الامير خالد رضى الله عنه وطلب البطلوس اللعين فصار كلما رأى خالدا فى الميمنة يهرب منه الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة وبعد ذلك ولى الى القلب وأحاط به قومه فوضعت الامراء السيوف فيهم وتبعه الامير خالد رضى الله عنه فساق جواده الى الباب وخلفه بطارقته وكبار دولته ففتحوا لهم الباب فتبعهم المسلمون هناك واقتتلوا مقتلة عظيمة وقتل من الروم زيادة عن أربعة آلاف نفر ودخلوا وأغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار فاسر المسلمون من الروم نحو الفين ومائة علج فاتوا بهم الى الامير خالد رضى الله عنه فاعرض عليهم الاسلام وكان فيهم جماعة من كبار البطارقة فامتنعوا عن الاسلام فامر الامير خالد رضى الله عنه بضرب أعناقهم عن آخرهم جهة الباب المذكور والروم ينظرون اليهم وتفقد السادات من قتل منهم فاذاهم مائتان وثمانون فارسا لاعيان منهم مرزوع بن غانم وعبد الله بن مساعد ونائل بن ماجد وزيد بن سالم والبقية من أخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله البطلوس المخذول المنحوس فانه لما رجع مخذولا حل هما عظيما وحصل له ما لا ينبغى ذكره من النكد والاسف على من قتل من بطارقته وقومه فعند ذلك أمر بجمع من بقى من البطارقة فلما اجتمعوا عنده شكا لهم أمره وأمر من قتل من البطارقة والروم وما لاقاه من الحرب والقتال من السادات العرب وقال لهم ما الذى عندكم من

الرأى فقالوا كلنا بين يديك فان أمرتنا بالقتال قاتلناهم من فوق الاسوار فقال الملعون الغدار ساد برلكم أمراوه وتدبير من خالص الحرب والقتال ثم أمر باجتماع الناس من خاصهم وعامهم فاجتمعوا اليه حتى لم يبق منهم الامن على الابواب خوف المسلمين فلما تكاملوا عنده قال انى أريدان اهجم على القوم فى هذه الليلة وهم فى أماكنهم فان الليل مهاب وأنتم أخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى منكم أحد الا ويتاهب ويخرج من بابه وأخرج أنا ومن معى من باب تومى وأرجو وصولى الى قصدى ولا أموت بحسرتى ولعلى أنظر الى أميرهم وآخذه أسيرا قالوا جميعا حبا وكرامة ياملك ثم بعث فرقة الى باب الجبل وفرقة الى باب قندس وفرقة الى باب الشرق وانتدب فرقة تذهب معه من أبطال قومه ولم يترك من يعرف شجاعته الا انتدبه معه ثم قال لقومه قبل انصرافهم انى أقمت رجلا على الباب وأمرته ان يضرب لكم ناقوسا فاذا سمعتموه فهى علامة بينى وبينكم فافتحوا الباب واخرجوا مسرعين الى أعدائكم واهجموا عليهم ولا شك أنكم تجدونهم نياما فاغمدوا فيهم السيوف ومكنوا منهم الاسنة قبل ان يصلوا الى سلاحهم فاذا فعلتم ذلك فى هذه الليلة غلبتموهم ففرحوا بذلك واستبشروا فى وجه عدوالله وقصدت كل فرقة بابا من الابواب ووقفوا منتظرين للاشارة ليبادروا الى المسلمين فدعا برجل وقال له احمل ناقوسا واصعد به الى البرج فاذا فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة قوية يسمعها القوم الذين فى الابواب فمضى الرجل واخذ ناقوسا عظيما وصعد به الى البرج وانتدب البطليوس الغدار عشرين ألفا من أصحاب الشدة والقوة معه وعليهم الدروع المذهبة وغير ذلك وهو فى اوائلهم وبيده ساحقة هندية وقد لبس سواعده الفولاذ والقى على راسه بيضة مزمكة بالذهب مطلية بفضة مرصعة بالجواهر لا تعمل فيها السيوف القواطع وسار الى ان وصل الى الباب ثم وقف الى ان تكامل عسكره ثم نظر اليهم وهم حوله وقال لهم اسرعوا واجدوا فى سعيكم الى ان تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا حملة واحدة ثم اهجموا عليهم ومكنوا منهم السيوف القواطع والاسنة اللوامع الاان يكون امير القوم ومن أبصر منكم

الصليب

الصليب فلياخذه ومن اتانى به اكرمته ثم امر صاحب الناقوس ان يضرب به فضرب به ضربة قوية سمعوا من على الابواب فتبادروا الى الخروج وخرج عدو الله البطلوس لعنه الله فعند ذلك سمع المسلمون رضى الله عنهم الصوت فتبادروا من اماكنهم مسرعين الى اصحابهم وهم فى غفلة من النوم وليس لهم علم بما دبره لهم الملعون الغدار فتواثبوا كالاسود الضاريه فلم يصل اليهم عدوهم الا وهم على حذر فاقبلت الروم وكثرت الغموم وقاتلوا فى ظلام الليل وقد سمع الامير خالد رضى الله تعالى عنه الصياح فوثب قائما اذاهل العقل وصاح واعواناه واسلاماه وامحمداه اللهم انتنا اللهم رد عنا عدونا اللهم انظر الينا بعينك التى لا تنام وانصرنا على أعدائنا ولا تسلط علينا أشر خلقك برحمتك يا أرحم الراحمين وهو مكشوف الرأس بلا خودة ثم أسرع فى لبس سلاحه وهو يقول هذين البيتين

فاض دمعى واعترانى حزنى * ضاق صدرى وبرانى شجنى

سلم رب من نزول المحن * وانصر الاسلام ياذا المنن

(قال الراوى) ثم وصل خالد رضى الله عنه الى باب توما ومعه نحو خمسمائة فارس من أصحاب الشدة والنجدة والقوة مثل الفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن أبى لهب وزياد بن أبى سفيان وعبد العزيز بن جعفر بن أبى طالب والمقداد بن الأسود وزياد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم بن عقيل وأبى ذر الغفارى وعبادة ابن الصامت وعقبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب بن يحيى الفزارى ومثل هؤلاء السادات رضوان الله عليهم أجمعين وأصواتهم عالية بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحملوا من ساعتهم على الروم حملة منكرة ونادى الامير خالد رضى الله عنه أيها المسلمون اعلموا انكم منتصرون وعلى أعدائكم غالبون فاثبتوا وقووا عزمكم وهممكم والمعونة من الله عز وجل ثم قال الله أكبر الله أكبر على من طغى وبغى وتجبر أنا الفارس الشديد أنا الضرغام المبيد أنا خالد بن الوليد وغاص فى القلب والجناحين فقتل الرجال وجندل الابطال أورثهم خبالا وزادهم وبالا وهو مع ذلك شديد الطلب

للبطلوس والامير غانم وبقية الامراء رضى الله عنهم احتكموا الابواب وهم يسمعون صريخهم وضجيجهم وكانت الروم تقاتلهم من عالى الاسوار ويرمونهم بالحجارة والسهام تتساقط عليهم وقاتل عدو الله البطلوس قتالا شديدا ولقى الامير خالد رضى الله تعالى عنه منه مالا يرى مثله وكان أول من وصل اليه وهو يحرف يمينا وشمالا ويقول أنا الفارس العبوس أنا المسمى بالبطلوس الا أنه مع ذلك يكابر ويروغ من وجه الامير خالد رضى الله عنه فلما سمع مقالته الفضل بن العباس رضى الله عنه قصد جهته وقد خرق صفوف الروم وقال ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم أنا آخذ صليبكم أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف على عدو الله البطلوس عطفة الاسد على فريسته وقال له اياك والمخادعة يا غدار ثم انفرد له وصادمه فلم ير الناس فى طول الزمن أشد ضربا من الضرب الذى وقع بينهما فى تلك الليلة فلم يزالا كذلك حتى مضى من الليل نصفه وكل قرم مع قرمه وهما فى أعظم ضرب وأشد كرب وصبر له الفضل رضى الله تعالى عنه صبر الكرام فضربه عدو الله ضربة قوية فزاغ منها الفضل ثم عطف رضى الله تعالى عنه على اللعين فضربه ضربة هاشمية فتلقاها الملعون بدرعه فانقطع سيف الفضل وطمع عدو الله فيه وظن انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين أقبلا من ورائهما كتيبة من العرب فهجموا على الروم وكذلك خولة بنت الازور قد رأت أخاها ضرار رضى الله عنهما وهو واقع بين خيل المشركين وهم محتاطون به فعطفت على أخيها فلحقها عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن جعفر وأبان بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم وعطفوا على عدو الله البطلوس فكر راجعا فى كردوس من الروم حتى وصل الى المدينة ودخل وقاتل المسلمون رضى الله عنهم على الابواب قتالا شديدا والامير خالد رضى الله عنه تارة يكر الى باب الجبل وتارة الى باب توما وتارة عند باب قندس وكان الامير غانم رضى الله عنه عند باب الجبل فى تلك الوقعة فلبس سلاحه ودنا من القوم ومعه من الامراء مثل المقداد ومسلم بن عقيل وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزياد بن

أبى

أبي سفيان وعبد الله بن العباس ومحمد بن أبي ذر الغفاري ومحمد بن سلمة الانصاري رضوان الله عليهم أجمعين فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر الصحابة من خلفهم وكان البطريق الذي بالباب اسمه جرجس قال واقتتلوا قتالا شديدا وقاتل محمد بن أبي ذر الغفاري قتالا قويا فتكاثرت الروم عليه وعقروا جواده من تحته وقتلوه رحمة الله عليه وتكاثروا أيضا على عبادة بن الصامت فقاتلهم قتالا شديدا فرماه رام بحجر من أعلى الباب فقتله وقتل معه جماعة عند ذلك الباب نحو مائتين رحمة الله عليهم وقتل من الروم نحو ألفي فارس وقتل جماعة من عصبة الامير غانم رضي الله عنه نحو مائة فارس فكانت السهام والاحجار تتساقط عليهم فقتل من الروم مقتلة عظيمة فلله در الامير خالد رضي الله عنه لقد قاتل في تلك الليلة قتالا عجيبا ما رأى الناس منه مثله فبينما هم كذلك اذ أقبل ضرار ابن الازور رضي الله عنه وهو ملطخ بالدماء فقال له الامير خالد رضي الله عنه ما وراءك يا ضرار فقال خير ولطف من الله عز وجل وما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وستين من أعداء الله وقتل أصحابي ما لا يحصونه عددا وقد كفينا كم شر من خرج من باب الجبل بأجمعهم وكانت ليلة شديدة البرد لم ير الناس مثلها في عامهم وهجم الامير غانم رضي الله عنه وأصحابه الى داخل الباب وقاتلوا قتالا شديدا وأيضا دخلوا في ساباط كان للباب وكان هناك باب آخر فأغلق دونهم على كردوس عظيم من الروم فقتلوا ذلك الكردوس هناك وانطلق المسلمون رضي الله عنهم الى باب البحر فقتلوا من فيه وكانوا نحو خمسمائة من الروم وقتل في تلك الليلة منهم ألوف وأما باب قندس فكان عليه الزبير بن العوام وعقبة بن عامر وعبد الله بن العباس والفضل بن أبي لهب والمغيرة بن شعبة وجماعة من الامراء رضي الله عنهم فتواثبوا الى ذلك الباب وقاتلوا قتالا شديدا فقتل به من المسلمين نحو مائة وعشرين رحمة الله عليهم * وأما باب توما فكان عليه الامير خالد رضي الله عنه فخرج منه البطليوس واقتتلا قتالا شديدا ففر هاربا من بين يدي الامير خالد ودخل الباب وأغلق خلفه وقتل من المسلمين نحو المائة

بالمكان المعروف بالمراغة وأغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار واستعدوا للحصار هذا أول فتح مدينة البهنسا (حدثنا) شداد بن مفرج عن أبي محمد الشاكري عن زيد بن رافع أن أهل مدينة البهنسا مكثوا سنة لا يقاتلونا ولا نقاتلهم فطال عليهم المكث فاجتمعت الامراء من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأتوا الى الامير خالد رضي الله عنه واستشاروه في القتال فاذن لهم في ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين عند فتح الابواب نحو خمسمائة وأربعين رجلا الاعيان منهم مسلم بن نافع الكندي ومحمد بن أبي ذر الغفاري وحذيفة بن جندب السكسكي ونعيم بن مالك الفزاري وملهول بن محمد وجابر بن زيد الانصاري ونوفل الجرامي وعريم بن عزيز الثقفي وزايد بن هشام والباقون من أخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين ونقلت الصحابة رضي الله عنهم بعد الفتح الشهداء من أماكنهم رحمة الله عليهم ورضوانه الاعيان منهم في قبب معقودة وقبور مشهورة ولنرجع الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب الذي لم يسمع مثله (قال الراوي) ولما استشار المسلمون رضي الله تعالى عنهم الامير خالدا رضي الله عنه في القتال لم يقدر على منعهم واشتد البلاء والحصار من أهل مدينة البهنسا وكان البطليوس لعنه الله يدبر للعرب المكايد وأهل المدينة لا يطيقون صبرا فضاق عليهم الحصار واشتد بهم الحال فاجتمع كردوس منهم وأتوا الى بطريق من أصحاب الصولة يسمى يوحنا وكانوا يركنون اليه فاجتمعت القسيسون والرهبان والسوقة والعامة وقالوا له قد طال الحصار علينا فنجعل لك مالا وافتح لنا الباب لناخذ أمانا من العرب فأجابهم الى ذلك فاتى عنده نحو مائتين من الرجال التجار ففتح لهم باب السر خفية فخرجوا منه وأتوا الى الامير خالد رضي الله عنه وصالحوه على انهم يفتحون له الباب وسموا له تجار البلد وجعلوا له عليهم معلوما واتفق رأيهم على ذلك وكتبوا أسماءهم ورجعوا (قال الراوي) هذا ما جرى من أمرهم ولم يعلموا انه كان عندهم كاتب لعين جسوس من الروم فمضى ذلك الكاتب الى البطليوس وأعلمه بذلك الامر فارسل بطريقا يقال له خرقيا قيل ومعه ألف

الطريق وقال اذهبوا اليهم واتوني بالخبر الصحيح فمضوا وتفرقوا وهم مشاة حتى أتوا قريبا من باب الجبل واذا هم قد أقبلوا راجعين فلما رأوهم عرفوهم وفتحوا لهم الباب ودخلوا فعندها اتوا ثبوا عليهم وأمسكوهم وساقوهم بين يدى البطلوس لعنه الله فلما رآهم وبخهم توبيخا عظيما وكلمهم كلاما عنيفا وقال على بهم واحدا بعد واحد فضربهم ضربا شديدا وأمر بالنار فاضرمت وصار يعذبهم بها عذابا أليما ثم قال للبطريق خرقيا قيل امض بهم الى أعلى الاسوار واصلبهم هناك ولا تفتر عن ذلك فذهب بهم خرقيا قيل وأمر أعوانه ان يأتوا اليه بالاخشاب فصلبهم على أعلى الاسوار فأقاموا هناك يوما وليلة ثم أمره البطلوس بضرب أعناقهم ورمى رؤسهم على العرب فعندها فعل ما أمره به فقطع أعناقهم وحذف رؤسهم فقال الامير غانم ابن عياض للامير خالد رضى الله تعالى عنهم هذه الرؤس من أهل ذمتنا فعندها زحفت الصحابة رضى الله تعالى عنهم على الروم فخرجت لهم الروم واقتتلوا معهم قتالا شديدا (قال الراوى) ثم ان أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قلق على المسلمين قلقا شديدا فارسل كتابا الى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يقول له فيه ما سبب انقطاع كتبك عنى فانى فى قلق عظيم على المسلمين وعلى خالد ومن معه واعلم أنك تخبرنى عن الفتوح والغنائم وان احتاج خالد الى نجدة فارسل الى أرسل له نجدة من عند أبى عبيدة فقد كاتبته يرسل لك مددا وجنودا من الشام والسلام عليك وعلى من معك ورحمة الله وبركاته فلما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه الى خالد بن الوليد فقال خالد رضى الله تعالى عنه لا اطلب النجدة والمعونة الا من الله عز وجل سبحانه وتعالى ثم ان خالدا رضى الله تعالى عنه طال عليه حصار المدينة فكان كل يوم يزحف الى القتال هو والصحابة رضى الله عنهم ويقاتلون أهل البهنسا قتالا شديدا فقتل من المسلمين جماعة كثيرة بالحجارة والنشاب فعندها قال الامير خالد رضى الله تعالى عنه لغانم ابن عياض وللاصحاب رضى الله عنهم لا شك ان لاعدائنا علينا عيونا وجواسيس يعلمونهم باحوالنا ثم ان خالدا ركب ومن معه الفضل بن العباس والمقداد

وزيادبن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهم وطافوا حول العسكر واذا برجل من
العرب المتنصرة جالس على قطيفة خارج العسكر فأنكره خالد رضوان الله عليه
ثم قال له من أي العرب أنت وهل أهلك ها هنا قال نعم فقال له مسلم أنت قال نعم
فقال له اقرأ القرآن فسكت ولم يرد جوابا فقال له خذ الماء وتوضأ فلم يحسن فضربه
وقال خذوه واضربوه فاقر لهم اننا خرجنا ثلاثة من العرب المتنصرة من باب السر
لنأخذ أخباركم فمضى اثنان بالخبر وبقيت أنا ههنا فاعتقلوه عندهم وكان لخالد رضى
الله عنه عبد حبشي اسمه نجاح يصنع له كل يوم قرصين من الشعير للعبد واحدة
ولسيده واحدة وأقام الامير خالد رضى الله عنه ثلاثة أيام وفي كل يوم يأتي الى خيمته
والى السفرة التي فيها السماط فلم يجد شيأ يأكله فيسكت ولم يتكلم وكان عنده
بعض تمرات فصار يتقوت بهن حتى فرغن فعندها قال لعبده يا ولدي قال الله تعالى
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام فما لك ثلاثة أيام لم تصنع شيأ فقال يا سيدي
والله ما قطعت عنك ذلك بل كل يوم أعلقه بالخيمة على عادته فقال خالد رضى الله
ان هذا الشئ عجيب ثم قال للعبد اصنع الاقراص واجلس خلف الخيمة واخف
نفسك وانظر من يفعل ذلك فلما كان غد ركب الامير خالد للقتال وصنع العبد
ثلاثة أقراص واكل واحدة وأبقى لسيده اثنين فجاء كلب أسود عظيم من جهة
البهنسا ودخل الخيمة وأخذ القرصين بفمه ومضى فتبعه العبد حتى أتى سردابا
يجري فيه قليل من ماء البحر مصنوع قديما للوازم أهل البهنسا وهو مار تحت
الارض الى تحت سور المدينة الى الجهة القبلية وينتهي الى الجهة البحرية تحت
الارض لا يدري أحد أين يذهب من خارج المدينة فحينئذ عاينه العبد وحقق
ذلك السرداب وعاد الى الخيمة فلما جاء الامير خالد رضى الله عنه أعلمه العبد بذلك
فمضى معه سيده فعاين ذلك السرداب ففرح الامير خالد بذلك فرحا شديدا وقرأ
سورة الفتح واستبشر بالنصر ثم أتى الى السادات والامراء وأعلمهم بذلك وقال لهم
أريد منكم مائة رجل من أصحاب المروءة والنجدة يبيعون أنفسهم في سبيل الله عز
وجل ويمضون معي وجماعة شداد يكونون مقابل الباب فاذا فتحنا الباب دخلوا علينا

فانتدب

فانتدب مائة من كبار القوم مثل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر وزيد بن الحارث وعقبة بن عامر ومسلم بن عقيل وزياد بن أبي سفيان والمسيب بن يحيى الفزاري والمقداد بن الاسود ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم أجمعين وقد اختصرنا في أسمائهم خوف الاطالة ورتب خالد رضى الله عنه على الباب عبد الله ابن جعفر والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن أبي لهب وضرار بن الازور ومثل هؤلاء الامراء رضوان الله عليهم وصبروا الى غروب الشمس وأتوا الى ذلك السرداب ودخلوا فيه وخاضوا في الماء ومع كل واحد ترسه وسيفه وكان أولهم الاخير خالد رضى الله عنه حتى دخلوا جميعا وكل من دخل يدع سيفه وترسه مع صاحبه حتى يدخل فدخل ثمانون ورجع عشرون لم يسعهم السرداب فتقدم الامراء المذكورون الى نحو الباب فوجدوا من الحراس نحوا الفي فارس من الروم بين الابواب فلما دخلت الامراء المذكورون أخفوا أنفسهم تحت الجدار الى نصف الليل ثم ساروا فوجدوا بابا مغلوقا فعالجوا فيه وفي أقفاله وحراسه من الروم مشغولون بسكرهم ففتحوا ذلك الباب وذبحوا من كان في دهليزه وكانوا ستين رجلا وأخذوا منهم المفاتيح ثم علوا على الاسوار وفتحوا الابواب ونادوا الى أصحابهم فبادروا جميعا الى البرج وقتلوا بطارقته وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وأجابهم المسلمون بمثل ذلك ودخلوا من الباب الذى يدخل منه الى سوق المدينة وبادروا جميعا الى قصر اللعين البطلوس وهم ينادون اذا جاء نصر الله والفتح فلما أحس عدو الله بذلك وان المسلمين ملكوا الابواب وأحاطوا به وتحقق أنهم يظفرون به لا محالة وضع منديلا في عنقه وصاح الامان الامان فأجابه بطارقته وحجابه ونوابه وأرباب دولته وجماعته بمثل ذلك فاتى الامير خالد رضى الله عنه عنده والسيف في يده فقاده أسيرا وقال يا عدو الله لا أمان لك عندي الا أن تسلم بعد ان قتل من الروم نحو ثلاثة آلاف رجل وقتل من المسلمين في سكك المدينة مائة وأربعة وثمانون قريبا من السوق وعند القصر وبين الابواب الاعيان منهم زيد الانصاري وعبد الله بن الاسود وكامل بن

عوف وابن المسيب بن يحيى الفزاري وا•••عدي ومهلل بن نافع التميمي وسلام بن رافع العجلاني وطارف بن المهاب وعبد الله بن ضرار وغياث بن جابر وسمرة بن عامر وحماد بن عمرو والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم وجاء جماعة من أهل المدينة الى غانم بن عياض وجماعة من الامراء رضي الله عنهم فشكوا اليهم أمرهم وبكوا في وجوههم وصاحوا فرق لهم الامير غانم رضي الله عنه وأمنهم وعدو الله البطلوس بين يدي الامير خالد رضي الله عنه وهو يتملق له وللامراء رضوان الله عليهم فشفقوا عليه وغلبوا على الامير خالد رضي الله عنه فصالحهم عدو الله على ألف ألف مثقال من الذهب ومثل ذلك من الفضة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير والجزية من العام الى العام عن يدوهم صاغرون والامير خالد رضي الله عنه لا يطمئن قلبه الى شئ من ذلك وهو يقول لا أمان له عندي الأن يسلم ويشهد بان الله واحد أحد وأن محمدا عبده ورسوله والا السيف والامراء والسادات يرجونه رضي الله عنه ويقولون له ولو أنه أضرنا في الحصار وغدرنا في الحرب فما تراك الأشفق الناس ونرى من الرأى أن تكتب كتابا الى الامير عمرو بن العاص رضي الله عنه بمصر تعلمه بذلك وهو موثق عندنا وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لهم من طلب منكم الامان فامنوه فعندها كتب الامير خالد رضي الله عنه كتابا الى عمرو بن العاص رضي الله عنه يعلمه به عن ذلك فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص رضي الله عنه رد لهم الجواب وقال لهم استوثقوا منه بالامان وخذوا ما صالحكم عليه وأطلقوه لئلا تنفر منكم أهل الصعيد ففعل ذلك الامير خالد رضي الله عنه وقلبه نافر وأطلقه بعد ان أخذ عليه الامان في الكنيسة وحلفه على كتبهم وشرط أنهم يخرجون الى ظاهر البهنسا ويتركون عندهم من يقبض ذلك المبلغ فخرجوا الى ظاهر المدينة وترك المسلمون عنده فضالة بن يزيد السلمي وعوف بن سلامة الخدري ومقسوم بن سعيد الجهني ومائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج لهم الميرة والعلوفة وصار كل يوم يركب ويتردد الى الامراء رضوان الله عليهم ووهب وأعطى ولم يترك أميرا

الا

الا خادعه حتى طابت نفوسهم الا الامير خالد والفضل بن العباس وعبد الله ابن عمر والمقداد بن الاسود الكندي وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والزبير ابن العوام رضى الله عنهم لم تطمئن قلوبهم وانفسهم الى عدو الله لما يعلمونه فيه من الخيانة والغدر وأقاموا مدة شهر بن على ذلك فجمع الغلال وخزن جميع ما يحتاج اليه من الاكل والشرب وهو عازم على الغدر للمسلمين وكان الامير خالد رضى الله عنه خلى من داخل المدينة جماعة من السادات المتقدم ذكرهم عند القصر وبين الابواب خوفا من غدر عدو الله وباقى عسكر الموحدين خارج المدينة فى الخيام على عادتهم فصار عدو الله فى كل يوم يتملق لهم وبعد ذلك جلس فى الكنيسة نهارا واستدعى باكابر قومه ممن يثق بهم من البطارقة من اهل الصولة واصحاب النوبة واتفق رايهم على قتل المسلمين والغدر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر الى قليل من الليل فهجم عليهم والمسلمون رضى الله عنهم على حين غفلة ودخل فى نحو ألفى بطريق وأوثقهم كتافا وجعل فى أفواههم الاكر وفتحوا الابواب وهجموا على المسلمين الذين هم فى الخيام فى ظلام الليل ووضعوا فيهم السيوف وهم رقود فما أفاقوا الا والسيف يلمع فيهم ويقطع فى نحورهم وكانت وقعة عظيمة فسمع الامير خالد الصياح فقام رضى الله عنه من مضجعه وقال لزوجته اناذهبنا ثم ركب وركبت زوجته معه وقاتلت النساء قتالا شديدا وعدو الله البطلوس تارة يكر يمينا وتارة يكر شمالا والسيف يقطع فى رقاب الرجال وكانت ليلة شديدة ثم قال خالد رضى الله عنه ياقوم أما فات لكم ذلك فلم تسمعوا لخالد وانحاز يادين أبى سفيان وأخوه هبار وفضالة بن عبد شمس وعقبة وعبادة بن تميم الدارى وجندبة الكلابى الى تل هناك فاحاطت بهم طائفة من الروم والتل من الجهة الغربية قريبا من باب الجبل فقاتلوا قتالا شديدا فانحدر يادر رضى الله عنه من التل وتبعه أصحابه فاحدقت بهم الروم وداروا بهم كدوران السوار بالمعصم وقتلوا يادا وأخاه هبار وجميع أصحابهما رحمة الله عليهم أجمعين وقاتلت آيسة الانصارية

أم أبان وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ونعامة بنت المنذر ونظائرهن في تلك الليلة قتالا شديدا رضوان الله عليهن وقتل جماعة من المسلمين فاتى الامير خالد رضي الله عنه وحمل على الروم وهو بالسيف صائل وارى أعداء الله الخائنين الامر الهائل وجعل يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة واطبق عليهم هو وجميع الامراء فهزمهم الى الابواب فقتل منهم خلق كثيرون وهرب عدو الله ودخل المدينة هو وقومه وأغلق الابواب وتحصنوا ولما أصبح أمر باحضار المستوثقين عنده من المسلمين الذين كانوا داخل المدينة وصعد بهم الى أعلى البرج وضرب أعناقهم رحمة الله عليهم فشق ذلك على المسلمين رضي الله عنهم وصعب عليهم فعل عدو الله باخوانهم وبكوا بكاء شديدا على فقد أصحابهم رحمهم الله (قال الراوي) وأما الامير خالد وبقية الامراء رضي الله عنهم فانهم أتوا الى مكان المعركة وهو جهة التل المتقدم ذكره فوجدوا الشهداء ووجدوا زيادا رحمه الله وفيه عشرون طعنة وأربعون بالسيف والى جانبه أخوه هبار رحمه الله وفيه عشر ضربات بالسيف واحدة في رأسه وواحدة في فخذه قطعته فبكى الامير خالد رضي الله عنه عليهما بكاء شديدا وبكت الامراء وأبطال المسلمين وجعل الامير خالد رضي الله عنه يرثيهما بقوله شعرا

دموع عيني كالسحائب تهمع * وقلبي من فقد الاحبة يجزع
وأظلمت الدنيا على نور مقلتي * وكاد فؤادي بالنوى يتقطع
لفقد زياد أحرق الوجد أضلعي * وصرت عليه لا دائما أتوجع
فقد كان عند الحرب أعظم صائل * يزلزل أركان العدا ويضعضع
وقد كان مقدام الفوارس كلها * اليه تذل الكافرون وتخضع
لحا الله يوما شق بالبين قلبنا * وجرعنا كأسا به العين تدمع
أيا سيدا من آل هاشم لم يزل * له رتبة بالمجد تعلو وترفع
يعز علينا أن نراك مجندلا * وهامتك الغرا على الارض توضع

بجانبك الهبار أضحى مهبرا * بأسياف كفار وفي الارض مصرع
الا لعن الرحمن بطلوس قومه * ولا نال منا ماله فيه مطمع
فقد غدر القوم الكرام الذين هم * نجوم وأقمار على الناس تطلع

وأقامت الصحابة رضي الله عنهم على حصار البهنسا في هذه المرة ثلاث سنين الا انهم كانوا يشنون الغارات على السواد والسواحل وكان قد مضى القعقاع بن عمرو التميمي وهاشم بن المرقال وأبو أيوب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب والمقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنهم الى الواحات ففتحوها في أقل من شهر ومضى عقبة بن نافع الفهري رضي الله تعالى عنه بالف فارس وغاروا على البرقة ثم عادوا وهو أحد الامراء في فتح المغرب بعد ذلك (قال الراوي) ولما طال المكث والحصار على مدينة البهنسا اجتمعت المسلمون رضي الله عنهم عند الامير خالد رضي الله عنه وشاوروه فيما يفعلون وماذا يكون من الرأي الصواب ليفعلوه فعند ذلك وثب عبد الرزاق الانصاري وعباد بن مازن الرازي وكعب ابن مالك السلمي وأبو مسعود البدري وأبان بن سعيد البارقي رضوان الله عليهم وقالوا ياقومنا قد وهبنا أنفسنا لله عز وجل فاصنعوا منجنيقا واملؤا غرائر من قطن ويأخذ كل واحد منا سيفه وجحفته وندخل في الغرائر فاذا جاء الليل ونام الحراس ألقونا في المنجنيق واحدا بعد واحد على أعلى الابراج فعسى ان يكون للمسلمين بذلك فرج والمعونة من الله عز وجل في فتح الباب كما فتحتم باب القصر ودار النحاس وكما صنعتم في خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها استصوبوا رأيهم فلما أصبحوا قطعوا الاخشاب وصنعوا منجنيقا وجعلوا له حبالا واستدعوا بالغرائر فملؤها قطنا وصبروا الى الليل وأدخلوا هؤلاء السادات في الغرائر بعد أن جربوا المنجنيق بحجر فسقط على أعلى الجدار ثم داروا على كفة المنجنيق فكان أول من وضع في الكفة أبان بن سعيد بن العاص ابن أخي الامير عمرو بن العاص رضي الله عنه ورفع فسقط على أعلى البرج ثم بعده أبو مسعود البدري وعبد الرزاق الى آخرهم رضي الله تعالى عنهم ثم رتب الامير خالد أصحابه على الباب فلما

صاروا على أعلى البرج نزلوا اليه فاذا هو مغلوق والحراس نيام فنزلوا الى الدهليز كالسباع الضارية فوجدوا المفاتيح تحت رأس كبيرهم فى جانب سريره فأخذوها وفتحوا الابواب وأتوا الى الباب الثانى الذى ينتهى الى القصر فاذا هو مغلوق من داخل المدينة فاستعانوا ببعضهم على قلع حجر بعد حجر فقلعوا الاحجار بعونة الله تعالى وقلعوا الاعتاب وفعلوا ذلك كله فى وقت يسير من الليل وفتحوا الباب وصعدوا الى البرج فعالجوا الباب ففتحوه وقتلوا جماعة واستيقظ منهم جماعة فثاروا اليهم وخافوا على الباب أن يؤخذوا أن يحولوا بينهم وبينه وهو باب السور الذى بظاهر المدينة ففتحوه وصاحت الروم فاستيقظ البطلوس لعنه الله وكان على حذر فركب جواده فعندها تبادرت أبطال المسلمين رضى الله عنهم وخرجت البطارقة وخرج عدو الله من قصره وتسابقت الروم على الباب فكان أول الناس دخولا عبد الرزاق رضى الله تعالى عنه فقتل من داخل الباب المعروف بباب قندس رحمة الله عليه وسبق عبادة ابن مازن فقتل وقتل كعب بن نائل السلمى بداخل الباب لما فتح (قال الراوى) حدثنا قيس بن مازن الحميرى عن عبادة بن سالم السكسكى عن ابن مسعود البدرى وكان أول من فتح الباب كما بين فى هذه القصة أخبرنا مسلم بن جابر عن ابن عبد الله عن أبى محمد الانصارى عن عبد الله البدرى قال كان أبو عبد الله الحسن قد قرأ هذا الفتوح بالجامع المعمور بمدينة الاسكندرية على الشيخ ابى عبد الله المغربى حتى بلغ الى هذا وذكر الفتح وان الرجال وضعت فى الغرائر قال الشيخ يا ولدى ليس الامر كذلك ولكن روى عن ابن مسعود البدرى وهو الصحيح لانه أحد من فتح الباب قال ثم انهم قطعوا اخشابا ووضعوا سلما عاليا علو جدار السور وصبروا الى الليل وأسندوه للجدار وتعلق منهم فى الجدار أربعون رجلا منهم الثلاثون المذكورون فى قصيدة خالد والعشرة فتحوا الابواب الصعاب فاستغاثت الروم ببعضهم بعد فتح الابواب ورفعوا اصواتهم فكان اول من فتح الباب وسبق الناس عبد الرزاق فتكاثرت الروم عليه هو ومن معه من العشرة فقتلوه رحمة الله عليه وتسابقت

المسلمون

المسلمون الى الباب (قال الراوى) فكان اول الناس دخولا الى البهنسا ضرار ابن الازور رضى الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

الجن منى يوم الحرب فى فزع * اذا اتيت الى الهيجا بلا جزع
ياويح من وضع الارصاد يخدعنا * ونحن جرثومة الاهوال والخدع
لارضين الهى فى جهادهم * ليس الجسور على الهيجا بمنفزع
ياويح كلب العدا البطلوس ان حكمت * به يداى بسيف غير مرتدع

ثم دخل الباب وخلفه الامير خالد رضى الله عنه وارضاه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اليوم يوم الوفا بالطعن والاسل * والضرب بالعضب فى هامات ذى الجدل
وقطع اعناق اعداء الاله اذا * وافى الظلام بجنح منه مسدل
ياويل بطلوس اهل البهنساء اذا * لاقيته واطى الهيجا فى شمل
ان لم ابده وابطالا تساعده * فلا بلغت على ايدى العلا املى

ثم انشد ايضا رضوان الله عليه

انا الذى يعز عندى من صدق * ولا اهاب الموت ان فينا طرق
وحق خلاق النهار والغسق * وخالق البدر المنير والشفق
لاروين الرمح من دم الحدق * واهتكن البيض هتكا والدرق
واشفين القلب من نار الحرق * لعلى أن آخذ ثار من سبق

(قال) ثم دخل من بعده الزبير بن العوام والراية فى يده ومعه ولده عبد الله رضى الله تعالى عنهما والزبير ينشد هذه الابيات

أيا بطلوس ياكلبا لعينا * ويا نسل الطغاة الارذلينا
أتتك حماة دين الله حقا * وأولاد الكرام الاشرفينا
خيار الناس نسل بنى نزار * كرام فى الاعادى قاطعينا
اذا اشتدت لظى الهيجا تراهم * عليكم كالسباع الضاريينا
فلم تر فيهم أبدا جبانا * ولم تر فيهم أبدا حزينا

ولست ترى سوى مقدام قوم * نهار الحرب صنديدا امتينا

(قال) ثم دخل من بعده سيدى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

أتينا الهنساء بكل قرم * شديد الحرب في يوم البراز
وجيشا علا الآفاق رعبا * على الاعداء طول الدهر غازى
يجندل في العداة بكل عضب * ويهلك من له منكم مغازى

(قال) ثم دخل من بعده عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اليوم طاب الطعن في اللئام * والضرب في الاعناق بالحسام
سانصر الاسلام باهتمام * ولم أزل عن سادتي أحامى
أنا الشجاع صائب المرامى * ومورد الاعداء للحمام

(قال) ثم تقدم من بعده الفضل بن العباس رضى الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

ألا اننا السادات من آل هاشم * ليوث كرام طيبون العزائم
لنا تشهد الابطال في كل معرك * وتذكرنا أهل الوغى في المواسم
اذا اشتدت الهيجاء واشتبك القنا * ترى فعلنا فعل السيوف القواصم

(قال) ثم دخل من بعده الفضل بن أبي لهب رضى الله تعالى عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

لنحوك يا بطلوس عزمى قد طلب * بسيف لدى الهيجا كغاسق اذ وقب
يطير شرار النار من لمعانه * بايدى همام الحرب ابن أبي لهب
فويلك يا بطلوس منه اذا سطا * بحدته عند الحروب وان وثب

(قال) ثم دخل من بعده غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

قسما بمن خلق السماء ومن رفع * وفيها نجوما كالمصابيح قد وضع

لاقتلك

لاقتل أعداء الاله بصارم * فلا ينتهي عنهم اذا هو قد قطع

فويلك يا بطلوس من سطواتنا * ستهزم من للعرب منكم قد اجتمع

قال ثم دخل من بعده المقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

أنا الكندي المعروف بالشجاع * دواما في العدا كم صال باعي

وتشهد لي الرجال بكل حرب * وللهيجا تشوقني طباعي

ولا أخشى لظى حرب فاني * أصول على الاعادي كالسباع

(قال) ثم دخل من بعده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

نحن الليوث أولو المعروف والكرم * الصائلون على الكفار بالهمم

مجندلون العدا في كل معترك * وقاهروهم في كل مصطدم

لا يعجبنك يا بطلوس جيشك في * هذا المقام فهم في الحرب كالعدم

(قال) ثم دخل من بعده أبان بن عثمان رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اني ابن عثمان الشجاع الهمام * مردي أعادينا بحد الحسام

ويل الى البطلوس من حربنا * في حومة الهيجا ويوم الزحام

ان قدر المولى فلا بد ان * نسقيه يوم الحرب كاس الحمام

(قال) ثم دخل من بعده مسلم بن عقيل رضي الله تعالى عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

ضناني الهم مع حزني الطويل * لفقد صاحبي مجد أثيل

فوا ثارا لجعفر مع علي * ليوث الحرب آل بني عقيل

سأقتل بالمهند كل قرم * عسى بالثار أن يشفى غليلي

(قال) ثم دخل من بعده ذو الكلاع الحميري رضي الله تعالى عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

انى مجير حقا ينتمى نسبى * وهم خيار الورى فى الجود والحسب
وهم أسود لدى الهيجاء صائلة * كم أهلكوا فى لظاها من ذوى الرتب
الحرب عادتنا والضرب همتنا * وقدرنا ذو علا من أعظم الرتب
تبت يد الروم ما حازوه فهو لنا * من بعد اهلاكهم والرمى بالشهب

(قال الراوى) ثم دخل من بعده شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل من بعده القعقاع بن عمرو والتميمى بن مالك الاشتر ثم عبادة بن الصامت ثم أبوذر الغفارى ثم أبو هريرة الدوسى ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد بن قيس ثم هبيرة بن عقبة ثم العباس بن مرداس السلمى ثم أبو دجانة الانصارى ثم جابر بن عبد الله ثم البراء بن عازب ثم النعمان بن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم ثم أبو يزيد العقيلى ثم أبو لبابة بن المنذر ثم تتابعت الامراء والسادات رضى الله تعالى عنهم يتلو بعضهم بعضا بهمة قوية وعزم صادق فالتقوا مع الروم لعنهم الله واقتتلوا قتالا شديدا وتواثبت جماعة من الامراء مثل الزبير بن العوام وابنه عبد الله وعبد الرحمن ابن أبى هريرة رضى الله عنهم الى باب الجحر واقتتلوا قتالا شديدا وتقدم عبد الله ابن الزبير الى الباب والروم على أعلى الاسوار فنزل عن جواده وصلى ركعتين والحجارة تتساقط عليه وهو لا يلتفت الى شئ من ذلك ومعه الفضل بن العباس وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم فقتلوا حراس ذلك الباب وحفروا حوله وفتحوه وصعدوا على أعلى البرج وهدموا الشراريف ووضعوا السيف فى الحراس وفتحوا بابه ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن أبى لهب وأبوذر الغفارى وأبو أيوب الانصارى والقعقاع بن عمرو التميمى والامير غانم بن عياض رضى الله تعالى عنهم الى باب الجبل ففتحوه وتبادرت الشجعان وتنادت الفرسان وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم وقاتلوا قتالا شديدا فقتلوا جماعة كثيرة من رجال عدو الله البطلوس وتركوهم جثثا بلا روس واقتتلوا فى الازقة والاسواق والشوارع

والشوارع وبين الابواب ثم تقدم الامير خالد رضي الله تعالى عنه الى عدو الله
البطلوس وهو يصيح واثار سليمان واثار الاخوان واثار العرب وطعنه طعنة
صادقة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار
وبئس القرار (قال الراوى) فلما رأت الروم ذلك فروا نحو الابواب فتبعهم
المسلمون قتلا ونهبا وسلبا وأسرا فقتل منهم ثلاثون ألفا فى وسط المدينة وبين
الازقة كما ذكره الامير خالد رضوان الله عليه فى قصيدته التى ذكرها وأسروا
منهم عشرين ألفا وصاروا يصعدون الى البيوت ويأخذون العلج من جانب
حريمه ويقتلونه أشر قتلة حتى كانت سواعدهم من الذبح وصار الدم كالنهر فى وسط
الازقة والقتلى مطروحة فى الشوارع والاسواق والبيوت وخرجت لهم نصارى
البلد والقبط وهم يبكون ويقولون نحن أهل ذمتكم ونحن تجار وسوقة وكنا
مغلوبين على أمرنا وقتل خيارنا بسببكم فارحمونا يرحمكم الله فاراد الامير خالد رضي
الله عنه أن يفعل بهم كما فعل بأصحابهم من القتل فمنعه الامير غانم وبقية
الامراء رضي الله تعالى عنهم وقالوا هؤلاء السوقة جماعة الذين صالحون فى العام
الماضى وقتل أهاليهم البطلوس من أجل صلحهم معنا وهذا الامر كذلك فعفا
عنهم الامير خالد رضوان الله عليه وقال لهم بشرط أن تدلونا على من اختفى
من الروم الملاعين فصاروا يدلونهم على من اختفى فى المطامير والآبار ومن فر
من الابواب تبعوه ومن فر من الباب الشرقى قتلوه أو غرق فى الماء ومن فر من
الباب البحرى أو الغربى قتلوه وتركوهم فى بطون الاودية مطروحين ولم يزالوا
يقتلون فى اليوم الاول حتى غابت الشمس وأظلم الليل فتركوهم وفى اليوم
الثانى استدعوا بثيران البقر ووضعوا عليهم الاكراب وجمعوا القتلى من الروم كل
عشرة أو عشرين يوضعون فى الدوالب ويربطون أرجلهم بالحبال ويجرونهم
على الابقار بعد أن أخذوا أسلابهم ونزعوا ما عليهم من الملبوس والسلاح ثم
أخرجوهم الى ظاهر المدينة وحفروا لهم حفائر عظيمة ودفنوهم فى تلك الحفائر
وجعلوا عليهم أتلالا من الرمل وأشهر واقبور الشهداء وبنوا لهم القبب والقبور

والمزارات ورجعوا الى قتلى البلد فوار وهم فى قبورهم وقتل فى ذلك اليوم من
المسلمين زيادة عن أربعمائة ختم الله لهم بالشهادة ومن عليهم بالسعادة الاعيان
منهم ظاعن بن فرقد وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن حرملة وعبد الله بن النعمان
وعبد الرزاق الانصارى وعبد الرحمن بن حذيفة اليمانى وأبو سلمة الاسدى وأبو
العلاء الحضرمى وأبو كلثوم الخزاعى وأبو مسعود الثقفى وأبو زياد اليربوعى وأبو
سنان الدارى وأبو دجانة الانصارى وهاشم بن نوفل القرشى وعمار بن عبد الدار
الزهرى ومالك بن عبد الله الحارثى وأبو سراقة اللخمى والبقية من أخلاط الناس
وأيضا قتل عند سوق التجار عشرون ودفنوا هناك وعند سوق الصوف جماعة
كثيرة قريبا من العطارين زيادة عن أربعين وعلى شاطئ البحر اليوسفى عند السور
جماعة كثيرون رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين (قال الراوى) فلما
وارى المسلمون شهداءهم جميعا صعدوا الى قصور البطارقة والى دورهم
ومقاصيرهم فوجدوا فيها من آنية الذهب والفضة والحلى والحلل واللآلئ
والجواهر واليواقيت والفرش والنمارق والوسائد والمساند مالا يوصف واقتتل
الروم والمسلمون على بغل محمل عند الباب الشرقى فغلبهم عليه المسلمون وأخذوه
واذا عليه صندوقان مملوآن فصوصا ومعادن وجواهر فاشتراه رجل من المسلمين
يسمى طاهرا بعشرة آلاف دينار فباع منه بكذا كذا ألف دينار كل درهم بعشرة
عشرة دراهم وكانت آثار ذلك عندهم بمدينة البهنسا مدة طويلة وأخذوا بساط
البطلوس فتعجبوا من حسنه وأرسلوه مع جمل الى المدينة المنورة فحصل للامام على
كرم الله وجهه قطعة باعها بشر بن ألف دينار وباعت المسلمون أوانى الذهب
والفضة وغير ذلك (حدثنا) عون بن أبى عبيد عن عبد الرحمن بن عمران قال كنا فى
حصار البهنسا فرأينا نارا بين الابواب وفى بعض جوانب قصر البطلوس فاتينا بقرب
الماء وأطفئنا تلك النار وطلعت المسلمون للقصر وفتحوا خزائن البطلوس
وأخرجوا جميع ما فيها من ذهب وفضة ومعادن وجواهر وغير ذلك ولم يتركوا
شيأ وقسم خالد رضى الله تعالى عنه الغنيمة بين المسلمين رضى الله تعالى عنهم فكان

للفارس

للفارس عشرة آلاف مثقال من الذهب وألف أوقية من الفضة ومن الاسلحة
والملبوس والاثواب وغيرها مالا يوصف (قال الراوى) لما دخل المسلمون
الكنيسة ورأوا ما فيها من التماثيل والقناديل من الذهب والفضة والستور من
الحرير والديباج والاعمدة العظيمة من الرخام والكراسى والتحف تعجبوا من
ذلك فقرأ خالد رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم رفع صوته وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه وصدقنا رسالته ثم قرأ قوله تعالى
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقرأ أيضا قوله عز وجل كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها
قوما آخرين فصاحت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على
البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم قال وخربوا تلك الكنيسة وجعلوها مسجدا
قائما على أعمدة من الرخام مسقوفا بتلك الاخشاب والحجارة وجعلوا فى تلك المدينة
مساجد ورباطات (حدثنا) عبد الحميد عن قيس بن مهران عن أبى جعدة قال كان
بمدينة البهنسا أربعون رباطا ومن المساجد ما لا يعد وأخربت الصحابة رضوان
عليهم تلك المعالم والرسوم وبنوا خلافها دورا لانفسهم وشرعوا فى العمارات فأقام
الامير خالد رضى الله تعالى عنه هو ومن معه يصلحون المساجد والزوايا
والرباطات ويخربون معالم الروم مدة شهر أو شهرين ثم بعد ذلك جمع ما بقى من
الاموال والغنائم وكتب كتابا وأرسل الخمس الى عمرو بن العاص أمير مصر رضى
الله عنه وان معه بمصر سهمهم من الغنيمة مع أبو نعيم الانصارى والفضل بن أبى
فضالة رضى الله عنهما وأرسل له أيضا الخمس لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ولمن عنده من الصحابة رضوان الله
عليهم أجمعين فلما وصل الخمس والكتاب الى عمرو بن العاص رضى الله عنه فرح
بذلك فرحا شديدا ثم كتب كتابا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمدينة
رسول الله على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يبشره بالفتح والغنائم وأرسل له

الغنيمة مع أبي نعيم و رفيقه فسارا الى المدينة المنورة ودخلا على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فوجدا عنده جماعة وقد أخرج لهم قصعا من ثريد قال أبو نعيم والفضل رضي الله عنهما فلما فرغنا ولناه الكتاب فعند ما قرأه فرح فرحا شديدا ونادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا فرقي المنبر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واستدعى بأصحابه رضي الله عنهم وقسم عليهم الغنيمة ولم يترك لأهله درهما ولا دينارا ولا شيأ مطلقا رضي الله عنه وأرضاه قال أبو نعيم ثم انه أخذ بيدي فمضينا الى بيته واذا فرشه من أديم حشوه ليف ووسائد من صوف وقال لام كلثوم بنت الامام علي كرم الله وجهه هل عندكم شيء من خبز الشعير قالت لا الا لبنا حامضا فقال احضريه فان عندنا ضيفين قد فعته مع خادمه فاكل وأقسم علينا فاكلنا وشرعت أحدثه عن البطلوس وقومه وهو وتارة يبكي وتارة يضحك من أفعالهم و بكى على من قتل من الامراء والمسلمين رحمة الله عليهم أجمعين وخرجنا بعد ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الناس يبكون على أهاليهم فاخبرناهم عن مات منهم فضجت الناس بالبكاء وضجت أهل المدينة وصاحت الصحابة رضوان الله عليهم على من مات من اخوانهم رحمة الله عليهم وأقبل الناس على الامام علي كرم الله وجهه وعقيل وبني هاشم رضي الله عنهم وعزوهم فيمن قتل من أقاربهم رحمة الله عليهم وأقمنا بالمدينة المنورة سبعة أيام ورجعنا الى مصر بكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الامير عمرو بن العاص والامير خالد رضي الله عنهما وأمر خالدا بالتوجه الى الصعيد (قال الراوي) وأما الامير خالد رضي الله عنه فانه بعد شهر أو شهرين ترك ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع القبائل بمدينة البهنسا وخرج بألفي فارس من الصحابة رضي الله عنهم الى أرض الصعيد راكبين خيولهم بعددهم ودروعهم وسلاحهم من جميع القبائل من بني هاشم و بني عبد المطلب و بني عبد الدار و بني زهير و بني نزار و بني جهينة و بني أوس و بني خزرج و بني مذحج و بني فهر و بني طي و بني خزاعة وغيرهم وولى على

من

من بالبهنسا مسلم بن عقيل رضي الله عنهما فسكن في الدور والقصور وجعل في وسط تلك المدينة أسواقا وشوارع وسكن أكثر الصحابة رضي الله تعالى عنهم في جانب البحر اليوسفي وجعلوا من البحر الى الجانب الغربي شوارع لاجل أن تسرح دوابهم في البحر قال وأقام مسلم بن عقيل متوليا عليهم الى خلافة أمير المؤمنين سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه ثم تولى محمد بن جعفر بن أبي طالب بعده ثم مضى مسلم رضي الله عنه وترك أولاده وأولاد اخوته بها رضي الله عنهم ولم يزل بالمدينة حتى قتل في خلافة الحسن بن الامام علي رضي الله عنهما وأقام محمد بن جعفر رضي الله عنهما الى خلافة الامام علي كرم الله وجهه ثم تولى عليها علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم الى خلافة معاوية فكان عليها عبد العزيز بن مروان الاموي ثم تولى من بعده طاهر بن عبد الله فكانت قريش والاشراف بالجهة الشرقية يقال لها حارة الاشراف وان لكل قبيلة حارة (قال الراوي) لما فتحت مدينة البهنسا كانت هذه الوقعة والناس من أهلها أربعين ألفا (حدثنا) حامد بن زيد عن نوفل المازدي أنه كان بمدينة البهنسا حين فتحت أربعمائة بقال يبيعون الخضراوات وغيرها وكانت مدينة عظيمة آهلة (قال الراوي) فلما وقع بين بني أمية وبني العباس الخلف رحل أكثر الناس منها وكان قد وقع بين بني هاشم وبني أمية وقعة فاخرجوا منها جماعة ووقع الخلل في أهلها فخرج أكثرهم ونزل جماعة من العرب وجاء الحسن بن صالح واخوته في خلافة بني العباس فعمر المسجد المعروف بابن صالح وأكثر الزوايا والرباطات وأقاموا بها حتى مات رحمة الله عليه (ونرجع) الى سياق الحديث في خروج الامير خالد رضي الله عنه ومن معه الى الصعيد فانه لم يزل يفتح مدينة بعد مدينة حتى انتهى الى آخر الصعيد ثم الى عدن وسواكن فلما تم له الفتح في ذلك والنصر والتأييد أنشد هذه القصيدة يذكر فيها فتح البهنسا وما بعدها ومدح الصحابة وغير ذلك فقال

أتينا بلاد الكفر للحق نفتح * فتم لنا فيها الفتوح المفرح

لوجه صعيد مذ أتينا بجمعنا * فتحنا بلادا عدها متربح

وبالبهنسا الغرا أقامت جيوشنا * ثلاث سنين بابها ليس يفتح
وكان ثمان من ألوف رجالنا * وكل همام عن ثمانين يرجح
فما فتحت الا وقد صار جمعنا * ثلاثة آلاف وبعض مجرح
ولا مر بي يوم كيوم حروبها * وكان بها البطلوس ليث مجحجح
ولم أر في أرض الصعيد كمثلها * وبطلوسها لما علا السور يرمح
وكان له جيش وعدة جمعه * ثمانون ألفا بالسلاح توشحوا
وكنا هزمناهم مرارا كثيرة * ويخدعنا البطلوس فيها فنصفح
وكم لعب الهندي يوم فتوحها * وكانت رجال فيهم وهي تذبح
الى أن ملأنا البر والبحر منهم * وقد شبعت منهم طيور جوارح
ثلاثون ألفا قد تولت الى الفلا * وعشرون ألفا منهم قد تجرحوا
فمنهم بصدر يلتقي الطعن في الوغى * ومنهم بحد للصفاح يصافح
وبطلوسهم ذاك اللعين قتلته * وقد كان في بحر الجراحة يسبح
وعاجلته بالرمح منى بطعنة * فأرديته حالا وهو كالخيل يجمح
فعاد برمح ابن الوليد مجندلا * على ساحة الغبراء وللدم ينضح
تركناه في بحر الدماء على الثرى * قتيلا عليه النائحات تنوح
وصارت جيوش الكفر من بعد قتله * ترى غنما قد غاب عنها المسرح
وكان لدى الهيجا شجاعا مصادما * على أشهب في حومة الحرب يرمح
وقد فرحت أكبادنا يوم قتله * لعمرك والاكباد بالنصر تفرح
أقمنا بأرض البهنسا يوم فتحها * ثلاثين يوما للمساجد نصلح
جعلنا بها ألفا تكون لحفظها * وتأمر بالمعروف فيها وتنصح
وسرت الى أرض الصعيد مبادرا * بألفين في الهيجاء تمسي وتصبح
من البهنسا لاسوان جمعا فتحته * بعشر شهور وأهلها قد تزحزحوا
وعدنا الثلاثين الالى شاع ذكرنا * وكل فتى منا على الالف يرجح
ورحنا فتحنا الهند والسند كلها * وأسيافنا لله دوما تسبح

وفى

وفى كل أرض قد ترى كافوارسا * الى ملة الرحمن للناس توضح
وهذا كلام ابن الوليد بماجرى * فكن سامعا منى الذى لك أشرح
فما مثله فى حومة الحرب فارس * ولا مثله فى جوهر النظم مفصح
ومن بعد ذا صلوا على أشرف الورى * محمد أبهى الخلق وجها وأسمح
نبى أتانا بالكتاب وبالهدى * وتابعه فى الدين بالخير يربح
عليه صلاة الله ثم سلامه * مدى الدهر ما دامت طيور تسبح
وآل وصحب منذ ساروا الى الوغى * جميع بلاد الله بالحق أصلحوا

(واعلم) يا أخى وفقك الله لما يحبه ويرضاه انه ليس مقصودنا فى هذا الكتاب الا فتوح البهنسا خاصة لانه المراد وفضائل السادات والشهداء والاخيار والامراء الامجاد رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم فى الدين والدنيا والآخرة وحشرنا معهم وتحت لوائهم فقد نقل أنه حضر فتوح البهنسا نحو سبعين بدريا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى تربتها نحو خمسة آلاف صحابى رحمة الله عليهم ورضوانه ورحمنا بهم بمنه وكرمه وزيارتها تعظم الاجور وقد زارها جماعة من العراق مثل بشر الحافى وسرى السقطى ومالك بن دينار ومثل هؤلاء السادات قدس الله أسرارهم وزارها من أقصى المغرب مثل سيدى أبى مدين بن شعيب وأبى الحجاج الاقصرى وأبى عبد الله وأيضا زارها الفضيل بن عياض وغير هؤلاء الافاضل خلق كثير وذلك كله لاجل من دفن بتربتها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن اقليم البهنسا أكثر بركة من جميع أرض مصر كلها وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بعد مكة والمدينة والارض المقدسة أرض مباركة الا أرض مصر وأكثر البركة فى الجانب الغربى وأعلها البهنسا وكان على بن الحسن رضى الله تعالى عنهما يقول انه ليس بأرض مصر بالوجه القبلى أرض مباركة ولا أكثر بركة من أرض البهنسا وكان أبو على النووى اذا أتى الى جبانة البهنسا ينزع أثوابه ويتمرغ فى الرمل ويقول يالك من بقعة طال ما ثار غبارها فى سبيل الله وكان أبو على

الدقاق قدس الله سره اذا مر بجبانة البهنسا يقول يا لك من بقعة ضمت أعضاء رجال وأى رجال وأبطال طالما عرقت وجوههم فى سبيل الله وقتلوا ابتغاء مرضاة الله وقيل للحسن بن صالح لم اخترت هذه البلد على غيرها قال كيف لا آوى الى بلدة آوى اليها روح الله وكلمته وينزل على جبانتها فى كل يوم ألف رحمة (ولما) ولى عبد الله بن طاهر مصر رحمه الله تجهز من مصر وأتى الى البهنسا فلما قرب من الجبانة ترجل عن جواده وترجل كل من معه وكان الوالى عليها عبد الله ابن الحسين الجعفرى خرج الى لقائه ماشيا وسلم عليه فلما وصل الى الجبانة قال السلام عليكم أحياء الدارين وخير الفريقين ثم التفت الى أصحابه وقال ان هذه الجبانة ينزل عليها كل يوم مائة رحمة وانها تزف باهلها الى الجنة ومن زارها تتساقط عنه ذنوبه كما تتساقط الاوراق عن الاشجار فى يوم الريح العاصف وكان عبد الله فى كل يوم بعد ذلك يخرج حافيا يزور الجبانة ثم يعود حتى مات رحمة الله عليه يروى عن رجل من أهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهير الدين كان من أهل البهنسا قال كان لى ولد مسرف على نفسه فمات فدفنته قريبا من الشهداء الذين هم بالجانب الغربى فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ رأيته وعليه ثياب من السندس الاخضر وعلى رأسه تاج من الجوهر وهو فى قبة من نور وحوله جماعة ما رأيت أحسن منهم وجوها ولا أنوابا متقلدين بسيوفهم وهم كالاقمار فسلمت عليهم وعليه وقلت له لقد سرنى حالك فقال يا هذا انى نزلت بجوار قوم يحمون النزيل فى الدنيا من العار فكيف لا يحمون فى الآخرة من النار وقد استوهبونى من العزيز الجبار فغفر لى ببركتهم الذنوب والاوزار وأسكننى جنات تجرى من تحتها الانهار (قال) ذو النون المصرى رحمة الله عليه كنت فى كل سنة آتى الى البهنسا وأزور الجبانة لما رأيت فى ذلك من الاجر والثواب فحصل لى فى سنة من السنين عارض أشغلنى عن زيارتها فبينما انا ذات ليلة من الليالى اذ رأيت رجالا لم أر أحسن منهم وجوها ولا أنقى ثيابا وهم على خيول شهب وبايديهم رايات خضر ووجوههم تتلألأ بالانوار فسلموا على وقالوا

قد

قد أوحشتنا يا ذا النون في هذه السنة فان لم تزرنا زرناك كأنا فقلت من أنتم يرحمكم الله فقالوا نحن الشهداء الاخيار أصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم كنا بارض الروم لنصرة المسلمين على أعداء الدين مررنا نسلم عليك وننظر ما سبب انقطاعك عنا فقلت في أي أرض أنتم قالوا نحن سكان جبانة البهنسا ولك علينا حق الزيارة فقلت لهم ياسادتي ماعدت أقطع حبل المودة بيني وبينكم وما كنت أظن في نفسي اني صاحب هذا المقدار وما كنت أعلم انكم تعلمون من يزوركم فقالوا ياذا النون ألم تعلم أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وبهذا نطق الكتاب المكنون ثم تركوني ومضوا فاستيقظت من النوم وفي قلبي لهب النار فهنيئا لمن زار هؤلاء السادات الاخيار (ولقد) ثبت في هذا الكتاب العذب المستطاب نوادر غريبة ووقائع عجيبة فصار بحمد الله كامل المعاني والبيان عظيم المقدار والشان لا يالفه الا أولى الالباب ولا يسمعه الا أهل الخطاب ولا يقرأ الا بين أهل الذوق والمعرفة فهو كالزهر في الرياض لمن اقتطفه متع الله به قارئه وسامعه وكاتبه وجامعه وجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه بجنات النعيم

وحشرنا في زمرة خاتم النبيين وامام المرسلين وآله الطيبين

وصحابته الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم والحمد لله رب العالمين

﴿ يقول راجي غفران المساوي يوسف صالح الجزماوي ﴾

نحمدك يامن نهت العالم في الحروب وكافاتهم بالحسنات وجعلت الجهاد في سبيلك من أعظم القربات ووعدت للقائمين به الحسنى في أعلى الدرجات والصلاة والسلام على سيد السادات سيدنا محمد وآله وأصحابه الذين أكثروا في الغزوات (وبعد) فقد تم طبع هذا الكتاب المنهل العذب المستطاب بحلاء بعون الله كامل المعاني والبيان عظيم القدر والشان لاشتماله على فتوح البهنسا الغراء البهيه على أيدي بعض الصحابة والفئة المرضيه أئمة الدين القويم وهداة المسلمين الى الصراط المستقيم رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة منقلبهم ومثواهم وذلك على ذمة صاحب المزايا الجمه المشهور بعلو الهمه حضرة الشيخ عبد المنعم الصبري الكتبي نجح الله مقاصده وبلغه من المنى مطالبه وكان تمام هذا الطبع الرائق الزاهر بهذا الوضع الفائق الباهر بالمطبعة العلميه بمحروسة مصر المعزيه بجوار الازهر المنير ادارة الموصوفين بالعجز والتقصير الشيخ حسن أحمد الرشيدي والسيد عمر هاشم الكتبي جل الله مسعاهما وأنالهما الخير فوق متمناهما في أواخر محرم الحرام سنة ١٣١٢ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه